مناخر عوعن قوله كان النبي م م

قوله بسم الله يعني بدأت بسم الله وان لم يذكر بدأت لان الحال ينبئ انك مبتدئ فيستغني عن ذكره واصله باسم بالالف ولكن حذفت الالف من الاسم لكثرة الاستعمال لانها الف وصل وليست باصلية بدليل انها تسقط عند التصغير فتقول سمي وقال بعضهم معنى قوله بسم الله بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته وهذا تعليم من الله تعالى عباده ليذكروا اسم الله عند افتتاح القراءة وغيرها حتى تكون الافتتاح ببركة اسم الله

كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب بسمك اللهم فلما نزلت في سورة هود بسم الله مجريها ومرسيها كتب بسم الله فلما نزلت سورة بني اسرائيل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت سورة النمل كتب بسم الله الرحمن الرحيم ففي هذا الخبر دليل انه ليس من كل سو[illegible] ولكنه آية من كتاب الله تع في سورة النمل فاما

تفسير قوله بسم الله في قوله تع الحمد لله قال [illegible] شكر لله ومعنى قول ابن عباس يعني الشكر لله على نعمائه كلها وقيل الحمد لله يعني الوحد[illegible] لله وقيل الالوهية لله وروي عن قتادة انه قال معناه الحمد لله الذي لم يجعلنا من المغضوب عليهم ولا الضالين ثم معنى قوله الحمد لله قال بعضهم قل فيه مضمر يعني قل الحمد لله وقال بعضهم حمد الرب نفسه ليعلم عباده فيحمدوه
لفظ
فقال بعض اهل اللغة الحمد هو الثناء الجميل وحمد الله تع هو الثناء عليه بصفاته الحسنى وبما انعم على عباده ويكون في الحمد معنى الشكر والرب في اللغة هو السيد قال الله تع ارجع الى ربك يعني الى سيدك والرب هو المالك يقال رب الدار ورب الدابة والرب هو المربي من قولك ربى يربي مربيا وقوله العالمين كل ذي روح ويقال لكل من كان له عقل مخاطب مثل بني آدم والملائكة والجن ولا يقع على البهائم ولا على غيرها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تع ثمانية عشر الف عالم وان دنياكم منها عالم ويقال لكل صنف من الحيوان عالم على حدة

قوله واسند الاشتعال الى الراس يعني ان الاشتعال بمعنى الانتشار والفشو حقه ان يسند الشيب لانه من الصفات القايمة لكنه اسند الى مكان الشعر الذي هو محل الشيب للمبالغة في الدلالة على شمول الاشتعال المواشي فان قولك اشتعل الراس شيبا بمنزلة قولك اشتعل البيت نارا فانه يفيد شمول الاشتعال البيت وقولك اشتعل شيب راسي بمنزلة قولك اشتعل نار بيتي فانه لا يفيد شمول اشتعال البيت واعلم ان اصل الكلام ومتعارف الاوساط في هذا المقام ان يقال ان شخت عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو شاب راسي لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل شيب راسي فانه ابلغ من شاب راسي اذ فيه تعرض لانتشار الشيب ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل راسي شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب راسي من جهات احديها اسناد الاشتعال الى الراس لافادة شمول الاشتعال الراس اذ وزان اشتعل شيب راسي واشتعل راسي شيبا وزان اشتعل النار في بيتي واشتعل بيتي نارا والفرق بين وثانيها ما في التمييز من التفصيل بعد الاجمال وثالثها تنكير شيبا لافادة الكمال ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو اشتعل الراس شيبا لما فيه من مزيد التقرير لان التعويل فيه على شهادة العقل دون اللفظ فلما اشتمل الكلام على هذه اللطايف ترقى الى اعلى درجات البلاغة شيخ زاده رحمه الله

تواريخ الانبياء

من آدم الى نوح عم الفان ومائتان سنة ومن نوح الى ابراهيم الف ومائة واربعون سنة ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وستون سنة ومن موسى الى داود خمسمائة وستون سنة ومن داود الى عيسى الف ومائة وستون سنة ومن عيسى الى محمد عم ستمائة وستة سنة من جملة الحساب ستة آلاف ومائتان وثلثون سنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد اربعين سنة دفع الله عنه الجنون والجذام والبرص واذا بلغ خمسين سنة رزقه الله الانابة والطمانينة واذا بلغ ستين سنة احبه الله واحبه الملائكة واذا بلغ سبعين سنة يضاعف في اجره بسبعة مثل شبابه واذا بلغ ثمانين سنة يكتب حسناته ولا يكتب سيئاته واذا بلغ تسعين سنة يسمى هذا اسير الله في ارضه واذا بلغ مائة سنة يقول الملائكة هل اعتق الله من نار جهنم

عدد اوراق ٤٣٠

عدد اجزا ٤٣

وقف مرحوم ومغفور له خير الدين افندي رحمه الله

وقف

وقف

وقف

وقف

وقف

وقف

وقف

وقف

وقف

وقف

١٢٧

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI
K: FATİH
No 111/2
127

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı Fatih
Yeni
Eski kayıt No 127

K. 216

فقد وقف في كتبخانة ابو الفتح
السلطان محمد خان غازي
وانا الفقير سليمان
المتولي
وقف

آنلر [illegible]
٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨

٤٢٧
٤
٤٢٣
١
٤٢٤٥

٢٠١

سورة مريم مكية الا آية سجدة وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجي ياءات
وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع
وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمون ذكر
رحمة ربك خبر ما قبله ان اول بالسورة او القرآن فانه مشتمل عليه او
خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اي فيما
يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر على الامر عبده
مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرني
جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا
لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا
او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين
خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل
ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب
اني وهن العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه
دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه
اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره
كمل في الحركات الثلاث واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في
بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر
باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس
الذي هو محل الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام

عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم
اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف
معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته
معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا
يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل
فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي
بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او
بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون
الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة
الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت
وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من
فضلك وكمال قدرتك واني وامرأتي لا نصلح للولادة وليا من صلبي
يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي
على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون
المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك
وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا
او عمران بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب
على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل
يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد
عن المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه

وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو
شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها
كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه
اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل كيعيش ويعمر وقيل سمي به لانه حيي
به رحم امه او لان دين الله تعالى حيي بدعوته قال رب انى يكون لي غلام
وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل
واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء
فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائي
وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا
بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال
اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك اي الامر كذلك ويجوز
ان يكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم يفسره
هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما
قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي او كما وعدت وهو علي هين
لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل
على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك قال
رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا
تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما
ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام
الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من

المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومأ اليهم لقوله الا
رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا
طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان
تحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب
التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة
وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا
من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف
على الحكم وزكوة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه
او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي
وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه و
سلام عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به من بني
آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار
واهوال القيمة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت
اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او
بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما
واحد او ظرف بمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمتك
اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت
المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة و
مكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمنة معنى اتت فاتخذت من
دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل
قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت

تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت
فبينا هي في مغتسلها أتاها جبريل عليه السلام متمثلا بصورة شاب
أمرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر
نطفتها إلى رحمها قالت إني أعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها
إن كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف
دل عليه ما قبله أي فإني عائذة منك أو فتتعظ بتعويذي أو فلا تتعرض
لي ويجوز أن يكون للمبالغة أي إن كنت تقيا متورعا فإني أعوذ منك
فكيف إذا لم تكن كذلك قال إنما أنا رسول ربك الذي استعذت به
لأهب لك غلاما لأكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون
حكاية لقول الله تعالى ويؤيده قراءة أبي عمرو والأكثر عن نافع ويعقوب
بالياء زكيا طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير أي مترقيا من سن
إلى سن على الخير والصلاح قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم يباشرني رجل بالحلال فإن هذه الكنايات إنما تطلق فيه أما
الزنا فإنما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله
ولم أك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وأدغمت ثم كسرت
الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء أو فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء
لأنه للمبالغة أو للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين
ولنجعله أي ونفعل ذلك لنجعله آية أو لنبين به قدرتنا ولنجعله
آية وقيل عطف على ليهب على طريقة الالتفات آية للناس علامة
لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بإرشاده
وكان أمرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الأزل أو قدر وسطر

في اللوح

في اللوح أو كان أمرا حقيقا بأن يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته
بأن نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها
سبعة أشهر وقيل ستة أشهر وثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية
غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل
عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في
بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع
الحال مكانا قصيا بعيدا من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار فأجاءها
المخاض أي فألجأها وهو في الأصل منقول من جاء لكنه خص به
في الاستعمال كآتى في أعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت
المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج إلى جذع النخلة لتستتر به
وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف
إما للجنس أو للعهد إذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس
ولعل الله تعالى أرشدها إليها ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها
الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني
مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا
ما من شأنه أن ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح وقرأ حمزة وحفص
بالفتح وهو لغة فيه أو مصدر سمي به وقرئ به وبالهمز وهو
الحليب المخلوط بالماء ينسؤه أهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث
لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الإتباع فناداها من تحتها عيسى

وقيل جبريل عليه السلام كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها
وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر
على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني
اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا
روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى عم وهزي اليك
بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز
والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز التحريك بجذب ودفع
تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها
حمزة وقرا يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت
وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع
رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا راس لها
ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزته فجعل الله تع لها راسا وخوصا
ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها
فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن راها على
ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من
غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام و
لذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء
السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي
عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار
فان العين اذا رات ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره
او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك

يقال

يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر
احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبات بالحج
لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا
وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم
انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة واناجي ربي وقيل
اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء
بكلام عيسى عليه السلام فانه قاطع في قطع الطاعن فاتت به قومها
راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا
يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد اذا قطعه يا اخت
هرون يعنون هرون النبي عم وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة
الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل
صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما راوا قبل من صلاحها
او شتموها به ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان
ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش
فاشارت اليه الى عيسى عم اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان
في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف
صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله وكان الله
عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به اولا لانه
اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل
وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي
اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمله الله

ومعله

علة ولم تبناه طفلا أينما كنت حيث كنت وأوصاني وأمرني بالصلوة والزكوة زكوة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإنه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بأن ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم أي الذي تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما تصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على أنه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذي فيه يمترون في أمره يشكون أو يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بأن من إذا أراد شيئا أوجده بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة في اتخاذ الولد بإحبال الإناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وإن الله ربي

وربكم

وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان وأن بالفتح على ولأن وقيل إنه معطوف على الصلوة فاختلف الأحزاب من بينهم اليهود والنصارى أو فرق النصارى نسطورية قالوا إنه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة أو من وقت الشهود أو من مكانه فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد الملائكة والأنبياء وألسنتهم وأرجلهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في عيسى وأمه أسمع بهم وأبصر تعجب معناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا أي يوم القيمة جدير بأن يتعجب منهما بعد ما كانوا صما عميا في الدنيا أو تهديد بما سيسمعون وسيبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الأول في موضع الرفع وعلى الثاني في محل النصب لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين أوقع الظالمون موقع الضمير إشعارا بأنهم ظلموا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على إغفالهم بأنه ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه إذ قضي الأمر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وإذ بدل من اليوم أو ظرف للحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله في ضلال مبين وما بينهما اعتراض أو بأنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها

ومه

لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن
عليها بالافناء والاهلاك توفي الوارث لارثه والينا يرجعون
يردون للجزاء واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما
للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تع وآياته
وكتبه ورسله نبيا استنباه الله تع اذ قال بدل من ابرهيم وما
بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء
معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتي ويقال يا ابتا وانما تذكر
للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك
ويسمع ذكرك ويرى خضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع ودفع ضر
دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشقه برفق
وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى
عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته
التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو
الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي
ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا
مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن
عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة
والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر
ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن
محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد
جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه

بابيه

بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير
يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم
للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال يا ابت
لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص
على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم
ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم
ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال يا ابت اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب
تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان
الله تع اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما
للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان
من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث
انه نتيجة معاداته لادم عليه السلم وذريته فنبه عليها قال
اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد
بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني و
اخره وقدم الخبر على المبتدا وصدره بالهمزة لانكار نفي الرغبة على
ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن
لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم
والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل
لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او
مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة

ابرهيم مجيبا له

بالحسنى أي لا أصيبك بمكروه ولا أقول لك بعد ما يؤذيك ولكن
سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والإيمان فإن حقيقة الاستغفار
للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد تقدم تقريره في سورة التوبة
إنه كان بي حفيا بليغا في البر والألطاف وأعتزلكم وما تدعون من
دون الله بالمهاجرة بديني وأدعو ربي وأعبده وحده عسى ألا
أكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم
وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على أن
الإجابة والإثابة تفضل غير واجب وأن ملاك الأمر خاتمته وهو
غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة إلى الشام
وهبنا له إسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل إنه لما
قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له إسحاق
وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرتا الأنبياء أو لأنه
أراد أن يذكر إسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا
منهما أو منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والأموال والأولاد و
جعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم
استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان
ما يوجد به ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق وتوصيفه
بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى
على تباعد الأعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب
موسى إنه كان مخلصا موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء
أو أسلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح

على أن

على أن الله أخلصه وكان رسولا نبيا أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم
عنه ولذلك قدم رسولا مع أنه أخص وأعلى وناديناه من جانب
الطور الأيمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى أو من
جانبه الميمون من اليمن بأن تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه
تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من
أحد الضميرين وقيل مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي أنه رفع
فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من أجل رحمتنا
أو بعض رحمتنا أخاه معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته و
اجعل لي وزيرا من أهلي فإنه كان أسن من موسى وهو مفعول أو
بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر في الكتاب إسمعيل
إنه كان صادق الوعد ذكره بذلك لأنه المشهور به والموصوف بأشياء
في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فقال
ستجدني إن شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا يدل على أن
الرسول لا يلزم أن يكون صاحب شريعة فإن أولاد إبراهيم كانوا
على شريعته وكان يأمر أهله بالصلوة والزكوة اشتغالا بالأهم
وهو أن يقبل الرجل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه بالتكميل قال الله
تع وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم
نارا وقيل أهله أمته فإن الأنبياء آباء الأمم وكان عند ربه مرضيا
لاستقامة أقواله وأفعاله واذكر في الكتاب إدريس وهو سبط
شيث وجد أبي نوح واسمه أخنوخ واشتقاق إدريس من الدرس
يرده منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون معناه في تلك اللغة قريبا من

من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلثين
صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب انه كان
صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله
وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى
المذكورين في السورة من ذكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم
بانواع النعم الدينية والدنياوية من النبيين بيان للموصول من ذرية
ادم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم
عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اى
ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان
من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف
على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وذكريا
ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن
هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت
الموصول صفته واستيناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم واخباتهم لله مع
ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله
عز وجل وعن النبي عليه السلام اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا
فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء
لان التانيث غير حقيقي وقرا حمزة والكسائي بكيا بكسر الباء فخلف
من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق
بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها او اخروها عن

وفيها

وفيها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب
والانهماك في المعاصي وعن علي رضي الله عنه واتبعوا الشهوات من بني
الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا
كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي
لائما او جزاء غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد
في جهنم يستعيذ منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على
ان الاية في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو و
ابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا
ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينصب شيئا على المصدر وفيه
تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن
بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع
على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن
بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد
الرحمن عباده بالغيب اى وعدها اياهم وهي غايبة عنهم او هم غايبون
عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو
الجنة ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه
احسانا اى مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما
ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة
عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم
ان كان لغوا فلا يسمعون سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها

إغناء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وإنما فائدته الإكرام ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغادة
وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه
والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها
لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد وإسقاط وقيل يورث
المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو أطاعوا زيادة
في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل إلا بأمر ربك
حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر
ما يجيب ورجا أن يوحى إليه فأبطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل
أربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل
النزول على مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما
يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت إلا بأمر
الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما
بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الأماكن
والأحايين لا ننتقل من مكان إلى مكان أو لا ننزل في زمان دون زمان
إلا بأمره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك أي ما كان عدم
النزول إلا لعدم الأمر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه
إياك كما زعمت الكفرة وإنما كان لحكمة رآها فيه وقيل أول الآية حكاية
قول المتقين حين يدخلون الجنة وما ننزل الجنة إلا بأمر الله ولطفه

وهو مالك

وهو مالك الأمور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده
من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم أي وما كان
ناسيا لأعمال المؤمنين العاملين وما وعد لهم من الثواب وقوله رب
السموات والأرض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف
أو بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب
عليه أي لما عرفت ربك بأنه لا ينبغي له أن ينساك أو أعمال العمال
فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزء الكفرة
وإنما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد
والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق
أن يسمى إلها أو أحدا يسمى الله فإن المشركين وإن سموا الصنم إلها لم
يسموه الله قط وذلك لظهور أحديته وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث
لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للأمر أي إذا صح أن لا أحد مثله
ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لأمره والاشتغال
بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الإنسان المراد به الجنس
بأسره فإن المقول مقول فيما بينهم وإن لم يقله كلهم كقولك بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم أو بعضهم المعهود وهم الكفرة أو أبي
بن خلف فإنه أخذ عظاما بالية وفتها وقال يزعم محمد أنا نبعث
بعد ما نموت أئذا ما مت لسوف أخرج حيا من الأرض أو من حال الموت
وتقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لأن المنكر كون ما بعد الموت
وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه أخرج لا به فإن ما بعد اللام لا
يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت

وقف

الهمزة واللام فيها لام التأكيد بحيث فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا
يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين
العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو
المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه
اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر
الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم
اقسام باسمه تعالى مضافا الى نبيه صلى الله عليه وسلم تحقيقا للامر وتفخيما لشان
رسوله عليه السلام والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة
وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم
اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا
معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه
فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم
عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب
وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه
من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب
واهل الموقف جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على المعتاد في
مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون

وقف

جثاة

وان فسر الانسان بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة

وقف

جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام
لما عراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شاعت دينا
ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها
وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان ولو خص
ذلك بالكفرة فالمراد به تمييز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ونطرحهم في
النار على الترتيب او ندخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم مبني على الضم
عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه
منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا او مرفوع عند غيره اما
بالابتداء على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام
لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن
لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على من كل
شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة
لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن
اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او
صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم باشدهم عتيا
رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وان منكم وما
منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها
الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار
بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل
اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار

وقف

فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون
فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها
كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله تعالى على نفسه
وقضى بانه وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين
اتقوا فيساقون الى الجنة وقرا الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ
ثم بفتح الثاء اى هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا
وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون
الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني
بنفسها او ببيان الرسول او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا
للذين امنوا لاجلهم او معهم اى الفريقين المؤمنين والكافرين خير
مقاما موضع قيام او مكانا وقرا ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل
واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الايات الواضحات
وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من
حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم
عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة فرد عليهم
ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن
اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل
عصر قرنا لانه يتقدم من بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن
النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر
فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرا نافع وابن عامر ريا على قلب

الهمزة وادغامها او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر ريئا على
القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن
مجموعة نقيض ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل
والنقص ما يكون في الاخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له
الرحمن مدا فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع وانما اخرجه على لفظ الامر
ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله تعالى
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى
اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين امنوا
اى الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة
تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم
اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال
فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما
قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة
محكية بعد حتى واضعف جندا اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا
من حيث ان النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم
واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية
بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة الدنيا ليس لفضله
اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل
اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه
قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلالته ويزيد المقابل له هداية والباقيات
الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الاباد ويدخل فيها ما قيل من

من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي
يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم
كما أشار إليه بقوله وخير مردا والخير هنا إما لمجرد الزيادة أو على طريقة
قولهم الصيف أحر من الشتاء أي أبلغ في حره منه في برده أفرأيت الذي
كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان
لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا أكفر
بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فإذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال
وولد فأعطيك ولما كانت الرؤية أقوى سند الإخبار استعمل أرأيت
بمعنى الإخبار والفاء على أصلها والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث
أولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد أو لغة
فيه كالعرب والعرب أطلع الغيب أقد بلغ من عظمة شأنه إلى أن ارتقى
إلى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة
مالا وولدا وتألى عليه أم اتخذ عند الرحمن عهدا أو اتخذ من عالم الغيوب
عهدا بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين وقيل
العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد
عليه كلا ردع وتنبيه على أنه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول
سنظهر له أنا كتبنا قوله على طريقة قوله إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة
أي تبين أني لم تلدني لئيمة أو سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
العدو وحفظها عليه فإن نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ
من قول إلا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب

ما يستأهله

ما يستأهله أو نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله تعالى
ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول
يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد
كان له في الدنيا فضلا أن يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا
القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا
ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة إلى الله تعالى وشفعاء عنده
كلا ردع وإنكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة
عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا أو سينكر
الكفرة لسوء العاقبة أنهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن
قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الأول
إذا فسر الضد بضد العز أي يكونون عليهم ذلا أو بضدهم على معنى
أنها تكون معونة في عذابهم بأن توقد بها نيرانهم أو جعل الواو للكفرة
أي يكونون كافرين بهم بعد أن كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة
المعنى الذي به مضادتهم فإنهم بذلك كالشيء الواحد ونظيره قوله
عليه السلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الألف
نونا في الوقف قلب ألف الإطلاق في قوله أقلي اللوم عاذل والعتابن
أو على معنى كل هذا الرأي كلا وعلى إضمار فعل يفسره ما بعده أي سيجحدون
كلا سيكفرون بعبادتهم ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين
بأن سلطناهم عليهم أو قيضنا لهم قرناء تؤزهم أزا تهزهم وتغريهم
على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله عليه السلام
من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق

على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بأن يهلكوا فتستريح
أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم إنما نعد لهم
أيام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي
غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم في هذه السورة شان ولعله لان
مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها
والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما تفد الوفاد على الملوك منتظرين
لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا
عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد
الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين
وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد
به ويستاهل ان يشفع العصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد
الله او الا من اتخذ من الله اذنا فيها كقوله لا تنفع الشفاعة الا
من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به و
محله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اي الا شفاعة
من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة
فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا
فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا إدا على الالتفات
للمبالغة في الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله تعالى والإد بالفتح
والكسر العظيم المنكر والإدة الشدة وأدني الامر وآدني أثقلني وعظم

وادنى سان

على

على تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي بالياء يتفطرن منه يتشققن
مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب
ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعّل وهو مطاوع فعل
ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد
هدا او مهدودة او لانها تهد اي تكسر وهو تقرير لكونه إدا والمعنى
ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم
تتحملها هذه الاجرام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب
الله تعالى بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من
تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او
لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال
من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك
ان دعوا او فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا
بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثاني ليحيط
بكل ما دعي له ولدا او من دعى بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى
فلان اذا انتسب اليه وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به
اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب
الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه
فلا يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولي اصولها وفروعها فكيف
يمكن ان يتخذ ولدا ثم صرح به في قوله ان كل من في السموات والارض
اي وما منهم الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوي اليه بالعبودية
والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط

بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد
أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فإن كل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه
يوم القيامة فردا منفردا عن الأتباع والأنصار فلا يجانسه شيء
من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به إن الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم في القلوب مودة
من غير تعرض منهم لأسبابها وعن النبي عم إذا أحب الله عبدا يقول لجبرئيل
أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرئيل ثم ينادي في أهل السماء إن الله
قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة في الأرض
والسين لأن السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم
ذلك إذا دجا الإسلام أو لأن الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم
على رؤوس الأشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل فإنما يسرناه بلسانك
بأن أنزلناه بلغتك والباء بمعنى على أو على أصله لتضمن يسرناه معنى
أنزلناه أي أنزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين إلى التقوى
وتنذر به قوما لدا أشداء الخصومة آخذين في كل لديد أي شق من
المراء لفرط لجاجهم فبشر به وأنذر وكم أهلكنا قبلهم من قرن تخويف
للكفرة وتجسير للرسول على إنذارهم هل تحس منهم من أحد هل تشعر
بأحد منهم وتراه أو تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من أسمعت والركز
الصوت الخفي وأصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب
طرفه في الأرض والركاز المال المدفون عن رسول الله عم من قرأ سورة
مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى وعيسى
وسائر الأنبياء المذكورة فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله

سورة طه

سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الأصل وفخم
الطاء وحده أبو عمرو لاستعلائه فأمالهما الباقون وهما من أسماء الحروف
وقيل معناه يا رجل على لغة عك فإن صح فلعل أصله يا هذا فتصرفوا
فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله إن السفاهة طه في
خلائقكم لا قدس الله أخلاق الملاعين ضعيف لجواز أن يكون قسما
كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على أنه أمر للرسول بأن يطأ
الأرض بقدميه فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه وأن
أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت في يطأ ألفا كقوله لا هناك
المرتع ثم بنى عليه الأمر وضم إليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن
يكون أصل طه طاها والألف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الأرض
لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل أو اكتفى
بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى
خبر طه إن جعلته مبتدأ على أنه مؤول بالسورة أو القرآن والقرآن
فيه واقع موقع العائد وجواب إن جعلته مقسما به ومنادى له
إن جعلته نداء واستئناف إن كانت جملة فعلية أو اسمية بإضمار
مبتدأ أو طائفة من الحروف محكية والمعنى ما أنزلنا عليك القرآن
لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلغ أو بكثرة
الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى
التعب ومنه أشقى من رائض المهر وسيد القوم أشقاهم ولعله عدل

اليه للاستشعار بانه انزل عليه ليسعد وتمرده وتكذيب للكفرة
فانهم لما رأوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان
القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها
على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف
الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى
علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن او مفعول
له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اي ما انزلنا عليك
القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة
يتأثر بالانذار او لمن علم الله تعالى منه انه يخشى بالتخويف منه فانه
المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او
البدل من تذكرة ان جعل حالا لا ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فان
الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات
العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشان المنزل
بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو
عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم
الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى
وهي جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات
وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير
وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته
وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته
وارادته

وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم
عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء
فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله تعالى
ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو
ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما
ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن
الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم انه لما ظهر
بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد
بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن
خلق صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة
للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى
ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال
والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث
انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام
جبرئيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن
خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذا ان رفع الرحمن
على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى
الطبقة الترابية من الارض وهي اخر طبقاتها والحسنى تانيث
الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها
على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتاك حديث موسى
قفى تمهيد نبوته بقصة موسى عليه السلام ليأتم به في تحمل اعباء

النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة
من اوائل ما نزل اذ راى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول
لاذكر قيل انه استاذن شعيبا عليه السلام في الخروج الى امه
وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن
في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد اضل الطريق
وتفرقت ماشيته اذ راى نارا من جانب الطور فقال
لاهله امكثوا اقيموا مكانكم اني آنست نارا ابصرتها ابصارا
لا شبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها
بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة او اجد على النار هدى هاديا
يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار
مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر
فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه
لهم بان ليوطن انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء على النار ان اهلها
مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه
في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتيها اى النار
وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى اني
انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اى باني وكسره الباقون باضمار
القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق
قيل انه لما نودي قال من المتكلم قال اني انا الله فوسوس اليه
ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله
تع فاني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى

اى لا بالسمع فقط

انه عليه السلام

انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام
لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص
بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب
ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من
جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال
انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والتقديس التطهير
والتبريك طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر
والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي
او المقدس اى نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك
اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى
للذي او للوحي واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا
الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى دال على انه مقصور
على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي
كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها
بالامر للعلة التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها
او لان اذكرك بالثناء او لذكري خاصة لا ترائي بها ولا تشوبها
بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر
صلوتي لما روى انه عليه السلام قال من نام عن صلوة او نسيها
فليقضها اذا ذكرها ان الله تع يقول واقم الصلوة لذكري ان
الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاءها وقتها

البتة

أكاد أخفيها فلا أقول إنها آتية ولولا ما في الإخبار بإتيانها
من اللطف وقطع الأعذار لما أخبرت به أو أكاد أظهرها من أخفاه
إذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه إذا أظهره لتجزى
كل نفس بما تسعى متعلق بآتية أو بأخفيها على المعنى الأخير فلا يصدنك
عنها عن تصديق الساعة أو عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر
أن يصد موسى عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقوله لا أرينك ههنا
تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض
عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون
بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة
المخدجة فقصر نظره على غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده
وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب
بيمينك حال من معنى الإشارة وقيل صلة لتلك يا موسى تكرير لزيادة
الاستئناس والتنبيه قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل
أتوكأ عليها أعتمد إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وأهش
بها على غنمي وأخبط الورق بها على رؤوس غنمي وقرئ وأهش و
كلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين
من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجرا لها ولي فيها مآرب
أخرى حاجات أخر مثل أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق
بها أداوته وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل
به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل
بها وكأنه عليه السلام فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها

أو ما يرى

أو ما يرى من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة
ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاها
بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب
عنه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق
وتثمر إذا اشتهى ثمرة فركزها علم أن ذلك آيات باهرة ومعجزات
قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها
ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصي ينتفع منافع
أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال ألقها يا موسى
فألقاها فإذا هي حية تسعى قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء
بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا
إلى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية أخرى بالاسم الذي
يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان و
لذلك قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فإنه لما رآها حية تسرع
وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الأولى
هيئتها وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة و
الهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده
بمعنى عاد إليه أو على الظرف أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير فعلها
أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها ما
كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى
أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها واضمم يدك إلى جناحك إلى جنبك
تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة

من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء
كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى
بالسوء عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى
معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول
باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر
او بما دل عليه آية او القصة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك
والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب
الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى
وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لما امره الله
بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل
اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه
باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر
اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تاكيدا ومبالغة واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان
في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما
فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه
صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة
ووضعها في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده
واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب
تدعوني قال الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال
العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن

لم يقل

لم يقل به احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن
الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام
ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون
صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل
الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه
ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر
بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها
في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي
صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او من اهلي
ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من
هرون او مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ
الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى
تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا وان التعاون
مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت
سؤلك يا موسى اى مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى
المخبوز والماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت
آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها
او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحي
او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به

وقف

أن اقذفيه في التابوت بأن اقذفيه أو أي اقذفيه لأن الوحي بمعنى القول فاقذفيه في اليم والقذف يقال للإلقاء وللوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان إلقاء البحر إياه إلى الساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الإرادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمره بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والأولى أن يجعل الضمائر كلها لموسى عليه السلام مراعاة للنظم والمقذوف في البحر والملقى إلى الساحل وإن كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة لأن الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل إنها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأداه إلى بركة في البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه حبا شديدا كما قال وألقيت عليك محبة مني أي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز أن يتعلق مني بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله أحبته القلوب وظاهر اللفظ أن اليم ألقاه بساحله وهو شاطئه لأن الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد أن يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى ويحسن إليك وأنا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك أو على الجملة السابقة بإضمار فعل معلل مثل فعلت

وقف

ذلك

وقف

ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على أنه أمر ولتصنع بالنصب وفتح التاء أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري إذ تمشي أختك ظرف لألقيت أو لتصنع أو بدل من إذ أوحينا على أن المراد بها وقت متسع فتقول هل أدلكم على من يكفله وذلك أنه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت أخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل أدلكم فجاءت بأمه فقبل ثديها فرجعناك إلى أمك وفاء بقولنا إنا رادوه إليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن هي بفراقك أو أنت على فراقها وفقد إشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والأمن منه بالهجرة إلى مدين وفتناك فتونا فابتليناك ابتلاء أو أنواعا من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد وأجر نفسه إلى غير ذلك أوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين في أهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الأجلين ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لأن أكلمك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله

وقف

من الكرامة من قربة الملك وأخلصه لنفسه اذهب أنت وأخوك
بآياتي بمعجزاتي ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء
في ذكري لا تنسياني حيثما تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء إلي
اذهبا إلى فرعون إنه طغى أمر به أولاً موسى وحده وههنا
إياه وأخاه فلا تكرير قيل أوحي إلى هرون أن يتلقى موسى وقيل
سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك إلى أن
تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه دعوة في صورة عرض ومشورة
حذرا أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليكما أو احتراما لما له من حق
التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلث كنى أبو العباس وأبو الوليد
وأبو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم وملكا لا يزول إلا بالموت
لعله يتذكر أو يخشى متعلق باذهبا أو قولا أي باشرا الأمر على
رجائكما وطمعكما أنه يثمر ولا يخيب سعيكما فإن الراجي مجتهد
والآيس متكلف والفائدة في إرسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد
مع علمه بأنه لا يؤمن إلزام الحجة وقطع المعذرة وإظهار ما حدث
في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم
ولذلك قدم الأول أي إن لم يتحقق عنده صدقكما ولم يتذكر فلا أقل
من أن يتوهمه فيخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أن يعجل
علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة من فرط
إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من
أفرطه إذا حمله على العجلة أي نخاف أن يحمله حامل من استكبار أو
خوف على الملك أو شيطان إنسي أو جني على المعاجلة بالعقاب يفرط

من الافراط

من الإفراط في الأذية أو أن يطغى أن يزداد طغيانا فيتخطى إلى أن يقول
فيك ما لا ينبغي لجرأته وقساوته وإطلاقه من حسن الأدب قال لا تخافا
إنني معكما بالحفظ والنصرة أسمع وأرى ما يجري بينكما وبينه من
قول وفعل فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي
لكما ويجوز أن لا يقدر شيء على معنى إنني حافظكما سامعا مبصرا و
الحافظ إذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا إنا رسولا
ربك فأرسل معنا بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف
الصعبة وقتل الولدان فإنهم كانوا في أيدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم
في العمل ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام وتعقيب الإتيان
بذلك دليل على أن تخليص المؤمنين من الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان
ويجوز أن يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة
مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وإنما وحد الآية
وكان معه آيتان لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا الإشارة
إلى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية
أو لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة
وخزنة الجنة على المهتدين أو السلامة في الدارين لهم إنا قد أوحي إلينا
أن العذاب على من كذب وتولى أن عذاب المشركين على المكذبين
للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لأن التهديد
في أول الأمر أهم وأنجع وبالواقع أليق قال فمن ربكما يا موسى
أي بعدما أتياه وقالا له ما أمرا به ولعله حذف لدلالة الحال فإن المطيع
إذا أمر بشيء فعله لا محالة وإنما خاطب الاثنين وخص موسى

بالنداء لانه الاصل وهرون وزير وتابع او لانه عرف ان له رتة
ولاجيه فصاحة ثابتة اذان يعجه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا
الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى كل شيء من
الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى
خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني
لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول
الثاني محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف
يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو
جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها
على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق
هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته و
صفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وافحم عن الدخل عليه
فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم
بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي اى انه غيب
لا يعلمه الا الله تعالى وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به في
كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه
بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى
والضلال ان تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب
بحيث لا تخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون
سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله تعالى بالاشياء كلها او تخصيصها ابعاضها

بالصور

بالصورة والخواص المختلفة بان ذلك يستدعي علمه بتفاصيل الاشياء
وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي مدتهم وتباعد
اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى
الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لا يضل ولا
ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي او خبر لمحذوف
او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اى كالمهد يتمهدونها
وهو مصدر سمي به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش
او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية
والبراري وتسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل
من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به عن لفظ الغيبة الى صيغة
التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة
على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة
لمشيته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض
وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا
سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة
لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة للنبات فانه من حيث
انه مصدر في الاصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض
ومرضى اى متفرقات في الصور والاعراض والمنافع يصلح بعضها للناس
وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا
على ارادة القول اى اخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم

لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان في ذلك لآيات لاولي النهى
لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية
منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم
وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى
بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة و
رد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه
صحتها كلها تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد
بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى عليه السلام
او انه اراه آياته وعدد عليه ما اوتي غيره من المعجزات فكذب موسى
عليه السلام من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا
لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل
على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان ساحرا لا يقدر ان يخرج
ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا
وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم
الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به
فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا
يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى
فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم
او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او
وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد
بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو

في النعت

في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب
بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم
في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع
ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة وقرئ
على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير
فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعني
السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم فيهلككم ويستأصلكم به وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت
لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال
ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة
في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة
واسروا النجوى بان موسى عليه السلام ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا
واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير
لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى
كأنهم تشاوروا في تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم
ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى
تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل
ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتداء
وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام
لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص

إن هذان على أنها هي المخففة واللام هي الفارقة أو النافية واللام بمعنى إلا
يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب بإظهار مذهبه وإعلاء دينه
لقوله إني أخاف أن يبدل دينكم وقيل أرادوا أهل طريقتكم وهم بنو
إسرائيل فإنهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى عليه السلام أرسل
معنا بني إسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرافهم من حيث
إنهم قدوة لغيرهم فأجمعوا كيدكم فأزمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف
عنه واحد منكم وقرأ أبو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير
في قالوا إن كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين
لأنه أهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين ألفا مع كل منهم حبل
وعصا وأقبلوا عليه إقبالة واحدة وقد أفلح اليوم من استعلى فاز
بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون
أول من ألقى أي بعدما أتوا مراعاة للأدب وأن بما بعده منصوب
بفعل مضمر أو مرفوع بخبر له محذوف أي اختر إلقاءك أولا أو إلقاءنا
أو الأمر إلقاؤك أو إلقاؤنا قال بل ألقوا مقابلة أدب بأدب وعدم
مبالاة بسحرهم وإسعافا إلى ما أوهموا من الميل إلى البدء بذكر الأول
في شقهم وتغيير النظم إلى وجه أبلغ ولأن يبرزوا ما معهم ويستنفدوا
أقصى وسعهم ثم يظهر الله تعالى سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى أي فألقوا
فإذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق أنها أيضا ظرفية تستدعي متعلقا
ينصبها وجملة تضاف إليها لكنها خصت بأن يكون المتعلق فعل المفاجأة

والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى عليه السلام وقت تخيل
سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بأنهم لطخوها بالزيبق فلما
ضربت عليها الشمس اضطربت فخيلت إليه أنها تتحرك وقرأ ابن
عامر وروح تخيل بالتاء على إسناده إلى ضمير الحبال والعصي وإبدال
أنها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على إسناده إلى الله تعالى وتخيل
بمعنى تتخيل فأوجس في نفسه خيفة موسى فأضمر فيها خوفا من مفاجأته
على ما هو مقتضى الجبلة البشرية أو من أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه
قلنا لا تخف ما توهمت إنك أنت الأعلى تعليل للنهي وتقرير للغلبة
مؤكدا بالاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ
العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل وألق ما في يمينك
أبهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم
وألق العويدة التي في يدك أو تعظيما لها أي لا تحتفل بكثرة هذه
الأجرام وعظمها فإن في يمينك ما هو أعظم منها أثرا فألقه تلقف
ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى وأصله تتلقف فحذفت إحدى
التائين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على إسناد الفعل
إلى المسبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال أو الاستيناف وحفص
بالجزم والتخفيف على أنه من لقفته بمعنى تلقفته والبزي بتشديد التاء
إنما صنعوا إن الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب
على أن ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى
ذي سحر أو بتسمية الساحر سحرا على المبالغة أو بإضافة الكيد إلى
السحر للبيان كقولهم علم فقه وإنما وحد الساحر لأن المراد به الجنس

لأن الكيد قد يكون سحرا وقد يكون لغيره كعلم فقه وعلم طب

المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر أي هذا الجنس وتنكير الأول لتنكير
المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما أعدت في سعي دنيا طالما
قد مدت كأنه قيل إنما صنعوا كيد سحري حيث أتى حيث كان وأين
أقبل فألقي السحرة سجدا أي فألقى فتلقفت فتحقق عند السحرة أنه
ليس بسحر وإنما هو آية من آيات الله تعالى ومعجزة من معجزاته فألقاهم
ذلك على وجوههم سجدا لله تعالى توبة عما صنعوا وإعتابا وتعظيما
لما رأوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه أو
لروي الآية أو لأن فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو
قدم ذكره فربما توهم أن المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع
روي أنهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له لموسى
واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل أن آذن لكم في الإيمان له
إنه لكبيركم لعظيمكم في فنكم وأعلمكم به أو لأستاذكم الذي علمكم السحر
وأنتم تواطأتم على ما فعلتم فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف اليد
اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدأ من مخالفة
العضو العضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب على الحال أي لأقطعنها
مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف ولأصلبنكم في جذوع
النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف وهو أول
من صلب ولتعلمن أينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام
مع الإيمان في كتاب الله لغير الله أراد به توضيع موسى والهزء به
فإنه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به
أشد عذابا وأبقى وأدوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك

على ما جاءنا

على ما جاءنا موسى به ويجوز أن يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات
الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا أو قسم فاقض ما أنت قاض
ما أنت قاضيه أي صانعه أو حاكم به إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا
إنما تصنع ما تهواه أو تحكم ما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وأبقى
فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحيوة الدنيا
كقولك صيم يوم الجمعة إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي
وما أكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي أنهم قالوا لفرعون
أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر
فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه والله خير وأبقى
جزاء أو خير ثوابا وأبقى عقابا إنه إن الأمر من يأت ربه مجرما بأن يموت
على كفره وعصيانه فإن له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى
حياة مهنأة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فأولئك
لهم الدرجات العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الإشارة
أو الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من أدناس الكفر والمعاصي
والآيات الثلاث تحتمل أن يكون من كلام السحرة وأن يكون ابتداء
كلام الله تعالى ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أي من مصر فاضرب
لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما أو فاتخذ من ضرب
اللبن إذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا
ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث يقال شاة
يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو إما مخفف منه أو وصف على فعل

كصعب او جمع بابي كعجب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود
رحلي حين ضمت حوالب غرزا ومعا جياعا او لتعدده معنى فانه جعل
لكل سبط منه طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم
العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر
ولا تخشى استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق
كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم
فرعون بجنوده وذلك ان موسى ع م خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون
بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف
المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء
للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وزادهم خلفهم
فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة
اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم
ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تع او ما غشاهم او فرعون
لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اي اضلهم
في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او
اضلهم في البحر وما نجا يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر و
اهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي ص م بما فعل
بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور
الايمن لمناجاة موسى وانزال التورية عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهي
لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى
يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلالاته وقرأ

حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم
والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم
بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله تع لكم فيه كالسرف والبطر والمنع
عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا
وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل
وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل
واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا
ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى
سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها
انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى ع م
عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما
تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة
قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان
المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا
قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم
وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة
العجل الا اثنا عشر الفا واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته
وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا
على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها باياما اربعين وقالوا
قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه
اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذكر اخبارا من الله تع عن المترقب بلفظ

الواقع على عادته فإن أصل وقوع الشيء أن يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري
منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا
من كرمان وقيل من أهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع
موسى إلى قومه بعد ما استوفى الأربعين وأخذ التوراة غضبان عليهم
أسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا بأن يعطيكم
التوراة فيها هدى ونور أفطال عليكم العهد أي الزمان يعني زمان مفارقته
لهم أم أردتم أن يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل
في الغباوة فأخلفتم موعدي وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله تعالى
والقيام على ما أمرتكم به وقيل هو من أخلفت وعده إذا وجدت الخلف
فيه أي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الأربعين وهو لا يناسب
الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له قالوا
ما أخلفنا موعدك بملكنا بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلينا وأمرنا ولم يسول لنا
السامري لما أخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائي
بالضم وثلاثتها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا حملنا أوزارا
من زينة القوم أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين
هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم
ثم لم يردوا عند الخروج مخافة أن يعلموا به وقيل هو ما ألقاه البحر على
الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها أوزارا لأنها آثام فإن
الغنائم لم تكن تحل بعد ولأنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ
مال الحربي فقذفناها في النار فكذلك ألقى السامري أي ما كان معه منها
روي أنهم لما حسبوا أن العدة قد كملت قال لهم السامري إنما أخلف موسى

ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالرأي أن نحفر حفيرة و
نسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ أبو عمرو وحمزة و
الكسائي وأبو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف فأخرج لهم عجلا جسدا
من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا أي السامري ومن
افتتن به أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فنسيه موسى
وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من
إظهار الإيمان أفلا يرون أفلا يعلمون ألا يرجع إليهم قولا أنه لا يرجع
إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لأن
أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا
يقدر على إنفاعهم وإضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع
موسى عم أو قول السامري كأنه أول ما وقع عليه بصره حين طلع من
الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم إنما فتنتم به بالعجل وإن ربكم
الرحمن لا غير فاتبعوني وأطيعوا أمري في الثبات على الدين قالوا لن
نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى
وهذا الجواب يؤيد الوجه الأول قال يا هرون أي قال له موسى لما
رجع ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل ألا تتبعن أن تتبعني
في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر أو أن تأتي عقبي وتلحقني ولا
مزيدة كما في قوله ما منعك ألا تسجد أفعصيت أمري بالصلابة في الدين
والمحاماة عليه قال يا ابن أم خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لأنه
كان أخاه من الأم والجمهور على أنهما كانا من أب وأم لا تأخذ بلحيتي
ولا برأسي أي بشعر رأسي قبض عليهما يجره إليه من شدة غيظه وفرط

غضبا لله تعالى وكان عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم
يتمالك حين رآهم يعبدون العجل إني خشيت أن تقول فرقت بين
بني إسرائيل لو قاتلت أو فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولي
حين قلت اخلفني في قومي وأصلح فإن الإصلاح كان في حفظ الدهماء
والمداراة بهم إلى أن ترجع إليهم فتتدارك الأمر برأيك قال فما خطبك
يا سامري أي ثم أقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك أي ما طلبك له وما
الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء إذا طلبه قال بصرت بما لم تبصروا
به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب أي علمت ما لم تعلموه و
فطنت لما لم تفطنوا له وهو أن الرسول الذي جاءكم روحاني
محض لا يمس أثره شيئا إلا أحياه أو رأيت ما لم تروه وهو أن جبريل
عليه السلام جاءك على فرس الحياة وقيل إنما عرفه لأن أمه ألقته حين ولدته
خوفا من فرعون وكان جبريل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة
من أثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض وأطلق
على المقبوض كضرب الأمير وقرئ بالصاد والأول للأخذ بجميع الكف
والثاني للأخذ بأطراف الأصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول
جبريل ولعله لم يسمه لأنه لم يعرف أنه جبرائيل أو أراد أن ينبه
على الوقت وهو حين أرسل إليه ليذهب به إلى الطور فنبذتها في الحلي
المذابة أو في جوف العجل حتى حيي وكذلك سولت لي نفسي زينته وحسنته
إلي قال فاذهب فإن لك في الحياة عقوبة على ما فعلت أن تقول لا مساس
خوفا من أن يمسك أحد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويتحاموك
وتكون طريدا وحيدا كالوحشي النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم

للمسة

للمسة وإن لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك
في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام أي
لن تخلف الواعد إياه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الأول لأن
المقصود هو الموعد ويجوز أن يكون من أخلفت الموعد إذا وجدته
خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله تعالى وانظر إلى إلهك الذي
ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذف اللام الأولى تخفيفا
وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام إليها لنحرقنه أي بالنار و
يؤيده القراءة لنحرقنه أو بالمبرد على أنه مبالغة في حرق إذا برد
بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا
أو مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء
والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غباوة المفتتنين به لمن
له أدنى نظر إنما إلهكم المستحق لعبادتكم الله الذي لا إله إلا هو
إذ لا أحد يماثله أو يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل
شيء علما وسع علمه ما يصح أن يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وإن
كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب
علما على المفعولية لأنه وإن انتصب على التمييز في المشهورة لكنه
فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف إلى مفعولين صار مفعولا
كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى عليه السلام
نقص عليك من أنباء ما قد سبق من أخبار الأمور الماضية والأمم
الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها
وتذكيرا للمستبصرين من أمتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا

أي قرآنا كرامة لك من عندنا وزيادة في معجزاتك تنفع السامع ويزداد به بصيرة في دينه وفيه النجاة والسعادة لمن أقبل عليه

على هذه الاقاصيص والاخبار حججا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تع فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه فى الوزر او فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت لك ولو جعل ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ فى الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله تع او ضمير اسرافيل عم وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوء الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم

قال الشاعر
تمتع بايام السرور فانها قصار وايام الهموم طوال

فيها

فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر لقوله تع ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف فقل ينسفها ربى نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها فيذرها فيذر مقامها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا صفصفا خاليا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلثها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعانى والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة يتبعون الداعى داعى الله تع الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن وخفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اى الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من

اذن فإن يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع على البدلية
وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن تحتمل ان يكون من الاذن او من
الاذن ورضي له قولاً اي ورضي لمكانه عند الله تع قوله في الشفاعة
او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه يعلم ما بين
ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون
به علماً ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين
او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت
الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الأسارى
في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه
المجرمين فيكون اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلماً
وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل
من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة
الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلماً منع ثواب مستحق بالوعد
ولا هضماً ولا كسراً منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره
ولم يهضم حقه وقرأ ابن كثير فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك
نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة بالوعيد
انزلناه قرآناً عربياً كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين
فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي فيصير التقوى لهم ملكة او
يحدث لهم ذكراً عظة واعتباراً حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه
النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله في
ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل

ذاته الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى
وعيده الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل
بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من
جبرائيل عم ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل
الاستطراد وقيل نهي عن تبليغ ما كان مجملاً قبل ان يأتي بيانه وقل رب
زدني علماً اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحي اليك تناله
لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه
واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف
وانما عطف قصة آدم عم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان
اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان من قبل من قبل
هذا الزمان فنسي ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصي به من الاحتراز
عن الشجرة ولم نجد له عزماً تصميم رأي وثباتاً على الامر اذ لو كان
ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك
كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن
النبي عم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم عليه السلام لرجح حلمه وقد
قال الله تع ولم نجد له عزماً وقيل عزماً على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد
ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزماً مفعولاه وان كان
من الوجود الناقص للعدم فله حال من عزماً او متعلق بنجد واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اي اذكر حاله في ذلك الوقت
ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولي العزيمة والثبات فسجدوا الا
ابليس قد سبق القول فيه ابى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود

وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله
اسجدوا الا ان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان
يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده
باسناد الشقاء اليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه
شقاءها من حيث انه قيم عليها ومحافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء
التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له
في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري و
الكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اعواض ما
عسى ان ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة
المحذر منها والعاطف وان ناب عن ان لكنه ناب من حيث انه عامل
لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان
عليه فوسوس اليه الشيطان فانهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك
على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها
الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف
فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى
آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب
الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول
العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه

بالعصيان

بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده
عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له
من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل
الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على
التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جميعا الخطاب
لآدم وحواء عليهما السلام او له ولابليس ولما كانا اصل الذرية خاطبهما
مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدو لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب
والتحارب او لاختلاف حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد
الاول قوله فاما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداي
فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري عن الهدى
الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر
وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى
وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره يكون الى اعراض الدنيا متهالكا
على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة
مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال
وضربت عليهم الذلة والمسكنة الى آخر الآية ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم
في النار وقيل عذاب القبر ونحشره قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف
وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيامة
اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منهما من الياء وفرق ابو عمرو

بأن الأول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتعجب قال كذلك أي
مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال أتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها
فعميت عنها وتركتها غير منظور إليها وكذلك ومثل تركك إياها اليوم
تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي من أسرف بالانهماك
في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها
وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار أي
والنار بعد ذلك أشد وأبقى من ضنك العيش أو منه ومن العمى ولعله إذا
دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله أو مما فعله من ترك الآيات والكفر بها
أفلم يهد لهم مسند إلى الله تعالى أو الرسول أو ما دل عليه كم أهلكنا قبلهم
من القرون أي إهلاكنا إياهم أو الجملة بمضمونها والفعل على الأول
معلق يجري مجرى أعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم
ويشاهدون آثار هلاكهم إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول
الناهية عن التغافل والمعاصي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير
عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد و
ثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به أو اسم آلة سمي به
اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة أي
ولولا العدة بتأخير العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل
منهما بنفي لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان أي لكان
الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون وسبح
بحمد ربك وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه أو نزهه
عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص حامدا له على ما ميزك

وقف

بالهدى معتبرا فإنه المولى للنعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل
غروبها يعني الظهر والعصر لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده ومن آناء الليل
ومن ساعاته جمع إني بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد فسبح يعني
المغرب والعشاء وإنما قدم زمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل
فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلى الاستراحة وكانت العبادة فيه
أحمز ولذلك قال الله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا
وأطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص
ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس مثل ظهور التثنية أو أمر بصلاة
الظهر فإنها نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير وجمعه
باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس أو بالتطوع في أجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح أي سبح في هذه الأوقات طمعا أن تنال
عند الله تعالى ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وأبو بكر بالبناء للمفعول
أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي نظر عينيك إلى ما متعنا به
استحسانا له وتمنيا أن يكون لك مثله أزواجا منهم أصنافا من الكفرة
ويجوز أن يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم أي إلى الذي
متعنا به وهو أصناف بعضهم وناسا منهم زهرة الحياة الدنيا منصوب
بمحذوف دل عليه متعنا أو به على تضمينه معنى أعطينا أو بالبدل من
محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف ودونه أو بالذم وهي الزينة
والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهو لغة كالجهرة في الجهرة أو جمع
زاهر وصف لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف
ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه أو لنعذبهم

وقف

في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة أو ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وأبقى فإنه لا ينقطع وأمر أهلك بالصلوة أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلوة بعد ما أمره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا أن ترزق نفسك ولا أهلك نحن نرزقك وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي أنه عليه السلام إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه تدل على صدقه في ادعاء النبوة أو بآية مقترحة إنكارا لما جاء به من الآيات أو للاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم بإتيانه بالقرآن الذي هو أم المعجزات وأعظمها وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم أو العمل على وجه خارق للعادة ولا شك أن العلم أصل العمل وأعلى منه قدرا وأبقى أثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم أيضا على وجه أبين من وجوه إعجازه المختصة بهذا الباب فقال أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى من التورية والإنجيل وسائر الكتب السماوية فإن اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والأحكام الكلية مع أن الآتي بها أمي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين وفيه إشعار بأنه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث أنه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها وقرئ الصحف بالتخفيف ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد عم أو البينة والتذكير لأنها

في معنى البرهان أو المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما قل كل أي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد والسوء والسوأى أي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز أن تكون الثانية موصولة بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط على أن المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وعنه من قرأ طه أعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والأنصار

سورة الأنبياء مكية وهي مائة واثنا عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله لقوله إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أو لأن كل ما هو آت قريب وإنما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب أو تأكيد للإضافة وأصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز أن يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم عن سنة

الغفلة ولجها والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث
بتنزيله ليتكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل
الا استمعوه وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم
وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون
حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء
والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت
بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او
جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو واسروا ايذانا
بانهم ظلموا فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ و
الجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول
موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر
مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى
او مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء
الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان
ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر وانكروا حضوره وانما اسروا به
تشاورا في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة
قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما
اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض
ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي
وحفص قال بالاخبار عن الرسول عليه السلام وهو السميع العليم فلا يخفى
عليه ما يسرون وما يعلنون بل قالوا اضغاث احلام

بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط
الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان
بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم
في شأن الرسول عليه السلام وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم
في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل
خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء
نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة
لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم
في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون
بالحقائق والحكم ليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه
احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى
لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلعم
نيفا واربعين سنة ما سمعوا منه كذبا وهو من كونه سحرا
لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا باية كما ارسل
الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا
وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث
ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من اهل
قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو
جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح
للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال
كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل

الذكر إن كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم فأمرهم
أن يسألوا أهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة
والإحالة عليهم إما للإلزام فإن المشركين كانوا يشاورونهم في أمر
النبي عليه السلام ويثقون بقولهم أو لأن إخبار الجم الغفير يوجب
العلم وإن كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون وما جعلناهم جسدا
لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا أنها من خواص
الملك عن الرسل تحقيقا لأنهم كانوا أبشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم
ما لهذا الرسول يأكل الطعام وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له
فإن التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي إلى الفناء و
وتوحيد الجسد لإرادة الجنس أو لأنه مصدر في الأصل أو على حذف
المضاف أو تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك
لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب
لأن أصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد أي في الوعد
فأنجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في إبقائه حكمة
كمن سيؤمن هو أو أحد من ذريته ولذلك حميت العرب عن عذاب
الاستئصال وأهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد أنزلنا إليكم
يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم كقوله وإنه لذكر لك
ولقومك أو موعظتكم أو ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الأخلاق
أفلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب
عظيم لأن القصم كسر يبين تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم كانت
ظالمة صفة لأهلها وصفت بها لما أقيمت مقامه وأنشأنا بعدها

بعد اهلاك

بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما أحسوا بأسنا فلما أدركوا
شدة عذابنا إدراك المشاهد المحسوس والضمير للأهل المحذوف
إذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين
بهم من فرط إسراعهم لا تركضوا على إرادة القول أي قيل لهم استهزاء
لا تركضوا إما بلسان الحال أو المقال والقائل ملك أو من ثم من
المؤمنين وارجعوا إلى ما أترفتم فيه من التنعم والتلذذ والإتراف
إبطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن أعمالكم
أو تعذبون فإن السؤال من مقدمات العذاب أو تقصدون
للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا إنا كنا
ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم
وقيل إن أهل حضوراء من قرى اليمن بعث إليهم نبي فقتلوه فسلط
الله عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء
يا لثارات الأنبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم
فما زالوا يرددون ذلك وإنما سماه دعوى لأن المولول كأنه يدعو
الويل ويقول يا ويل تعال فهذا أوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل
الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود
ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا
بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا إذ المعنى وجعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أو صفة له أو حال من ضميره وما
خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين وإنما خلقناها مشحونة
بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار و

وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا
بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا
ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا
او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجرام المرفوعة
والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسويتها
الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد
الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم
وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل
اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب اي بل من شاننا ان
نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو
فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم
لصلابة الرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه
المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه
بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا
ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق
هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما
لا يجوز عليه وهي في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة
وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة
المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف
على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به

نوع من الملك متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره
لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون
منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم
بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون
الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو
في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا الهة بل اتخذوا
والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة لالهة او متعلقة بالفعل
على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى
وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها
الاقتدار على جميع الممكنات والمراد تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة
في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما الهة
الا الله غير الله وصفت بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها
لما بعدها ودل ذلك على ملازمة الفساد لكون الالهة فيهما دونه والمراد
ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها
ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون
في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع
فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدرة وان تخالفت فيه
تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجرام الذي
هو محل التدابير ومنشأ المقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك
والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده
بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون

والضمير للآلهة أو للعباد أم اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما
لكفرهم واستفظاعا لأمرهم وتبكيتا وإظهارا لجهلهم أو ضما لإنكار
ما يكون لهم سندا من النقل إلى إنكار ما يكون لهم
دليلا من العقل على معنى أوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم
آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الألوهية أو وجدوا في الكتب الإلهية
الأمر بإشراكهم فاتخذوهم متابعة للأمر ويعضد ذلك أنه رتب
على الأول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده
نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك إما من العقل أو من النقل فإنه
لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا
ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا
هل تجدون فيها إلا الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك والتوحيد
لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وإنزال الكتب صح الاستدلال
فيه بالنقل ومن معي أمته ومن قبلي الأمم المتقدمة وإضافة الذكر
إليهم لأنه عظتهم وقرئ بالتنوين والإعمال فيهما وبمن الجارة على
أن مع اسم هو ظرف كقبل وبعد بل أكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون
بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على أنه خبر محذوف وسط
للتوكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون من التوحيد واتباع
الرسول من أجل ذلك وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي
إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فإن ذكر من قبلي
من حيث إنه خبر لاسم الإشارة مخصوص بالموجود بين أظهرهم وهو
الكتب الثلاثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث

قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم
عباد فيثبت أنهم مخلوقون وليسوا بالأولاد مكرمون مقربون وفيه
تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول
لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله
لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق إليهم وجعل القول محله وأداته
تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله تعالى ما لم يقله
وأنيب اللام عن الإضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ
لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته أسبقه وهم بأمره يعملون لا
يعملون قط ما لم يأمرهم به يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم لا تخفى عليه
خافية مما قدموا وأخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فإنهم
لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم ولا يشفعون
إلا لمن ارتضى أن يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته
مشفقون مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها
العلماء والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه
أظهر وإن عدي بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة أو من الخلائق
إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء
ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك
نجزي الظالمين من ظلم بالإشراك وادعاء الربوبية أولم ير الذين
كفروا أولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو أن السموات والأرض
كانتا رتقا ذات رتق أو مرتوقتين وهو الضم والالتحام أي
كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز

او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت
افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها
طبقات واقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل
كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد
بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الافاق او السموات باسرها
على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم
متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب
ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما
قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض
وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى
المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان
كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده
او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي
بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول
ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور
الايات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت
ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف
لا لامن الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا
مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف ليصير حالا فيدل على
انه حين خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها
ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى
مصالحهم

مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد
والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب
وهم عن اياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال
قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة
والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر بيان لبعض تلك الايات كل في فلك اي كل واحد
منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم
الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على
سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما
بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو
العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن
مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون
وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون
كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعدما تقرر
ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها
وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر
بالشر والخير بالبلاء والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه
والينا ترجعون فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر
وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء والتعريض للثواب
والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا
هزوا ما يتخذونك الا هزوا اي مهزوا به ويقولون

أهذا الذي يذكر آلهتكم أي بسوء وإنما أطلقه لدلالة الحال فإن
ذكر العدو لا يكون إلا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد أو بإرشاد
الخلق ببعث الرسل وإنزال الكتب رحمة عليهم أو بالقرآن
هم كافرون منكرون فهم أحق أن يهزأ بهم وتكرير الضمير
للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الإنسان
من عجل كأنه خلق منه لفرط استعجاله وقلة ثباته كقولك خلق
زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة
في لزومه له ولذلك قيل إنه على القلب ومن عجلته مبادرته إلى
الكفر واستعجال الوعيد روي أنها نزلت في النضر بن الحارث حين
استعجل سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا كوقعة بدر وفي الآخرة
عذاب النار فلا تستعجلون بالإتيان بها والنهي عما جبلت عليه
نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد وقت
وعد العذاب أو القيامة إن كنتم صادقين يعنون النبي وأصحابه
لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا
عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به
أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد
وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على
دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز أن يترك
مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا
ويعلمون بطلان ما هم عليه حين لا يكفون وإنما وضع الظاهر فيه
موضع الضمير للدلالة على ما أوجب لهم ذلك بل تأتيهم العدة

أو النار أو الساعة بغتة فجأة مصدر أو حال وقرئ بفتح الغين
فتبهتهم فتغلبهم أو تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد
أو للحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها لأن الوعد بمعنى
النار أو العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز أن يكون للنار أو
البغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بإمهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون وعد
له بأن ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق المستهزئين بالأنبياء ما
فعلوا يعني جزاءه قل من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن
من بأسه إن أراد بكم وفي لفظ الرحمن تنبيه على أن لا كالئ غير
رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون
لا يخطرونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى إذا كلئوا منه عرفوا
الكالئ وصلحوا للسؤال عنه أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا
بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا أو من عذاب يكون
من عندنا والإضرابان عن الأمر بالسؤال عن الترتيب فإنه عن
المعرض الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه أبعد لا يستطيعون
نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بإبطال ما اعتقدوه فإن
ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر إضراب عما
توهموا ببيان ما هو الداعي إلى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع
بما قدر لهم من الأعمار أو عن الدلالة على بطلانه ببيان ما أوهمهم

ذلك وهو انه تع متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم
فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه
بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها وهو
تصوير لما يجري به الله تع على ايدي المسلمين افهم الغالبون
رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي
ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع على خطاب النبي عم
وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم
للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعوه اذا ما ينذرون
منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او
للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه
مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح
هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة من عذاب ربك
من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على
انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط
العدل يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل
لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد
القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم
القيمة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا
تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل
اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على

كان التامة أتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء
فانه قريب من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم
بالجزاء وأثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته
الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا
موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع
لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات
الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصرة وقيل فلق البحر وقرئ
ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة
للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او
المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصدير الضمير
وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير
خيره انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم افانتم له منكرون استفهام
توبيخ ولقد آتينا ابرهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته
ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة
من قبل من قبل موسى وهرون او محمد عليهم السلام وقيل من قبل
استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين
علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال
وفيه اشارة الى ان فعله تع باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات
اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها

لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فإن تعدية العكوف بعلى والمعنى أنتم فاعلون العكوف لها ويجوز أن يؤول بعلى أو يضمن العكوف
معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب
عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد
كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل
لعدم استناد الفريقين إلى دليل والتقليد إن جاز فإنما يجوز
لمن علم في الجملة أنه على حق قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين
كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا
أبالجد تقوله أم باللعب قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي
فطرهن إضراب عن كونه لاعبا بإقامة البرهان على ما ادعاه وهن
للسموات والأرض أو للتماثيل وهو أدخل في تضليلهم وإلزام الحجة
عليهم وأنا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين
له والمبرهنين عليه فإن الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله
وقرئ بالباء وهي الأصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب
لأكيدن أصنامكم لأجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من
التعجب لصعوبة الأمر وتوقفه على نوع من الحيل بعد أن تولوا عنها
مدبرين إلى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال
بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو
لغة أو جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ
وجذذا جمع جذة إلا كبيرا لهم للأصنام كسر غيره واستبقاه وجعل
الفأس على عنقه لعلهم إليه يرجعون لأنه غلب على ظنه أنهم لا يرجعون

إلا إليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم
بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم أو أنهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه
عن كاسرها إذ من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل العقد فيبكتهم
بذلك أو إلى الله تعالى أي يرجعون إلى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم
قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين بجرأته على
الآلهة الحقيقة بالإعظام أو بإفراطه في حطمها أو بتوريطه نفسه
للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني
مفعولي سمع أو صفة لفتى مصححة لأن يتعلق به السمع وهو أبلغ في
نسبة الذكر إليه يقال له إبراهيم هو إبراهيم ويجوز رفعه بالفعل لأن
المراد به الاسم قالوا فأتوا به على أعين الناس بمرأى منهم بحيث يتمكن
صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب لعلهم يشهدون
بفعله أو قوله أو يحضرون عقوبتنا له قالوا أأنت فعلت هذا
بآلهتنا يا إبراهيم حين أحضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم
إن كانوا ينطقون أسند الفعل إليه تجوزا لأن غيظه لما رأى من زيادة
تعظيمهم له تسبب لمباشرته إياه أو تقريرا لنفسه مع الاستهزاء
والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما
كتبته بخط رشيق أأنت كتبت هذا فقلت بل كتبته أنت أو حكاية
لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل إنه في المعنى متعلق بقوله إن كانوا
ينطقون وما بينهما اعتراض أو إلى ضمير فتى أو إبراهيم وقوله كبيرهم
هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روي أنه عليه السلام
قال لإبراهيم ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته

صوت له فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا بعضهم لبعض
انكم انتم الظالمون بهذا السوال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا
ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم
انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى
الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا
بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فكيف تأمرنا بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون
الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم
ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين
واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف
له افلا تعقلون صنيعكم قالوا اخذوا في المضادة لما عجزوا عن
المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم
بالانتقام له ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل
فيهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل
نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اى
ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته
مامورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اى وسلمنا سلاما عليه وروى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا
فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها

فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك
فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة
روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح
فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابرهيم
وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء
طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من
معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذيتها كما
ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا
مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر عاد سعيهم
برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم عليه الصلوة والسلام على
الحق وموجبا واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاته العامة
ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي
مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم
والخصب الغالب وروى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سال وهو اسحق
فيختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا
صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين
وجعلناهم ائمة يقتدى بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم
بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل

الخيرات ليحثوهم عليها فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان
تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل
وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه
مقامه وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة
ولذلك قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا
بين الخصوم وعلما بما ينبغي للانبياء ونجيناه من القرية قرية
سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها بصفة
اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل
عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه
في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين
سبقت منا الحسنى ونوحا اذ نادى دعا الله على قومه
بالاهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه
واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم
الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين
كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع
الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا
واهلكهم الله تع وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع
وقيل كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا
وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين ففهمناها
سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود

عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو
ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما تدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم
يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا
والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي
بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي
وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك
قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا و
افسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية
حفظها بالليل وعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان الا ان يكون معها
حافظ لقوله عم جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما دليل
على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل ان كل مجتهد مصيب وهو
مخالف لقوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله
ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن يقدسن الله تع معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له
او بخلق الله تع فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او
استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلق بسخرنا او يسبحن
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء
او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع
منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو
في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح

وقف

فحلقها فسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من بأسكم بدل
منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام او للبوس وفي
قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تأويل الدرع
وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله تعالى فهل انتم شاكرون ذلك
امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان
وسخرنا له ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان
عليه السلام نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود
بالاضافة اليه الريح عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد
بكرسيه في مدة يسيرة كما قال عز وجل غدوها شهر ورواحها
شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة
اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من
الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام منزلها
بعد ما سارت به بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة
ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها
ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة
ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون الى اعمال اخر كبناء المدائن
والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله يعملون له ما يشاء
من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره
او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني
مسني الضر بان مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء
معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص في النفس كمرض

وقف

وهزال

وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر
نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال
وكان روميا من اولاد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر اهله
وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب
امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او
سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت
ميشا بن يوسف عليهما السلام او رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت
له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء قالت ثمانين
سنة فقال انا استحي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي
مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه
وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده
وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب و
تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا
العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس
وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان
ذا حظ من الله او تكفل بجمع صيام نهاره وقيام جميع ليله او ضعف
عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة
والضعف كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد
النوبة وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من
الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم
عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب

وقف

وقف

وقف

وقف

مغاضباً لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل
أن يؤمروا وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعاد فتابوا ولم يعرف
الحال فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة
أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ
مغضبا فظن أن لن نقدر عليه لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة
من القدر ويعضده أنه قرئ مثقلا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل
تمثيل لحاله بحال من ظن أن لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لأمرنا
أو خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء
وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات
في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو ظلمات بطن الحوت والبحر والليل أن لا إله
إلا أنت بأنه لا إله إلا أنت سبحانك من أن يعجزك شيء إني كنت من الظالمين
لنفسي بالمبادرة إلى المهاجرة وعن النبي عم ما من مكروب يدعو بهذا
الدعاء إلا استجيب له فاستجبنا له ونجيناه من الغم بأن قذفه الحوت
إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلثة أيام والغم
غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم
دعوا الله تع فيها بالإخلاص وفي الإمام نجي فلذلك أخفى الجماعة النون
الثانية فإنها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بتشديد
الجيم على أن أصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في
تظاهرون وهي وإن كانت فاء فحذفها أوقع من حذف حرف المضارعة
التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فإن الداعي إلى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف

اللبس

اللبس وقيل هو ماض مجهول أسند إلى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا
ورد بأنه لا يسند إلى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن
آخره وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد
يرثني وأنت خير الوارثين فإن لم ترزقني من يرثني فلا أبالي به
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه أي أصلحناها
للولادة بعد عقرها أو لزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة إنهم
يعني المتوالدين أو المذكورين من الأنبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون إلى أبواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب
أو راغبين في الثواب راجين الإجابة أو في الطاعة وخائفين العقاب
أو المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين أو دائمي الوجل والمعنى
أنهم نالوا من الله تع ما نالوا بهذه الخصال والتي أحصنت فرجها
من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها في عيسى فيها أي أحييناه في
جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذي هو
بأمرنا وحده أو من جهة روحنا جبرئيل عليه السلام وجعلناها وابنها
أي قصتهما أو حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين فإن من تأمل
حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى الله عما يصفون إن هذه أمتكم
أن ملة التوحيد أو الإسلام ملتكم التي يجب عليكم أن تكونوا عليها فكونوا
عليها أمة واحدة غير مختلفة فيما بين الأنبياء أو لا مشاركة لغيرها في
صحة الاتباع وقرئ أمتكم بالنصب على البدلية وأمة بالرفع على الخبر
وقرئتا بالرفع على أنهما خبران وأنا ربكم لا إله لكم غيري فاعبدون
لا غير وتقطعوا أمرهم بينهم صرفه إلى الغيبة التفاتا لينعى على

الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بينهم فعلم الى
غيرهم كل كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون فنجازيهم ومن يعمل من
الصالحات وهو مؤمن بالله تع ورسوله فلا كفران لسعيه فلا
تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفي
الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله لا
تضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم
وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون
رجوعهم الى التوبة او الحيوة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو
مبتداء خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقدير
توبتهم او حيوتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا
يتوبون وحرام خبر محذوف اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور
في الاية المتقدمة ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب
عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام
او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اي يستمر الامتناع او
الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو
فتح سد ياجوج وماجوج وهي حتى التي تحكى الكلام بعدها والمحكي
هي الجملة الشرطية وقرا ابن عامر ويعقوب بالتشديد فتحت وهم
يعني ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض
وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان الذئب
وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هي شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة وسدت مسد الفاء

الجزائية

الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تظاهرت على
وصل الجزاء بالشرط فيتاكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار
يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة
من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر
وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان
وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روي انه
عليه السلام لما تلا الاية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد
خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى
المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تع ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الاية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون
ما مؤولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روي ان ابن الزبعرى قال
هذا شيء لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه السلام
بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين سبقت لهم بيانا للتجوز
او التخصيص تاخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج
به من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا
بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم و
واللام معوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم
لاجلها لو كان هؤلاء الهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب
لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير
انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب

انا اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول و
شدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق بالطاعة او
البشرى من الجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين
روى ان عليا رضي الله عنه خطب وقرا هذه الاية ثم قال انا
منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد و
عبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح ثم اقيمت الصلوة فقام
يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها بدل من مبعدون او حال
من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به
وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم
وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع
الاكبر النفخة الاخيرة بقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من
في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق
على النار او يذبح الموت وتتلقيهم الملئكة تستقبلهم مهنئين
هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون
في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او
تتلقيهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد
بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك
لانها نشرت مظلة لبني ادم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ
بالياء والتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي
الطومار لاجل الكتابة اي ليكتب او لما يكتب فيه وتدل عليه قراءة

حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل
السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل
وهما لغتان فيه كما بدانا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأه اعادة
مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة
والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان
الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء
وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده
او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل
الذي بدانا نعيده واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير الموصول المحذوف
وعدا مقدر بفعله تاكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة
علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا
في الزبور كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر اي التورية وقيل
المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان
الارض ارض الجنة او ارض المقدسة يرثها عبادي الصالحون
يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر من
الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ
الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين لانه ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب
لاصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من

من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم
إله واحد أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد وذلك
لأن المقصود الأصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالأول لقصر
الحكم على الشيء والثانية على العكس فهل أنتم مسلمون مخلصون
العبادة لله تعالى على مقتضى الوحي المصدق بالحجة وقد عرفت
أن التوحيد مما يصح إثباته بالسمع فإن تولوا عن التوحيد فقل
آذنتكم أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم على سواء مستوين في الإعلام به
أو مستوين أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو إيذانا
على سواء وقيل أعلمتكم أني على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان
النير وإن أدري وما أدري أقريب أم بعيد ما توعدون من
غلبة المسلمين أو الحشر لكنه كائن لا محالة إنه يعلم الجهر من القول
ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام ويعلم ما تكتمون من الإحن
جمع إحنة وهي الحقد والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وإن أدري
لعله فتنة لكم وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة
في افتتانكم أو امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع إلى حين وتمتيع
إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا
وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لاستعجال العذاب والتشديد
عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله عم وقرئ رب
بالضم وربي أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الإحكام وربنا
الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما
تصفون من الحال بأن الشوكة تكون لهم وأن راية الإسلام

تخفق

تخفق أياما ثم تسكن وأن الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب
الله دعوة رسوله فخيب أمانيهم ونصر رسوله عليهم وقرأ
عاصم بالياء وعن النبي عم من قرأ سورة اقترب حاسبه الله
حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية إلا ست آيات من هذان خصمان إلى صراط
الحميد وهي ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة تحريكها الأشياء
على الإسناد المجازي أو تحريك الأشياء فيها فأضيف إليها إضافة معمول
بتقدير في أو إضافة المصدر على الظرف على إجرائه مجرى المفعول وقيل
هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها وإضافتها إلى الساعة لأنها
من أشراطها شيء عظيم هائل علل أمرهم بالتقوى بفظاعة الساعة
ليتصوروها بعقولهم ويعلموا أنه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس
التقوى فيبقوا على أنفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها
تذهل كل مرضعة عما أرضعت ويوم منصوب بتذهل وقرئ تذهل
وتذهل مجهولا ومعروفا أي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب
عن الأمر بدهشة والمقصود الدلالة على أن هولها بحيث إذا دهشت
التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة أو
مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى
كأنهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد
فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم وأذهب تمييزهم وقرئ ترى
من أريتك قائما أو رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه على أنه نائب مناب

الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها
الجميع وان السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي
سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في
الله بغير علم نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة
بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي
تعم اضرابه ويتبع في المجادلة او في عامة احواله كل شيطان
مريد متجرد للفساد واصله العري كتب عليه على الشيطان انه
من تولاه تبعه والضمير للشأن فانه يضله خبر لمن او جواب له والمعنى
كتب عليه اضلال من تولاه لانه جعل عليه على تقدير فشانه انه يضله
لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين
على حكاية المكتوب او اضمار القول او تضمين الكتب معناه ويهديه
الى عذاب السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم
في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث
بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح
ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم عليه السلام منه او الاغذية
التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب ثم من
علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم قدر ما
يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيه ولا عيب وغير مسواة
او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم بهذا
التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون
مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على

ذكر

ذكر ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه تبين بها من قدرته
وحكمة ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى
اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر
اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا
على لنبين كأن خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام
حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا و
نصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت
على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم
لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع
نعمة كأنها شدة في امور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله
وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله تع ومنكم من يرد الى ارذل العمر
الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود
كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم
فينسى ما علمه وينكر ما عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث
بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة
فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة
يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي
ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج من كل صنف رائق وهذه
دلالة ثالثة كررها في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة وذلك اشارة
الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة

اِحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اى بسبب
انه الثابت فى نفسه الذى به تتحقق الاشياء وانه يحيى الموتى والا
لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شىء قدير لان قدرته
لذاته الذى يستوى اليه الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على
احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة
اتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه
وان الله يبعث من فى القبور بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف
ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به
من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال
او وحى او الاول فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم
الفطرى ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثانى عطفه متكبرا وثنى
العطف كناية عن التكبر كلى الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به و
قرئ بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى
المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال
وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له فى الدنيا خزى وهو ما
اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق المحرق
وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول
اى يقال له يوم القيمة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته
من الكفر والمعاصى وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازلهم
على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف

على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون على طرف الجيش فان احس
بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه روى انها نزلت فى اعاريب قدموا الى المدينة
وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت
امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ
دخلت فى دينى هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال
ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابى سعيد رضى الله عنه ان يهوديا
اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال اقلنى فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا
والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر
بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير
تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين
اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد من
المقصد مستعار من ضلال من ابعد فى التيه ضالا يدعو لمن ضره
بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الاخرة
اقرب من نفعه الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل
بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم
قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى
يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره
به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ خبره لبئس

المولى ولبئس العشير الصاحب إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد من
إثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان
يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى أن
الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك
ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب
إلى السماء ثم ليقطع فليستقص في إزالة غيظه أو جزعه بأن يفعل كل ما
يفعله الممتلئ غيظا أو المبالغ جزعا حتى يمد حبلا إلى سماء بيته فيختنق
من قطع إذا اختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه أو فليمدد حبلا إلى
سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره
أو تحصيل رزقه فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك
وسماه على الأول كيدا لأنه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه أو الذي
يغيظ من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤوا نصر الله تعالى
لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الإنزال
أنزلناه أنزلنا القرآن كله آيات بينات واضحات وأن الله يهدي
ولأن الله يهدي أو يثبت على الهدى من يريد هدايته أو ثباته أنزله
كذلك مبينا إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة بالحكومة
بينهم وإظهار المحق منهم من المبطل أو الجزاء فيجازي كلا ما يليق به
ويدخله المحل المعد له وإنما أدخلت إن على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد
التأكيد إن الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لأحواله ألم تر أن الله

يسجد

يسجد له من في السماوات ومن في الأرض يتسخر لقدرته ولا يتأبى
عن تدبيره أو يدل بذلّه على عظمة مدبره ومن يجوز أن يعم أولي
العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم
والجبال والشجر والدواب إفرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد
ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف أو الجمع
بين الساكنين وكثير من الناس عطف عليها إن جوزنا إعمال
اللفظ الواحد في كل واحد من مفهوميه وإسناده باعتبار أحدهما إلى
أمر وباعتبار الآخر إلى آخر فإن تخصيص الكثير يدل على خصوص
المعنى المسند إليهم أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو
حق له الثواب أو فاعل فعل مضمر أي يسجد له كثير من الناس سجود
طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وإبائه عن الطاعة ويجوز
أن يجعل وكثير تكريرا للأول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب
وأن يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ
حُق بالضم وحقا بإضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم
يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الإكرام إن الله يفعل ما
يشاء من الإكرام والإهانة هذان خصمان أي فوجان مختصمان
ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما
المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه أو في ذاته وصفاته
وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق
بالله وأقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق
بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون

كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا هو فصل
لخصومتهم وهو المعنى بقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيامة
قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب
من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤوسهم
الحميم حال من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر
به ما في بطونهم والجلود اي يؤثر من فرط حرارته في باطنهم ما يؤثره
في ظاهرهم فتذاب به احشاؤهم كما تذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم
او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه
يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اي يكف بعنف كلما ارادوا
ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار
اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج
وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع
فيهوون وذوقوا اي قيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة في
الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تع
واكده احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون فيها من
حليت المرأة اذا البست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور
صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب
بيان له ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه
الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار
الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وقرئ ولولوا بقلب

الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء وليليا بقلبها
يائين ولول كادلي ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه
للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة
الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي
صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه
او عاقبته وهو الجنة او الحق المستحق لذاته الحمد وهو الله تع وصراطه
الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا
ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي
ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان
محذوف دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف
على اسم الله تع واراد له الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه
للناس سواء العاكف فيه والباد اي المقيم والطاري على عدم جواز
بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تع الذين
اخرجوا من ديارهم وشرى عمر رضي الله عنه دارا للسجن فيها
من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون
للناس حالا او الا حال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح
من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان
مترادفان او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا
بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب

لس وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت واذكر إذ عيّناه وجعلناه له
مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف أي وإذ أنزلناه فيه قيل رفع
البيت إلى السماء أو انطمس أيام الطوفان فأعلم الله تع مكانه بريح
أرسلها فكنست ما حوله فبناه على أساسه القديم أن لا تشرك بي شيئاً
وطهّر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود أن مفسرة
لبوّأنا من حيث إنه تضمن معنى تعبّدنا لأن التبوئة من أجل العبادة
أو مصدرية موصولة بالنهي أي فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتي وتطهّر
بيتي من الأوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعله عبّر عن
الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك
كيف وقد اجتمعت وقرئ ويشرك بالياء وأذّن في الناس ناد فيهم
وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والأمر به روي أنه صعد أبا قبيس
فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله تع من في أصلاب الرجال
وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تع أن يحج
وقيل الخطاب لرسول الله أمر بذلك في حجة الوداع يأتوك رجالا
مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله
ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر أي وركباناً على كل بعير مهزول أتعبه
بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لأن المراد بها
نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند إعداد

الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لأن ذبح المسلمين
لا ينفك عنه تنبيهاً على أنه المقصود مما يتقرب به إلى الله تع في أيام معلومات
هي عشر ذي الحجة وقيل أيام النحر على ما رزقهم من بهيمة الأنعام علّق
الفعل بالمرزوق وبيّنه بالبهيمة تحريضاً على التقرب وتنبيهاً على
مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها أمر بذلك إباحة وإزاحة لما عليه
أهل الجاهلية من التحرج فيه أو ندباً إلى مواساة الفقراء ومساواتهم
وهذا في المتطوع به دون الواجب وأطعموا البائس الذي أصابه
بؤس أي شدة الفقير المحتاج والأمر فيه للوجوب وقد قيل به في
الأول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والأظفار
ونتف الإبط والاستحداد عند الإحلال وليوفوا نذورهم ما
ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا طواف
الركن الذي به تمام التحلل فإنه قرينة قضاء التفث وقيل طواف
الوداع بالبيت العتيق القديم لأنه أول بيت وضع للناس أو
المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار إليه ليهدمه فمنعه الله تع
وأما الحجاج فإنما قصد إخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك
خبر محذوف أي الأمر ذلك وهو وأمثاله يطلق للفصل بين كلامين
ومن يعظم حرمات الله أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه أو الحرم
وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد
الحرام والشهر الحرام فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثواباً
وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم إلا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم
منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله

كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الأوثان فاجتنبوا الرجس
الذي هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس وهو غاية المبالغة في النهي عن
تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص
فإن عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه
ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم
الأوثان والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور
لما روي أنه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى
ثلاثاً وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الإفك
من الأفك وهو الصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء
لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله
فكأنما خر من السماء لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر
فتخطفه الطير فإن الأهواء المردية توزع أفكاره أو تهوي به الريح
في مكان سحيق بعيد فإن الشيطان قد طوح به في الضلالة وأو للتخيير
كما في قوله أو كصيب أو للتنويع فإن من المشركين من لا خلاص له أصلاً
ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز أن يكون من التشبيهات
المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكاً يشبه
أحد الهالكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله أو فرائض الحج
ومواضع نسكه أو الهدايا لأنها من معالم الحج وهو أوفق لظاهر ما بعده
وتعظيمها أن تختارها حساناً سماناً غالية الأثمان روي أنه عليه السلام أهدى
مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر رضي الله عنه
أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فإنها من تقوى القلوب فإن

تعظيمها

تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
إلى من وذكر القلوب لأنها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما
لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق أي لكم فيها منافع
درها ونسلها وصوفها وظهرها إلى أن تنحر ثم وقت نحرها منتهية
إلى البيت أي ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخي في الوقت والتراخي
في الرتبة أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت النحر وبعده منافع
دينية أعظم منها وهو على الأولين متصل بحديث الأنعام والضمير
فيه لها أو المراد على الأول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها إلى أجل
مسمى هو الموت ثم محلها منتهية إلى البيت الذي ترفع إليه الأعمال
أو يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور أو الجنة وعلى الثاني لكم فيها
منافع التجارات في الأسواق إلى وقت المراجعة ثم وقت الخروج
منها منتهية إلى الكعبة بالإحلال بطواف الزيارة ولكل أمة ولكل
أهل دين جعلنا منسكاً متعبداً أو قرباناً يتقربون به إلى الله تعالى
وقرأ حمزة والكسائي بالكسر أي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون
غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه علل الجعل به تنبيهاً على أن المقصود من
المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الأنعام عند ذبحها
وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون نعماً فإلهكم إله واحد فله أسلموا
أخلصوا التقرب أو الذكر ولا تشوبوه بالإشراك وبشر المخبتين
المتواضعين له أو المخلصين فإن الإخبات صفتهم الذين إذا ذكر
الله وجلت قلوبهم هيبة منه لإشراق أشعة جلاله عليها والصابرين
على ما أصابهم من المصائب والكلف والمقيمي الصلاة في أوقاتها ومما

المقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير
والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما
سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من
مشاركة البقر لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن
سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع
ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفعه جعله مبتدأ
من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع
دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها
الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات
قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام
على ثلث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم
على ثلث وصوافنا بابدال التنوين حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي
اي خوالص لوجه الله تع وصوافي على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم
اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية
عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير
مسئلة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا
خضعت له في السؤال والمعتر والمتعرض بالسؤال وقرئ والمعتري
يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها
قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تاخذوها منقادة فتعقلوها
وتحبسوها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون
انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه

وقف

ولن

وقف

ولن ينفع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة
بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه
ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى تعظيم امر الله تع والتقرب
اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا
الكعبة بدمائها قربة الى الله تع فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها
لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا
عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو
التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما تحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما ياتونه ويذرونه
ان الله يدافع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرا نافع وابن
عامر والكوفيون يدافع اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه
ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله تع وامانة عباده كفور لنعمته
كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم اذن
رخص وقرا ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل
وهو الله تع للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته
عليه وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم
المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلعم
كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه من بين مضروب ومشجوج
يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر
فنزلت وهي اول اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية

وقف

وإن الله على نصرهم لقدير بالنصر كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم الذين أخرجوا من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به إلا أن يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرئ دفاع وهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهابنة وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود وسميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرانية فعربت ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للأربع أو لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد أنجز وعده بأن سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم إن الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين أخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل من من ينصره ولله عاقبة الأمور فإن مرجعها إلى حكمه وفيه تأكيد لما وعده وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبرهيم وقوم لوط وأصحاب مدين تسلية له بأن قومه وإن كذبوه فهو ليس بأوحدي في التكذيب فإن هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبني الفعل للمفعول لأن قومه بنو إسرائيل ولم يكذبوه وإنما كذبه

القبط ولأن تكذيبه كان أشنع وآياته كانت أعظم وأشيع فأمليت للكافرين فأمهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم أخذتهم فكيف كان نكير إنكاري عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكأين من قرية أهلكناها بإهلاك أهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة أي أهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز أن يكون خبرا بعد خبر أي هي خالية وهي على عروشها أي مطلة عليها بأن سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على أهلكناها لا على وهي ظالمة فإنها حال والإهلاك ليس حال ظلمها فلا محل لها إن نصبت كأين بمقدر يفسره أهلكناها وإن رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية أي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها وقرئ بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع بنيانه أو مجصص أخليناه من ساكنيه وذلك يقوي أن معنى خاوية على عروشها خالية وقيل المراد ببئر بئر في سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان عليه السلام من بقايا قوم صالح عليه السلام فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما أفلم يسيروا في الأرض حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا ولم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب أن يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال أو آذان

يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك بالتقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى أفأكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وكأين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخره لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والي المصير والى حكمي مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة

ثم بيان ٤

وانما قال نذير مبين ولم يقل بشير ونذير

في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انه حال مقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء امته بهم والنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة

تحكم بنسخه ولما سمع المشركون انه يقرأ ذكر آلهتهم فلما انتهى الى آخر السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون ... والغرانيق جمع غرنوق بكسر العين المهملة وهو طويل العنق من طير الماء وقيل بمعنى السادات واذا اريد منها اللات والعزى

نزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه يقربهم اليه
واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم
فأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان
حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في
آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم
نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله تعالى بهذه الآية
وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت
على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله
اول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء
الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون
انه من قراءة النبي عليه السلام فقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق
على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم
يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو
على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه
المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق
والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع
الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق
او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق
من ربك اي القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى او تمكين الشيطان

من الالقاء هو الحق الصادر من الله تعالى لانه مما جرت به عادته
في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فيؤمنوا به بالقرآن او
بالله تعالى فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي
الذين آمنوا فيما اشكل الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم
الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن
او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ما باله ذكرها
بخير ثم ارتد عنه حتى تأتيهم الساعة القيامة او الموت او اشراطها
بغتة فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه
كيوم بدر سمي به لانه لا ولد للنساء يقتلون فيه فيصرن كالعقيم
او لان المقاتلين ابناء الحرب واذا قتلوا صارت عقيما فوصف
اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم
لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة
فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع
ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة
التي دلت عليه الغاية اي يوم تزول مريتهم بالمجازاة والضمير
يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه
على ان اثابة المؤمنين بالحسنات تفضل من الله تعالى وان عذاب
الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم
في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا في الجهاد او ماتوا

ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى بين من قتل
في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد واصل
العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا
قد علمنا ما اعطاهم الله تع من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا معك فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق
بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه
وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في
العقوبة ذلك اي الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم
يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء
للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه
الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم
الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال
قدرته وتعالي شانه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه
على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل بسبب ان الله تع قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار
عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد
الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة في مكان ضوء
النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع
قول المعاقب عليه بصير يرى افعالهما فلا يهملها ذلك الوصف بكمال العلم

والقدرة بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان
وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدا لكل ما يوجد سواه
عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا
عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فتكون الواو
لما فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالهية
وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى
منه شانا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام
تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب
جوابا لدل على نفي الاخضرار كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني
والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضي للدلالة على بقاء
اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل
ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته عن كل شيء
الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على
اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او
خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع
بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك
يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر
الاجسام في الجسمية فيكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان

الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح لهم
أبواب المنافع ودفع عنهم أنواع المضار وهو الذي أحياكم بعد أن كنتم
جماداً عناصر ونطفاً ثم يميتكم إذا جاء أجلكم ثم يحييكم في الآخرة إن
الإنسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل أمة أهل دين جعلنا
منسكاً متعبداً أو شريعة تعبدوا بها وقيل عيداً هم ناسكوه ينسكونه
فلا ينازعنك سائر أرباب الملل في الأمر في أمر الدين أو النسائك
لأنهم بين جهال وأهل عناد أو لأن أمر دينك أظهر من أن يقبل النزاع
وقيل المراد نهي الرسول عليه السلام عن الالتفات إلى قولهم وتمكينهم
من المناظرة المؤدية إلى نزاعهم فإنها إنما تنفع طالب الحق وهؤلاء
أهل مراء أو عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا إنما يجوز
في أفعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين
ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك
على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على أنه من نازعته
فنزعته إذا غلبته وادع إلى ربك إلى توحيده وعبادته إنك لعلى
هدى مستقيم طريق إلى الحق سوي وإن جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت
الحجة فقل الله أعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فمجازيكم
عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم
والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيامة كما فصل في الدنيا بالحجج
والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من أمر الدين ألم تعلم أن الله يعلم
ما في السماء والأرض فلا يخفى عليه شيء إن ذلك في كتاب هو
اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له

إن ذلك إن الإحاطة به وإثباته في اللوح أو الحكم بينكم على الله يسير
لأن علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من
دون الله ما لم ينزل به سلطاناً حجة تدل على جواز عبادته وما ليس
لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل أو استدلاله وما للظالمين
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم أو يدفع
العذاب عنهم وإذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات
الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الإلهية تعرف في وجوه الذين
كفروا المنكر الإنكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لأباطيل أخذوها
تقليداً وهذا منتهى الجهالة وللإشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع
الضمير أو ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من
غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما
تلوا عليكم النار أي هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز
أن يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على
الاختصاص وبالجر بدلاً من بشر فيكون الجملة استئنافاً كما إذا وقعت
خبراً أو حالاً منها وبئس المصير النار يا أيها الناس ضرب مثل بين
لكم حال مستغربة أو قصة رائعة ولذلك سماها مثلاً أو جعل
لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل أو لشأنه
استماع تدبر وتفكر إن الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام
وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنياً للمفعول والراجع إلى الموصول
محذوف على الأولين لن يخلقوا ذباباً لا يقدرون على خلقه مع صغره

لأن لن بما فيه من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه
والذباب من الذب لأنه يذب وجمعه أذبة وذبان ولو اجتمعوا
له أي للخلق وهو مع جوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة أي
لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا
منفردين وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم
غاية التجهيل بأن أشركوا إلها قدر على المقدورات كلها وتفرد
بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك
بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها ولو اجتمعوا له بل لا
تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها وعن
استنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل
ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف
الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده أو الذباب يطلب ما
يسلب من الصنم من الطيب والصنم يطلب منه الذباب السلب
أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه فلو حققت وجدت
الصنم أضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق
معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه
مناسبة إن الله لقوي على خلق الممكنات بأسرها عزيز لا يغلبه شيء
وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن أقلها مقهورة من أذلها الله يصطفي
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الأنبياء بالوحي ومن
الناس يدعون سائرهم إلى الحق ويبلغون إليهم ما نزل عليهم كأنه
لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاته بين

أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم
إلى عبادة الله تعالى وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من
الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك إن الله
سميع بصير مدرك للأشياء كلها يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم عالم
بواقعها ومترقبها وإلى الله ترجع الأمور وإليه يرجع الأمور كلها
لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم
يسألون يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في صلاتكم أمرهم
بهما لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام أو صلوا وعبر عن الصلاة
بهما لأنهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا
واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير
وأصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام و
ومكارم الأخلاق لعلكم تفلحون أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون
الفلاح غير متيقنين له واثقين على أعمالكم والآية آية سجدة
عندنا لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود ولقوله عليه السلام فضلت
سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها وجاهدوا في الله
لله تعالى ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وعنه عليه السلام أنه رجع عن غزوة تبوك فقال
رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر حق جهاده أي جهادا
فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك
هو حق عالم وأضيف الجهاد إلى الضمير اتساعا أو لأنه مختص بالله تعالى من

حيث انه مفعول بوجه الله تعالى وفي فعله وما جعل عليكم في الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم منتصب على المصدر لفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله عليه السلام وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا في القرآن والضمير لله تعالى ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة وتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل والشرف

قوله وقد تثبت المتوقع كلمة قد سواء دخلت على الماضي وللمضارع تدل على معنى تحقيق مضمون ما هي عليه وكونه متوقعا لمن تخاطبه واذا دخلت على الماضي ينضاف هذين المعنيين التقريب من الحال نحو قد ركب الامير واذا دخلت على المضارع ينضاف اليها على الاغلب معنى التقليل نحو ان الكذوب قد يصدق اى حقا يصدر منه الصدق وان كان قليلا وقال البغوي قد حرف تاكيد وقال المحققون قد تقرب الماضي من الحال فيدل على ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه في الحال وهو معنى قول المصنف ويدل على ثباته اى على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو ... قوله على لغة اكلوني البراغيث اى على ان يكون الواو حرفا دالا على ان الفاعل جمع كما ان تاء تعلق دالة على انه مؤنث وليست ضمير الفاعل او على ان يكون ضميرا مبهما يفسره المؤمنون قوله وافلح بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو

واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل على الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرا ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلوتهم خاشعون خائفون من الله تعالى متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه عليه السلام راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة واقامة الاعراض

مقام الترك ليدل على بعدهم عنه راسا مباشرةً وتسببا وميلا و
حضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين
هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة ليدل
على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب
عن المحرمات وسائر ما توجب المروة اجتنابه والزكوة يقع على المعنى
والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه
او الثاني على تقدير مضاف محذوف والذين هم لفروجهم حافظون
لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم
وعلى صلة لحافظون من قولك احفظ علي عنان فرسي او حال اي حفظوها
في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك
مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شايع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله
والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس
واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء
اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى
وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان
والذين هم لاماناتهم وعهدهم اي ما يؤتمنون ويعاهدون من جهة
الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرا ابن كثير لامانتهم
على الافراد لامن الالتباس او لانها في الاصل مصدر والذين هم على صلواتهم
يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه
لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس
ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة

عليها

عليها وفي تصدير الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك
الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وارثا
دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد
للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتاكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم
الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم
يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى
خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون
انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف
لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة
فيكون ابتدائية كالاولى والانسان آدم عليه الصلوة والسلام
خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت
نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم عليه السلام لانه خلق منه
والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان
خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تاويل الجوهر
او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل
صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة
علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام
لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف
العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة

وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس وقرئ بافراد احدهما
وجمع الاخر ثم انشأناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح او القوى
بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت فاحتج به ابو حنيفة
رحمه الله على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمانها لا الفرخ لانه
خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه وقدرته وحكمته احسن الخالقين
المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون
لصائرون الى الموت لا محالة ولذا ذكر النعت الذي للثبوت دون
اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيامة تبعثون للمحاسبة
والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سموات لانها طورق
بعضها فوق بعض مطارقة النعل فكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها
طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق
الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل
نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر
لها من الكمال حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من
السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من
صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به
على ازالته بالافساد او التصعيد بحيث يتعذر استنباطه لقادرون
كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه و
مبالغة في الايعاد به فلذلك جعل ابلغ من قوله قل أرأيتم ان اصبح
ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات
من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها

من الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون
معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير للنخيل
والاعناب اي لكم في ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والزبيب
والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات
وقرئ بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور
سيناء جبل موسى عليه السلام بين ايلة ومصر وقيل بفلسطين
وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء
اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع
صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف
لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو
النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث
بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه
فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم
وقرئ بالكسر والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن
ومستصحبا له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما في
قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في رواية
تُنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوي
الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على
تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول
وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن
وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه

عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا
يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه
للائتدام وقيل وصباغ كدابغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة
تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها من الالبان
او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او الابتداء ولكم
فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها واشعارها ومنها تأكلون
فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل
والبقر وقيل المراد الابل لانها في الحمول عليها عندهم والمناسب للفلك
فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
يكون الضمير فيها كالضمير في قوله تعالى احق بردهن وعلى الفلك تحملون
في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله
الى آخر القصص لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة
وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة
وقرا الكسائي غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان تزيل
عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم
نعمه التي لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه
لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اي يطلب الفضل
عليكم ويترأسكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة
رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون نوحا عليه السلام
اي ما سمعنا به انه نبي او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله تعالى ومخالفة
غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا في فترة

وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بفتح النون مدارك

متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك
فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه
قال بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم
من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه
ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك
مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب
او نزول العذاب وفار التنور روي انه قيل لنوح عليه السلام
اذا فار الماء من التنور فاركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه
اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما
يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها
في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه
غيره قال الله تعالى ما سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من
كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل
بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك واهل بيتك
او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله تعالى
باهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث
كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين
ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك
والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امره
بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع

اى انه لا الا وهو موضع انزال مبارك لابو بركة النجاة مدارك
ة فالبركة في السفينة النجاة فيها وبعد الخروج منها
كثرة النسل وتتابع الخيرات مدارك

دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في
السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين
وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء
مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى
الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا
لفضله واشعارا بان دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم
ان في ذلك فيما فعل بنوح عليه السلام وقومه لايات يستدل بها
ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم
نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الايات وان هي المخففة
واللام هي الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين هم عاد او ثمود
فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن
موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى
اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره تفسير
لارسلنا اى وقلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا الله افلا
تتقون عذاب الله تع وقال الملا من قومه الذين كفروا لعله ذكر
بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف كلام نوح عم
وحيث استونف به فعلى تقدير السوال وكذبوا بلقاء الاخرة بلقاء
ما فيها من الثواب والعقاب او بمعاده الى الحيوة الثانية بالبعث
واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد
ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال يأكل مما تأكلون منه ويشرب
مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعايد الى الثاني منصوب

محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم
بشرا مثلكم فيما يأمركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم
واذا جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه ايعدكم انكم
اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم
مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم
تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون
مبتدا خبره الظرف المتقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة
خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم
ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان
يكون الظرف لان اسم جثة هيهات هيهات بعد التصديق او
الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت
لك كانهم صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا
لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون
وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير
منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ
الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا الدنيا اصله ان
الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية
عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغني عن التصريح
بها كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حيوة الا هذه الحيوة
لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فكانت
مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا

ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت إن هو ما هو إلا رجل افترى
على الله كذبا فيما يدعيه من إرساله له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين
بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم
إياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتأكيد معنى القلة أو نكرة موصوفة
ليصبحن نادمين على التكذيب إذا عاينوا العذاب فأخذتهم الصيحة
صيحة جبرائيل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل
به على أن القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له أو بالعدل
من الله كقولك فلان يقضي بالحق أو بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم
في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك
فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الإخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد إذا هلك
وهو من المصادر التي تنصب بأفعال لا تستعمل إظهارها واللام لبيان
من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم أنشأنا من
بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من أمة
أجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون
الأجل ثم أرسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والألف للتأنيث لأن
الرسل جماعة وقرأ أبو عمرو بالتنوين على أنه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا
كلما جاء أمة رسولها كذبوه أضاف الرسول مع الإرسال إلى المرسل
إليهم لأن الإرسال الذي هو مبدأ الأمر منه والمجيء الذي هو منتهاه
إليهم فأتبعنا بعضهم بعضا في الإهلاك وجعلناهم أحاديث لم يبق منهم
إلا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث

به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا
بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز أن
يراد به العصا وإفرادها لأنها أول المعجزات وأمها تعلقت بها معجزات
شتى كانقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة
ورشاء ودلوا وأن يراد به المعجزات فإنها آيات للنبوة وحجة بينة
على ما يدعيه النبي إلى فرعون وملئه فاستكبروا عن الإيمان والمتابعة
وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لأنه
يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فإما ترين من البشر
أحدا ولم يثن المثل لأنه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد
بأن قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الأنبياء على أحوالهم
لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بأدنى تأمل فإن
النفوس البشرية وإن تشاركت في أصل القوى والإدراك لكنها متباينة
الأقدام فيهما فكما ترى في جانب النقصان أغبياء لا يعود عليهم الفكر
برادة يمكن أن يكون في طرف الزيادة أغنياء عن التفكر والتعلم في أكثر
الأشياء وأغلب الأحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي
إليه علمهم وإليه أشار بقوله قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله
واحد وقومهما يعني بني إسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد
فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب
التوراة لعلهم لعل بني إسرائيل ولا يجوز عود الضمير إلى فرعون وقومه
لأن التوراة نزلت بعد إغراقهم يهتدون إلى المعارف والأحكام وجعلنا

أي قوم موسى بالتوراة يعني بالعمل بشرائعها ومواعظها

ابن مريم وأمه آية بولادتها إياه من غير مسيس فالآية أمر واحد مضاف
إليهما أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد وظهر منه معجزات أخر وأمه
آية بأن ولدت من غير مسيس فحذفت الأولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما
إلى ربوة أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة أو دمشق أو رملة فلسطين
أو مصر فإن قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة
بالضم والكسر ذات قرار مستقر من أرض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع
فإن ساكنيها يستقرون فيها لأجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من
معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الشيء أو من الماعون وهو المنفعة
لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بعينه لأنه لظهوره مدرك بالعيون
وصف ماؤها بذلك لأنه الجامع لأسباب التنزه وطيب المكان يا أيها
الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنهم خوطبوا
بذلك لأنهم أرسلوا في أزمنة مختلفة بل على معنى أن كلا منهم خوطب به في زمانه
فيدخل تحته عيسى دخولا أوليا ويكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على أن
تهيئة أسباب التنعم لم تكن له خاصة وأن إباحة الطيبات للأنبياء شرع
قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات أو حكاية لما ذكر لعيسى
وأمه عند إيوائهما إلى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل
النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل
الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله
فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فإنه المقصود
منكم والنافع عند ربكم إني بما تعملون عليم فأجازيكم عليه وإن هذه أي
ولأن هذه والمعلل به فاتقون أو واعلموا أن هذه وقيل إنه معطوف

فالحلال ما لا يعصى الله فيه
والصافي ما لا ينسى الله فيه

على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف أمتكم أمة
واحدة ملتكم ملة واحدة أي متحدة في العقائد وأصول الشرائع أو جماعتكم
جماعة واحدة متفقة على الإيمان والتوحيد في العبادة ونصب أمة على الحال
وأنا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا أمرهم بينهم
فتقطعوا أمر دينهم وجعلوه أديانا مختلفة أو فتفرقوا وتحزبوا وأمرهم
منصوب بنزع الخافض والضمير لما دل عليه الأمة من أربابها أو لهم زبرا قطعا
جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فإنه جمع زبرة وهو
حال من أمرهم أو من الواو أو مفعول ثان لتقطعوا فإنه يتضمن معنى جعل
وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا أو حالا من أمرهم على تقدير مثل
كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم
من الدين فرحون معجبون معتقدون أنهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم
شبهها بالماء الذي يغمر القامة لأنهم مغمورون فيها أو لاعبون بها وقرئ
في غمراتهم حتى حين إلى أن يقتلوا أو يموتوا أيحسبون أنما نمدهم به أن ما نعطيهم
ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فإنه غير معاب عليه
وإنما المعاب عليه اعتقادهم أن ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات
والراجع محذوف والمعنى أيحسبون أن الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه
خيرهم وإكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا
فيعلموا أن ذلك الإمداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة
وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع للمفعول
إن الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون منه والذين
هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم

ربهم لا يشركون شركاً جلياً ولا خفياً والذين يؤتون ما آتوا يعطون
ما أعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا أي يفعلون ما فعلوا من
الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع على الوجه اللائق
فيؤاخذ به أنهم إلى ربهم راجعون لأن مرجعهم إليه أو من أن مرجعهم
إليه وهو يعلم ما يخفى عليهم أولئك يسارعون في الخيرات يرغبون في الطاعات
أشد الرغبة فيبادرونها أو يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة
على صالح الأعمال بالمبادرة إليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون إثباتاً
لهم ما نفي عن أضدادهم وهم لها سابقون لأجلها فاعلون السبق أو سابقون
الناس إلى الطاعة أو الثواب أو الجنة أو سابقونها أي ينالونها قبل الآخرة
حيث عجلت لهم في الدنيا كقوله وهم لها عاملون ولا نكلف نفساً إلا وسعها
قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على
النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح أو صحيفة الأعمال ينطق بالحق بالصدق
لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون بزيادة عقاب أو نقصان ثواب
بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة غامرة لها من هذا من الذي وصف
به هؤلاء أو من كتاب الحفظة ولهم أعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة
لما وصفوا به أو متخطية عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون
فعلها حتى إذا أخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر أو
الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل
عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة
والقد والأولاد إذا هم يجأرون فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب
الشرط والجملة مبتدأ بعد حتى ويجوز أن يكون الجواب لا تجأروا اليوم فإنه مقدر

بالقول أي قيل لهم لا تجأروا إنكم منا لا تنصرون تعليل للنهي أي لا تجأروا
فإنه لا ينفعكم إذ لا تمنعون منا أو لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا
قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على أعقابكم تنكصون
مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به الضمير للتكذيب أو للبيت وشهرة استكبارهم بأنهم
قوامه أغنت عن سبق ذكره أو لآياتي فإنها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين
لأنه بمعنى مكذبين أو لأن استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه أو بقوله
سامراً أي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الأصل مصدر جاء على لفظ
الفاعل كالعافية وقرئ سمّراً جمع سامر تهجرون من الهجر بالفتح إما بمعنى
القطيعة أو الهذيان أي تعرضون عن القرآن أو تهذون في شأنه أو الهجر
بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون من أهجر وقرئ تهجّرون
على المبالغة أفلم يدبروا القول أي القرآن ليعلموا أنه الحق من ربهم بإعجاز
لفظه ووضوح مدلوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين من الرسول
والكتاب أو من الأمن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الأولون
الأقدمون كإسمعيل وأعقابه فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه أم لم
يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم
إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء فهم له منكرون دعواه لأحد هذه الوجوه
إذ لا وجه له غيرها فإن إنكار الشيء قطعاً أو ظناً إنما يتجه إذا ظهر امتناعه
بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد أم يقولون
به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه أرجحهم عقلاً وأتقنهم نظراً
بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم

فلذلك اكرهوه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان
استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق
ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى لفسدت السموات
والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
وقيل لو اتبع اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى
او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله بالقيمة
واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه
من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات
والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم
اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي يتمنونه بقوله لو ان عندنا ذكرا
من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه
ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء
الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته
ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما
تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار
بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ
ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو
خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم
تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم
له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الآيات بان
حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا

قوله في الضريبة على الارض وهي ما يضربه الامام على الارض ويصير بمنزلة
الاجرة ...

كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط
عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث
على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط
للجوا لتثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار
عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا
حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين
فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد
اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون
بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر
انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم
التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون
من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار
لتحسوا بها ما نصب من الآيات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها
الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنياوية قليلا ما تشكرون تشكرونها
شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان
لمانحها من غير اشراك وما صلة للتأكيد وهو الذي ذرأكم في الارض
خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد
تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به
تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره

وفضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازدياد الآخر افلا تعقلون بالنظر
والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها
وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اى كفار مكة مثل
ما قال الاولون آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا أإذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أإنا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك
ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين
الا اكاذيبهم التى كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب
والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون
ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم
حتى جهلوا مثل هذا الجلى الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره
ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح
قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اى بعد ما قالوه افلا
تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا
فان بدء الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون
لله لان العقل الصريح قد اضطرهم قرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما
بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض
مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء
ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار
عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصر ان كنتم
تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد

مع ظهور

مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور
وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة
احد وما كان معه من اله يساهمه فى الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه
اى لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز
ملكه عن ملك الآخرين ولظهر بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا
فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل بالاجماع والاستقراء
وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما
يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده عالم الغيب والشهادة
خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص
على الصفة وهو دليل آخر على نفى الشريك بناء على توافقهم فى انه المتفرد بذلك
ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لا بد من
ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من العذاب فى الدنيا والآخرة
رب فلا تجعلني فى القوم الظالمين قرينا لهم فى العذاب وهو اما لهضم
النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بمن وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له فى امته نقمة ولم يطلعه
على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط
والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا
نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت
فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه
وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتى هى احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان

في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة
الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة
السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون بما يصفونك به او
بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه
مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة على المشي والجمع للمرات
او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون
يحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن
وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت
متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله عن
الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون
قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون
ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني
كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته
اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم
والاحزان بل قدوما الى الله اما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع
عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى آخره
والمراد من الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها
لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ
حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي

عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع
فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة
بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب
بينهم ينفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة
بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون
بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسأل بعضهم بعضا
لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه
عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة والنار النار
فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي ومن كانت له عقائد
واعمال صالحة تكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون
بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له وزن وهم الكفار لقوله
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث
ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون
بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح
كالنفخ الا انه اشد تاثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح
تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار
القول اي يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تانيب وتذكير لهم بما استحقوا
هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت
احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح
كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا
منها من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها

وقف

اسكتوا اسكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته
فخسأ ولا تكلمون في دفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون
الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون ربنا
امتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون
الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا
اخرنا فيجابون اولم تكونوا فيقولون الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا
فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها
ثم لا يكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء انه ان الشان وقرئ بالفتح اي لانه
كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون
ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا
هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما
ياء النسب للمبالغة وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة
بمعنى الانقياد والعبودية حتى انسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء
بهم فلم تخافوني في اوليائي وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم اني جزيتهم اليوم
بما صبروا على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين
به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر استينافا قال اي
الله او الملك المامور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي على الامر
للملك او لبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم في الارض احياء وامواتا في القبور
عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم
فيها بالنسبة الى خلودهم في النار او لانها كانت ايام سرورهم وايام السرور
قصار او لانها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فاسئل العادين الذين

وقف

يمكنون

يمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون
عن تذكرها واحصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون
اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعادين
اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل ان
لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم افحسبتم انما خلقناكم
عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اي لم
نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل
على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ
حمزة والكسائي ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق اي
الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه
دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيده رب العرش الكريم
الذي يحيط بالاجرام وينزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه
بالكريم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن
يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى
لالها لازمة فان الباطل لا برهان به جيء بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها
على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض
بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه
انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي
حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح
عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب
اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة

المؤمن بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عم انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهي اثنتان وستون آية وقيل اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفة لها ومن نصبها جعله مفسرا للناصب فلا يكون له محل من الاعراب الا اذا قدر اتل او دونك ونحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا وانزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئا بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة للامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وللعبد ثلثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا

وهو مردود لرجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ولذلك قال عم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان او مشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه او منسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عم سئل عن ذلك

فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح
الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنا الا بزانية والزانية ان يزني بها الا
زان وهو فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا ووصف المقذوفات
بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم
يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل
يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان
ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنا ولا فرق فيه
بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة او لان قذف
النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء ولا يعتبر
شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه اخف من ضرب الزنا
لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم شهادة اي
شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف ذلك
على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان
في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف و
حاله قبل الجلد اسوء مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة رض الى اخر عمره
واولئك هم الفاسقون المحكوم عليهم بفسقهم الا الذين تابوا من
بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام
للحد والاستحلال عن المقذوف والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء
الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة
الاستسلام والاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى
النهي ومحل الجر على البدل من هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب

لانه عن موجب وقيل منقطع متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة
للاستثناء والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم
نزلت في هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء
او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع شهادات فالواجب
شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه
حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله متعلق بشهادات لانها
اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا
واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا
والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي
وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه
سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عم
المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة
ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرأ عنها
العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما
رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك
ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها
حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله وان لعنة الله بتخفيف
النون فيهما وفتح الباء وكسر الضاد من غضب ورفع الهاء من اسم الله والباقون
بتشديد النون ونصب الباء وفتح الضاد وجر الهاء ولولا فضل الله عليكم
ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم
بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك

وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة وذلك
انه عليه السلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في القفول بالرحيل
فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من
جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت
الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا
فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن معطل السلمي قد عرس وراء
الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها
فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة
يريد عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم
مستأنف والخطاب للرسول وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك بل هو
خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني
عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على
من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر
ما خاض فيه مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو
لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن أبي فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله
او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح والذي بمعنى الذين له عذاب
عظيم في الآخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا
بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا اذ
سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين
والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة

٧٦

مبالغة في التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن
الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل
بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك
يتسع فيه ما لا يتسع في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على
ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المتيقن المطلع على الحال
لولا جاءوا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم
الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب
عند الله اي في حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته
في الدنيا والآخرة لولا هذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى لولا
فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ورحمته
في الآخرة بالعفو والمغفرة المقدرة لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم
فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم
تلقونه بالسنتكم يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول و
تلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه
وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتألقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من
ثقفته اذا طلبته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم اي تقولون
كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب ما ليس لكم به علم لانه ليس
تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار
العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقي الافك

بألسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله
عظيم ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ما ينبغي
وما يصح لنا ويجوز أن يكون الإشارة إلى القول المخصوص وأن يكون إلى نوعه
فإن قذف آحاد الناس محرم شرعاً فضلاً عن تعرض الصديقة ابنة
الصديق حرمة رسول الله سبحانك تعجب ممن يقول ذلك وأصله أن
يذكر عند كل متعجب تنزيهاً لله من أن يصعب عليه مثله ثم كثر واستعمل
لكل متعجب أو تنزيه لله من أن يكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها
تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريراً لما قبله
وتمهيداً لقوله هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فإن حقارة الذنوب
وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله أن تعودوا لمثله كراهة أن تعودوا
أو في أن تعودوا أبداً ما دمتم أحياء مكلفين إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان
يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع
ومحاسن الآداب لتتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالأحوال كلها
حكيم في تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها إن الذين
يحبون يريدون أن تشيع أن تنتشر الفاحشة في الذين آمنوا لهم
عذاب أليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير إلى غير ذلك والله يعلم
ما في الضمائر وأنتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر
والله سبحانه تعالى يعاقب على ما في القلوب من حب الإشاعة ولولا
فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعذاب للدلالة
على عظم الجريمة وكذا عطف قوله وأن الله رؤوف رحيم على حصول فضله
ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا أيها الذين

آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان بإشاعة الفاحشة وقرأ نافع
والبزي وأبو عمرو وأبو بكر وحمزة بسكون الطاء وقرئ بفتح الطاء وبفتح
الخاء ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان
لعلة النهي عن اتباعه والفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع
الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من أحد أبداً آخر الدهر
ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالتهم
عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الألية أو ولا يقصر من
الألو ويؤيد الأول أنه قرئ ولا يتأل وأنه نزل في أبي بكر وقد حلف
أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين
أولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل أبي بكر
وشرفه أن يؤتوا على أن لا يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات أولي
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد
أي ناساً جامعين لها لأن الكلام فيمن كان كذلك أو لموصوفات أقيمت
مقامها فيكون أبلغ في تعليل المقصود وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا
بالإغماض عنه ألا تحبون أن يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم وإحسانكم
إلى من أساء إليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا بأخلاقه
روي أنه عليه السلام قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب ورجع إلى
مسطح نفقته إن الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات
مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعناً
في الرسول والمؤمنين كابن أبي لعنوا في الدنيا والآخرة لما طعنوا

فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم
يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبي عم ولذلك قال ابن عباس
لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ في افك عايشة رضي
يوم تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف
وحمزة والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور
آثاره عليها وفي ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم
الحق جزاءهم المستحق ويعلمون لما يشاهدون الامر ان الله هو الحق المبين الثابت
بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب
والعقاب سواه او ذو الحق المبين اي العادل الظاهر عدله ومن كان
هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث
يتزوجن الخباث وبالعكس وكذا اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله
اولئك يعني اهل بيت النبي عم او الرسول وعايشة وصفوان مبرؤن
مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات
والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون
للآفكين اي مبرؤن مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن
من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة ولقد
برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وبرأ
موسى عم من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق
ولدها وعايشة بهذه الآيات مع المبالغات وما ذكر الا لاظهار منصب الرسول

واعلاء

واعلاء منزلته يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها
فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا تستأذنوا
من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن
مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او لا يؤذن له او من
الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش
خائف ان لا يؤذن فاذا اذن استأنس او تتعرفوا هل ثمة انسان
من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه عم
التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلث مرات فان اذن له دخل
والا رجع ذلكم خير لكم اي الاستيذان والتسليم خير من ان تدخلوا
بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال
حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف
وروي ان رجلا قال للنبي عم أأستأذن على امي قال نعم قال انه ليس لها خادم
غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة
قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم
او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا
فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم
فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما
يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور
واستثني ما اذا عرض فيه حريق او غرق او كان فيه منكر ونحوها
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم
عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة

او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما
تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة كالربط والحانات والحوانيت فيها متاع لكم
استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة
وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على
عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي عما يكون نحو محرم ويحفظوا
فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ
النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ
الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه
من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم
واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا
على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن
فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن
بالتستر او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا
يبدين زينتهن كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها
لمن لا يحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب
والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف
المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه و
الكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر
فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء

منها

منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على
جيوبهن سترا لاعناقهن وقرأ نافع وعاصم وابو عمرو وهشام
بضم الجيم ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن
لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا
الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة
من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا
منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال
لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتستر عنهم حذرا ان
يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان الكوافر لا
يتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف
او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روي انه عم اتى فاطمة
بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها
واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عم انه ليس عليك باس
انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي
او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم
الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله
الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور
النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع

أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع
موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال فإن ذلك يورث
ميلا في الرجال وهو أبلغ من النهي عن إظهار الزينة وأدل على المنع من
رفع الصوت وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون إذ لا يخلو أحد منكم
من تفريط سيما في الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في
الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على
الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وقرأ ابن عامر
أيه المؤمنون وفي الزخرف يا أيه الساحر وفي الرحمن أيه الثقلان
بضم الهاء في الوصل في الثلاث والباقون بفتحها ووقف أبو عمرو والكسائي
عليهن أيها بالألف ووقف الباقون بغير ألف وأنكحوا الأيامى منكم
والصالحين من عبادكم وإمائكم لما نهى عما عسى يفضي إلى السفاح المخل
بالنسب المقتضي للألفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية إلى بقاء
النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه أمر بالنكاح الحافظ له والخطاب للأولياء
والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند
طلبها وإشعار بأن المرأة والعبد لا يستبدان به إذ لو استبدا لما
وجب على الولي والمولى والأيامى مقلوب أيائم كيتامى جمع أيم وهو العزب
ذكرا كان أو أنثى بكرا أو ثيبا قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن
كنت أفتى منكم أتأيم وتخصيص الصالحين لأن إحصان دينهم والاهتمام
بشأنهم أهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه إن يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن

فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال
فإنه غاد ورائح أو وعد من الله بالإغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى من
هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة لقوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله إن شاء والله واسع ذو سعة لا ينفد نعمته إذ لا تنتهي
قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته وليستعفف الذين
وليجتهد في العفة وقمع الشهوة لا يجدون نكاحا أسبابه ويجوز أن
يراد بالنكاح ما ينكح به أو بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله
فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو
أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لأن السيد كتب
على نفسه عتقه إذا أدى المال أو لأنه مما يكتب لتأجيله أو من الكتب
بمعنى الجمع لأن العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها إلى بعض مما ملكت
أيمانكم عبدا كان أو أمة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم أو مفعول
لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والأمر فيه للندب عند أكثر
العلماء لأن الكتابة معاوضة تتضمن الإرفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج
الحنفية بإطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لأن المطلق لا يعم مع
أن العجز عن الأداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل
إن علمتم فيهم خيرا أمانة وقدرة على أداء المال بالاحتراف وقد روي
مثله مرفوعا وقيل صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى
وهو شرط الأمر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي
آتاكم أمر للموالي كما قبله بأن يبذلوا لهم شيئا من أموالهم وفي معناه حط
شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الأكثر ويكفي أقل ما يتمول وعن علي

تحط الربع وعن ابن عباس الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد
ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم
سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لم ياخذه صدقة
كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله عم في حديث بريرة هو لها صدقة
ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت لعبد
الله بن ابي ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب
فشكا بعضهن الى رسول الله عم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا
شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهي لم يلزم من عدمه
جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه وايثار ان
على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض
الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم
اي لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما في مصحف ابن مسعود
من بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكره غير آثم
فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات ولذلك
حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم
آيات مبينات يعني الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت فيها
الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بالكسر
لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من
بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم ومثلا من امثال من قبلكم اي وقصة عجيبة مثل قصصهم
وهي قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يعني

ما وعظ

ما وعظ به في تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد
بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات
والارض النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر
المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية
لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك
زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض
وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار
او بالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير
نور القوم لانهم يهتدون به في الامور او موجدها فان النور ظاهر
بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم
والله سبحانه تعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذي به تدرك
او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لشاركها
له في توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك
نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات و
تغوص في بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات
ليست لذاتها والا لما فارقتها فهي اذن من سبب يفيضها عليها وهو
الله تعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا
ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيها فهم بنوره يهتدون
واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالها على الانوار الحسية
والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليها وعلى المتعلق بهما والمدلول
لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه

دليل على ان اطلاقه عليه تعالى لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهي
الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة
الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح
في زجاجة في قنديل من الزجاج الزجاجة كأنها كوكب دري مضيء
متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل
كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا
من لمعانه الا انه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر
على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب وقد قرئ به مقلوبا
يوقد من شجرة مباركة زيتونة اي ابتداء ثقوب المصباح من شجرة
الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي ابهام الشجرة
ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع
وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائي
وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ
توقد بمعنى تتوقد ويوقد بحذف التاء لاجتماع الزيادتين وهو غريب
لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع
عليها طول النهار كالتي تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها
تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في
وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى
تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها
نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألئه

وفرط بيضه نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته
صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر في
معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات
في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه
للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح
وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه
بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة
المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل
لما منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي بها المعاش
والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية
التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت
والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات
لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي يتجلى فيها لوائح
الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى
ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة
المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك
ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة
في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها
بما تشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات
الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتاديتها الى ثمرات

لا نهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذي هو مادة المصباح التي لا
تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين
الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة
القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيء بالمعارف
من غير تفكر ولا تعلم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في
مبدإ امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش
بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل
النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للانوار وذلك
التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونية وان كان بالحدس
فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء
لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار
من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن
من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على
نور يهدي الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب
دون مشيته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس
ادناء للمعقول بالمحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا
كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن
لم يكترث بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او
توقد في بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه
فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم
بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ما له هذا

الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها
تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف
مثل سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل
المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او
التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة في
افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال
ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشيات والغدو مصدر
اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ
والايصال وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح
على اسناده الى احد الظروف الثلثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ
بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو
لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله
مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد بها مطلق المعاوضة او بافراد ما
هو الاهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى
وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه
الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار
واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن العين الساقطة
بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة ما
يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر
والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول
او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تفقه وتبصر الابصار ما لم

وقف

تكن تتبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار
من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح
او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود
لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم تخطر
ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة و
تنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشية وسعة الاحسان والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان
اعمالهم التي يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة
في العاقبة كسراب وهو ما يرى في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت
الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة بمعنى القاع وهو
الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات
في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر
به في شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء
او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته
او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله
سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روي انها نزلت في
عتبة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام
كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها
لاغية لا منفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات
المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم
ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم

وقف

باعتبار

باعتبار الوقتين فانها كالظلمات في الدنيا وكالسراب في الآخرة في
بحر لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشيه يغشى البحر
موج من فوقه موج امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق
الموج الثاني سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى
للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات
بالجر على ابداله من الاولى وباضافة السحاب اليها اذا اخرج يده وهي
اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها كقوله اذا غير النأي
المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر للواقع
في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا
ومن لم يقدر الله له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور
خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة
في اليقين والوثاقة بالوحي والاستدلال ان الله يسبح له من في السموات
والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن
لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة
حال والطير على الاول تخصيص لما فيه من الصنع الظاهر والدليل
الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة
ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها
من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف
تدبيره كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلوته وتسبيحه
اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا وطبعا لقوله والله عليم
بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى

الا النفع على وجه تخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير
دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي
اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما
من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء
الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوق
ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون
قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه
وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ثم يجعله ركاما متراكما
بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع
خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما
علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها
وجمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتديا
من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او
الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة
وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه
والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت
الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد هناك اجتمع وصار سحابا
فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء
البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء
بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل
ذلك لا بد ان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة

لاختصاص

لاختصاص الحوادث بحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به
من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه
وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء وهو
جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب
بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل
على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب
على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما
وزيادة الاخر او بتغير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم
ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي الابصار لدلالته على وجود
الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيته وتنزهه عن الحاجة
وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب
على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو
جزء مادته او ماء مخصوص وهو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة
الكل اذ من الحيوان ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس
صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على
الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم
من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع
كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على الاربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء
والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم
ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر
بسيطا ومركبا على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات

والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته
ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات
للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر
لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق
والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عم
وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا في ارض فابى ان يحاكمه الى رسول الله
واطعنا اي واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من
بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم
فيكون اعلاما من الله تع بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم
او الى الفريق المتولي منهم فسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون
عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اي ليحكم النبي عم فانه الحاكم
ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة
حكم الله تع اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان
الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان
يكن لهم الحق اي لهم الحكم لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم
بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقدمه للاختصاص افي
قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة
فزال ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة
بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول

ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون
محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطلان لان منصب نبوته وفرط امانته
يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف
والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا و
اولئك هم المفلحون على عادته تع في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه
على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء
للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله
فيما يأمرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من
الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء
وابو بكر وابو عمرو وخلاد بخلاف عنه ويتقه باسكان الهاء وحفص
باسكان القاف واختلاس كسرة الهاء فشبه تقه بكتف وخفف والهاء
في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله
جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم
واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة
معروفة اي المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين الكاذبة والطاعة النفاقية
المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئ بالنصب على
اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا
الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة
في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم
من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا

البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم
فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم
في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم
وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد
في تحققه بمنزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني
اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرا ابو بكر بضم التاء
وكسر اللام واذا ابتدا ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدوا
كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية
والتثبيت وليبدلنهم من بعد خوفهم من الاعداء وقرا ابن كثير وابو بكر
بالتخفيف امنا منهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب
كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة للاخبار
عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود
والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه
في الاخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استيناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال
من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة
بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون
في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك

النعمة

النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول عم
في سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل
وعد على المأمور به فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول للتاكيد وتعليق
الرحمة بها او بالمندرجة فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا
تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ولا تحسبن يا محمد عم الكفار
معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين وقرا
ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد عم والمعنى كما هو في القراءة
بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى ولا تحسبن الكفار في الارض احدا
يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او لا تحسبن الذين
كفروا هم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين
كشيء واحد فاكتفي بذكر الاثنين عن الثالث ومأويهم النار عطف
عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين وماويهم
لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير
المأوى الذي يصيرون اليه يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين
ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الايات
الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد
عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء
غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها
في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله عم مدلج بن عمرو
الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو
نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت ان الله

عز وجل على آبائنا وأبنائنا وخدمنا أن لا يدخلوا هذه الساعات
علينا إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي عم فوجده وقد أنزلت هذه
الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من
الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات
في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من
ثلث مرات او الرفع خبرا لمحذوف اي هي من قبل صلوة الفجر وحين
تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين
ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف
ثلث عورات لكم اي هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون
مبتدا وخبره ما بعده واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل
اعور وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي ثلث بالنصب بدلا من ثلث
مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك
الاستيذان وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان والمماليك
المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون
استيناف لبيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة
المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات
الثلثة وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض
او يطوف بعضكم على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات
اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال
منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم
في الاوقات

في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته
وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون
فيهم كذلك يبين الله لكم اياته والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة
في الامر بالاستيذان والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن
الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه
لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة مظهرات
زينة مما امر باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف
في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين
بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله ولا يغيب منه شيء الا انه خص
بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع
لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا
يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع
اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل
مخافة ان لا يكون ذلك من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت
آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا
انما يكون اذا علم رضاء صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام
ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير
ناظرين اناه وقيل نفي للحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله
وما بعده ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم
بيوت اولادكم لقوله عم انت ومالك لابيك
او بيوت الزوجات لانها بيوتهم

وان ولده من كسبه او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم
وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله انت
ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه او بيوت اعمامكم
او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه
وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا
وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه
او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر
به وهو ما يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضاء
صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط
بينهم او كان ذلك في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع
بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين
او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو بن كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل
الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا
معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في القذارة
والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها
الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه
ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهي من عنده وانتصابها
بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب
طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عم قال متى لقيت احدا
من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير
بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله
لكم الايات كرره ثالثا لمزيد التاكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل

الاولين

الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون
اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون الكاملون في الايمان الذين امنوا
بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة
والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة
وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستاذنوه يستاذنوا رسول الله
فياذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز
للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم
في الذهاب عن مجلس رسول الله بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على
اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فانه يفيد ان المستاذن مؤمن لا محالة وان الذاهب
بغير اذنه ليس كذلك فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من
المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فاذن لمن شئت منهم
تفويض للامر الى راي الرسول واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة
الى رايه ومن منع ذلك قيد المشية بان يكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى
فاذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان
ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الاخرة ان الله غفور لفرطات
العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض و
والمساهلة في الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا دعاءه اي نداءه وتسميته كنداء
بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم

مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت
او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان
دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه
مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم يتسللون اي يخرجون قليلا قليلا من الجماعة ونظيره تسلل وتدرج
وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ
بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح لواذا
فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه و
يذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون
عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف
المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له
في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر للوجوب
فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر
بالحذر عنه يدل على خشية المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم
الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه
ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد
علمه بقد لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه
للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات
وقرا يعقوب بفتح الياء وكسر الجيم فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال
بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية عن النبي عم

اي علمه محيط بجميع الاشياء فكيف يخفى عليه احوال الناس وانهم كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها

من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن
ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي صدق رسول الله

سورة الفرقان
مكية وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهي
كثرة الخير او تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله فان البركة
تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او
لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة
لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله والفرقان
مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله
بين الحق والباطل بتقريره او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا
بعضه عن بعض في الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته
لقوله تع ولقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب
السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس نذيرا
منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة
لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي له ملك
السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم
يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الوثنية
اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه
على ما يدل عليه فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير
حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال
معينة فقدره تقديرا فقدره وهياه لما اراد منه من الخصايص

اي فسواه وهياه لما يصلح له من باب الدين والدنيا

والافعال كيفية الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبر واستنباط
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره
للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه
الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شيء فقدره في ايجاده حتى لا يكون
متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد
والنبوة اخذ في الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون
لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا
حيوة ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد واحياءه اولا وبعثه
ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها
واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على
البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن
وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود فانهم
يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار و
عداس وقد سبق في قوله تعالى انما يعلمه بشر فقد جاءوا ظلما بجعل الكلام
المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو بريء منه
اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير
الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها اي كتبها لنفسه او استكتبها
وقرئ على البناء للمفعول لانه امي واصله اكتتبها كاتب له فحذف
اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف
الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه فهي تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها

فانه امي

فانه امي لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذي يعلم
السر في السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته و
تضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها
الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا
رحيما فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها
واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول
ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام
كما نأكل ويمشي في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح
دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم
على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما
هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به و
يستغني عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل
التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان
كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي
بالنون والضمير للكفار وقال الظالمون وضع الظالمون موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون الا رجلا
مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا
لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال الشاذة
واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى

معروف بخواص النبي والممتاز بها عن المتنبي فخبطوا اخبط عشواء
فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى
تبارك الذي ان شاء جعل لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا ولكن
اخره الى الاخرة لانه خير وابقى جنات تجري من تحتها الانهار
بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير
وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جوابه
الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا
حرم ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له في الاخرة وقرئ بالنصب
على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام
الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك
لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى الجواب ويصدقونك
بما وعد الله لك في الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب
منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل
هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى
منهم كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احديهما
بمرأى من الاخرى على المجاز والتانيث لانه بمعنى النار او جهنم من
مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا صوت
تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيرا وهو صوت
يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية
امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها

بيان تقدم فصار حالا منه ضيقا لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق
والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات
والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء مقرنين قرنت ايديهم الى
اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اي يتمنونه وينادونه
يقولون يا ثبوراه تعالى فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي
يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل
نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم
بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو ثبور
في كل وقت قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة
الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم
او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى
الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا كانت
لهم في علم الله تعالى او اللوح او لان ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع
جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء
لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من
يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤن
ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته
اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شيئا فالكامل بالتشهي وفيه تنبيه
على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم
كان على ربك وعدا مسئولا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد الموعود
اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله

فتنة بالخلود في النار وهو يليق بالمشرك دون الفاسق الا على قول المعتزلة والخوارج

كائنة في الجار والمجرور بدل من الضمير فقد كذبوا بما تقولون

وقف

الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء وقرئ بكسر الشين وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل لإخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة وانبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما صح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا

وقف

دونك

دونك وقرئ نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفي ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى في او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون اي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال ولا نصرا فيعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هي النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق اي الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان

قوله والشرط وان عم جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بأن قالوا قوله تعالى ومن يظلم يعم الكافر والفاسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وبقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الآية ان الفاسق لا يعفو عنه بل يعذب وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاحباط بالطاعة ان يريد بذكر الظلم بطاعة هي اعظم من ذكر الظلم وحاصله اقتضاء هذا الشرط للجزاء المذكور مقيدا بان لا يوجد ما يزيله حتى قطعتم بتعذيبه بدليل ذلك

ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مال هذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقرئ يمشون اي يمشيهم حوائجهم
او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك
ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم
لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة
للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث لهم على الصبر على ما افتتنوا به وكان
ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين
لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا
بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشيء ومنه الرؤية
فانه الوصول الى المرئي والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به
الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فتخبرنا بصدق محمد
وقيل فيكونوا رسلا الينا او نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه
لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد
من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله في اكمل اوقاتهم او ما هو اعظم
من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه
حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم
الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب
قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم
وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب

بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب
باذكر او بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى
او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف
لما يتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا
تعمل وللمجرمين اما عام يتناولهم حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم
من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت
اخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو
المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول
ويقول الكافر حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم
وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة
بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير
انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف
فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم
من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه
لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم
استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق
لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة
وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم
نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم
التي كانوا يتوجهون بها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر

كقوله كونوا قردة خاسئين أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر
فيه أكثر الأوقات للتجالس والتحادث وأحسن مقيلا مكانا يؤوى إليه
للاسترواح بالأزواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه
أو لأنه لا يخلو من ذلك غالبا إذ لا نوم في الجنة وفي أحسن رمز إلى ما يتزين
به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل أن يراد بأحدهما
المصدر والزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل
من الأمكنة والأزمان والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقا أو بالإضافة
إلى ما للمترفين في الدنيا وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم
فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ويوم تشقق السماء
أصله تتشقق فحذفت التاء وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر و
يعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل
ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة
تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل
وقرئ ونزلت وأنزل ونزل الله الملائكة بحذف نون الكلمة الملك
يومئذ الحق للرحمن الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى
إلا ملكه وهو الخبر وللرحمن صلته أو تبيين ويومئذ معمول الملك
لا الحق لأنه متأخر أو صفة والخبر يومئذ أو للرحمن وكان يوما على
الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة
وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات من
الغيظ والحسرة لأنها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة
بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلعم فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من

طعامه

طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه
فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن آلى أن لا يأكل من طعامي وهو في
بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي
فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عم لا ألقاك خارجا
من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا
رضي الله عنه بقتله وطعن أبيا بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة
ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا إلى النجاة
أو طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة
يا ويلتى وقرئ بالياء على الأصل ليتني لم أتخذ فلانا خليلا يعني من
أضلني وفلان كناية عن الأعلام كما أن الهن كناية عن الأجناس
لقد أضلني عن الذكر عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول
أو كلمة الشهادة بعد إذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني
الخليل المضل أو إبليس لأنه حمله على مخالته ومخالفة الرسول أو كل
من تشيطن من جن وإنس للإنسان خذولا يواليه حتى يؤديه
إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد عم
يومئذ أو في الدنيا بثا إلى الله تع يا رب إن قومي قريشا اتخذوا
هذا القرآن مهجورا بأن تركوه وصدوا عنه وعن الإيمان به وعنه
عم من تعلم القرآن وعلق مصحفه فلم يتعاهده ولم ينظر فيه
جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا
اقض بيني وبينه أو هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه أو زعموا أنه

هجر واساطير الاولين فيكون اصلها مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون
بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا
الى الله من قومهم عجل الله لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل
الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال
الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اي انزل كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض
قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته
لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها
ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا
لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى
وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة لعيي
بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا
ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه
اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة
قلبه ولانه اذا نزل به جبريل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها
معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالة اللفظية
فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله
مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا
والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف
ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في

عشرين سنة او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها
ولا يأتونك بمثل بسؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح
في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما
هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون
هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا
وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم
اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة
وجوههم اليها وعنه عم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اصناف صنف
على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب
او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل
عليه هو الرسول على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند
الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاسولة
تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا
واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و
وصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى
الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء
الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازرون
عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني فرعون وقومه
فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على
حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة
الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع

وقرى ودمرتهم فدمرناهم فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم
نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن
تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة
اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس اية وجعلنا اغراقهم او
قصتهم عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص
فيكون وضعا للظاهر موضع الضمير تظليما لهم وعادا وثمودا عطف
على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرى
وثمود على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهو البئر
الغير المطوية فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية
بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا
وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل
هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها
من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له
فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك
سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه
فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسّوه اي دسّوه في بئر وقرونا واهل
اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون
بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال
بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا
كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب

والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه
فارغ ولقد اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على
القرية التي امطرت مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها
الحجارة افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من
اثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون
نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم
او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافونه
على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك
الا موضع هزؤ او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا محكي بعد قول
مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم
بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذي
زعم انه بعثه رسولا ان كاد ليضلنا عن الهتنا ليصرفنا عن
عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق
الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا
بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا
فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه
لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه
دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية
به افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله
هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب

ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فتجدي لهم الايات والحجج فتهتم بشانهم وتطمع
في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر
لانه كان منهم من امن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على
الرياسة ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بقرع الايات اذانهم
وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا
من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء
اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم
ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا
ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة عن طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء
مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى
صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك
فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة
حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم
كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد
الظل وذلك فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة
الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر
البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا
ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد

ثم جعلنا

ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوؤها على بعض
الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اي
ازلناه بايقاع الشمس موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر
عن ازالته بالقبض الى نفسه الذي هو في معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا
حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى
من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادي
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض
تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس
عليها دليلا اي مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او
دليل الطريق من يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم
قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان ينتهي غاية نقصانه او
قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل
عليها وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس في ستره والنوم
سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع
او موتا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت
للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس
للمعاش او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم
واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام
فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرا ابن كثير
على التوحيد ارادة للجنس بشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرا ابن
عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح النون على انه

مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر
بين يدي رحمته يعني قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا
كقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضا
ويوقد به قال عم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ
الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا في الطهارة و
فعول وان غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر
كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه و
تتميما للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنا وانفع مما خالطه ما يزيل
طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها
فبواطنهم بذلك اولى لنحيي به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا
لان البلدة في معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا يعني اهل
البوادي الذين يعيشون بالحياء ولذلك نكر الانعام واناسي وتخصيصهم
لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما
حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب
الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالات
على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان
وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها
على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرى
نسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي
بحذف ياء وهو جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين

وقف

فقلب

تقلب النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن
وسائر الكتب او المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة
والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس ما عام
امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء وتلا
هذه الآية او في الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال
القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف
عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث
لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار
الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء
وسائط وامارات بجعله تع ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
نبيا ينذر اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر
عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل
ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين
فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن
او بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال
حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا
لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان
مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه
جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذي مرج
البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من
مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط

وقف

عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله
مالح فخفف كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا
محجورا وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقول المتعوذ عنه
وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه فتجري في خلاله
فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل
النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض
فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزاء كل
عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية وهو الذي خلق
من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر
لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة
فجعله نسبا وصهرا اي قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب
اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تع وجعل منه الزوجين
الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا
ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما
يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما
من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر
الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل
هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته وراء ظهرك
فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه على تبليغ الرسالة الذي

يدل

يدل عليه الاستثناء او ذنوبا من اجر الا فعل من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة
فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه
قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة من حيث اعتد بانفاعك نفسك
بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا
عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته
وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل
وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه
الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا
ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا
عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به
بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه
من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني
في الامر فانه تع مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في كل مراد خلق
الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ وللمحذوف
ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة للحي
فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته
وهو الله تع او جبرئيل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه

وقيل الضمير للرحمن والمعنى أن انكروا اطلاقه على الله فسئل عنه من يخبرك
من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن
مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى
بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا وإذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لأنهم ظنوا
انه اراد به غيره ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا أي للذي تأمرناه يعني
تأمرنا بسجوده أو لأمرك لنا من غير عرفان وقيل لأنه كان معربا لم يسمعوه
وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض وزادهم
أي الأمر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء
بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها
للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره
وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة
والكسائي سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل
وقرئ قمرا أي ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه
فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار
وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن أراد أن يذكر أن يتذكر آلاء الله
ويتفكر في صنعه فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب بالذات رحيم على العباد
أو أراد شكورا أن يشكر الله على ما فيه من النعم أو ليكونا وقتين للمذكرين
والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة

ان يذكر

أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد
الرحمن مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة أو الذين يمشون على الأرض
وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لأنهم الراسخون في
عبادته على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين أو مشيا
هينا مصدر وصف به والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع وإذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا
ولا شر أو سدادا من القول يسلمون فيه من الإيذاء والإثم ولا ينافيه
آية القتال لتنسخه فإن المراد هو الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم
في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما في الصلاة وتخصيص
البيتوتة لأن العبادة بالليل أحمز وأبعد من الرياء وتأخير القيام
للروي وهو جمع قائم أو مصدر أجري مجراه والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم
لملازمته وهو إيذان بأنهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم
في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم لعدم
اعتدادهم بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم إنها ساءت مستقرا
ومقاما أي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص
بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم إن أو أحزنت وفيها ضمير
اسم إن ومستقرا حال أو تمييز والجملة تعليل للعلة الأولى أو تعليل ثان وكلاهما
يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا
حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الإسراف
هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون ونافع

وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من أقتر وقرئ ولم يقتّروا بالتشديد و
الكل واحد وكان بين ذلك قواما وسطا عدلا سمّي به لاستقامة
الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر
وبين ذلك لغوا وقيل إنه اسم كان لكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن وهو
ضعيف لأنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه والذين
لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله أي
حرّمها أي حرم قتلها إلا بالحق متعلق بالقتل المحذوف أو بلا يقتلون
ولا يزنون نفى عنهم أمهات المعاصي بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات
إظهارا لكمال إيمانهم وإشعارا بأن الأجر المذكور موعود للجامع
بين ذلك وتعريضا للكفرة بأضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم
فقال ومن يفعل ذلك يلق أثاما جزاء إثم أو إثما بإضمار الجزاء وقرئ
أياما أي شدائد يقال يوم ذو أيام أي صعب يضاعف له العذاب
يوم القيمة بدل من يلق لأنه في معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا في
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف
أو الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعّف بالجزم
وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الألف في يضاعف وقرئ
ويُخلَد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ونضعّف له العذاب
وتضعيف العذاب ومضاعفته لانضمام المعصية إلى الكفر ويدل
عليه قوله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها

لواحق

لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل
بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب
ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب
على الحسنات ومن تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا
يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة فإنه يتوب
إلى الله يرجع إليه بذلك متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب
محصلا للثواب أو يتوب متابا إلى الله الذي يحب التوابين
ويصطنع بهم أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعا حسنا
وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون
الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة
الباطل شركة فيه وإذا مروا باللغو ما يجب أن يلغى ويطرح مروا
كراما معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه
ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية
عما يستهجن التصريح به والذين إذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ
أو القراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين
لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل أكبوا عليها
سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي
نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصي
المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا
وذرياتنا قرة أعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فإن
المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سرّ بهم قلبه وقرّ بهم عينه

يعظّمهم لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقّع لحوقهم به في الجنة ومن
ابتدائية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة
تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى
عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امور الدين باقامة
العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم
اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد
واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم
واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين
لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي
اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون والقراءة بها
وقيل هي اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما
دعاء بالتعمير والسلامة والمعنى ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل
آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها لا
يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت
مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت
الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان
شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر
الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة

وما ان

وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر كانه قيل اي
عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد
قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ
فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس
عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون
لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما
بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه
مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر فانه لوزم بين
القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عليه السلام
من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا
ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخره

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة
العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل
منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته
والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول البقرة لعلك
باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو
عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك
بالاضافة لعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا
مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه

فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت
الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او
الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة
فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لانه لو قيل انزلنا
بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن
بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير
الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا
عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث
ادى بهم الى الاستهزاء المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اذا
مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء ما كانوا به يستهزئون
من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او
يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها
كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة
لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان يكون مقيدة لما يتضمن الدلالة
على القدرة وان يكون مبينة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده
او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات
تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة
سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه
فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز
الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز

في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر
باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت القوم الظالمين
بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من
الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون
كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار
تعجيبا لموسى من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات
اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى
الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه
مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل
مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى
الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء
ضم اخيه اليه واشراكه له في الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب
وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح
الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة
الى معين يقوي قلبه وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل
دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر
بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه وقرأ يعقوب
ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف
عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد
قتل القبطي وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة

في مواضع فأخاف أن يقتلون به قبل أداء الرسالة وهو أيضا ليس
تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استمداد
واستظهار في أمر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا إجابة
له إلى الطلبتين بوعده لدفع اللوم بردعه عن الخوف وضم أخيه
إليه في الإرسال فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لأنه معطوف على
الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
أنت والذي طلبته إنا معكم يعني موسى وهرون وفرعون مستمعون
سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر
مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لإمداد أوليائه منهم
مبالغة في الوعد بالإعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى
الإصغاء للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات وهو
خبر ثان أو خبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا إنا رسول
رب العالمين أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به فإنه مشترك
بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا أرسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وأفرد أخرى أو
لاتحادهما للأخوة أو لوحدة المرسل والمرسل به أو لأنه أراد
أن كل واحد منا أن أرسل معنا بني إسرائيل أي أرسل لتضمن
الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا
معنا إلى الشام قال فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك
ألم نربك فينا في منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج

إلى مدين

إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد
الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه
به معظما إياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لأنها
كانت قتلة بالوكز وأنت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي
أو ممن تكفرهم الآن بالمخالفة فإنه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية
فهو حال من إحدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين
بالهيئة أو بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم
قال فعلتها إذا وأنا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى
من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه أو من المخطئين لأنه لم يتعمد
قتله أو الذاهبين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد به التأديب
أو الناسين من قوله أن تضل إحداهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب
لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد أولا بذلك ما وبخه به
قدحا في نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان
صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لكونه
مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي
وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك
بني إسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي إليك
وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك
نعمة تمنها علي وهي أن عبدت ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر
محذوف أو بدل نعمة أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها والمعنى
تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع

فيما قبله لان الحنة كانت منه وحذره وللخوف والفرار منه ومن ملائه
قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه
ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ
بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض
وما بينهما عرّفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد
الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين
اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام
المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب
لذاته وذلك المبدأ لا بد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن
ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب او استغناء
بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه
الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه
لاستحالة التركب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته
عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة
متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى
مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم
فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر
واوضح عند التأمل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية
قال رب المشرق والمغرب تشاهدون كل يوم انه يأتي
بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله

حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات وما
بينهما ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق
ذلك لاينهم اولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم
بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند
المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان
تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان
دهريا اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالع استحق
العبادة من اهله واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت
حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا
ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي
اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين على صدق دعواي يعني المعجزة
فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على
صدق مدعي نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل
قال فأت به ان كنت من الصادقين في ان لك بينة او في دعواك
فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا
فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون
لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ما فيها
فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار
ويسد الافق قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع

للحال ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من
ارضكم بسحره فماذا تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه
عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم
عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا
ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين
شرطا يحشرون السحرة ياتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن
وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به
من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس
هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم
اليه كقوله تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب
اخا عون بن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة
ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي
باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا
موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم
اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن
لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين
التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذن
على ما يقتضي من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم
موسى القوا ما انتم ملقون اي بعد ما قالوا له اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل
الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق

فالقوا

فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او لاتيانهم
باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف
تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن
وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات
تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين
لعلمهم بان مثله لا يتاتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه
وتزوير يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن نافع وانما بدل
الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما راوا ما راوا لم
يتمالكوا انفسهم فكانهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تع
القاهم بما خول لهم من التوفيق قالوا امنا برب العالمين بدل من القى
بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون ابدال للتوضيح
ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما
قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فعلمكم شيئا
دون شيء فلذلك غلبكم او فواعدكم على ذلك وتواطأتم عليه اراد به
التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ
حمزة والكسائي وابو بكر وروح ءامنتم بهمزتين فلسوف تعلمون وبال
ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين
بيان له قالوا لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا
به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله
او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان يغفر

لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين من اتباع فرعون او من
اهل المشهد والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير او تعليل للعلة المتقدمة
وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريق
المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقي واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى
الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرئ ابن كثير
ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير
انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اي اسر بهم
حتى اذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم
الى البحر بل يكونون على اثركم حتى تلجوا البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه
عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم في المدائن حاشرين
العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما
استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روي
انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل
سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع
حاذرون وانا لجمع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الامور اشار
اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه
من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شانهم حثا عليه او اعتذر
بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر
والكوفيون حاذرون والاول للثبات والثاني للتجدد وقيل الحاذر

وقف

المؤدي في السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ
حادرون بالدال اي اقوياء قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه
من بغضها وهو حادر او تاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة في اجسامهم
فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية
كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجنا فهو مصدر او مثل ذلك المقام
الذي كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف
واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين
داخلين في وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث
رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون
لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون
في الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص
منهم ان معي ربي بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم
روي ان مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال اين امرت
فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي
اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم
او النيل فانفلق فضرب فانفلق وصار اثني عشر فرقا بينها مسالك
فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا
في شعابها كل سبط في شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون
وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه
اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين

وقف

باطاقة عليهم ان في ذلك لاية اية اية وما كان اكثرهم مؤمنين
وما تنبئ عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقي في مصر من القبط
وبنو اسرائيل بعدما نجوا سالوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل
وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنعم
المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركي العرب
نبأ ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سأله ليريهم
ان ما تعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى
ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون
دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ
يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية
الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من
اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون
لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجؤا الى التقليد قال افرأيتم
ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة
ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم اي فان هذه الالهة التي تعبدونها
عدو لي اعاديهما انا ولا اعبدهم يريد انهم اعداء لعابديهم من
حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه
او ان المغري لعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر
في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها
نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه

في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل
على ان الضمير لكل معبود عبدوه من اباءهم من عبد الله الذي خلقني فهو
يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد
كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدا ايجاده الى
منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبداها بالنسبة
الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها
الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل
الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف
النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي يطعمني ويسقين
على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللتان بعده
وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات
مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين
يشفين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان
الماكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد
النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا
يحس به لا ضرر فيه وانما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل
الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحيوة الدنيوية
وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر انما يحدث
بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان
من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال
المخصوص عليها بقهره ذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم

يجزيني في الآخرة والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره
هضماً للنفس وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر و
طلب لأن يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفاراً لما عسى يندر منه من
الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلث إني سقيم بل فعله كبيرهم
وقوله هي أختي ضعيف لأنها معاريض وليست خطايا رب هب لي
حكماً كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق وألحقني
بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به في عداد الكاملين في
الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيرة واجعل لي
لسان صدق في الآخرين جاهاً وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم
الدين ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه أو صادقاً من
ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو
محمد عم واجعلني من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة
فيها واغفر لأبي بالهداية والتوفيق للإيمان إنه كان من الضالين
طريق الحق وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي
الإيمان تقية من نمرود ولذلك وعده به أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار
للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن رتبة
بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً أو
بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان
أو من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لأنهم معلومون أو
للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أي
لا ينفعان أحداً إلا مخلصاً سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر

آفاته أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه حيث أنفق ماله في سبيل
البر وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباداً
لله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال
والبنون أي لا ينفع غنى إلا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من
من أتى الله بقلب سليم تنفعه وأزلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها
من الموقف فيتبجحون بأنهم المحشورون إليها وبرزت الجحيم للغاوين
فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها اختلف بين الفعلين
ترجيحاً لجانب الوعد وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله
أين آلهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم أو ينتصرون بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون
النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون أي الآلهة وعبدتهم
والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب
مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها وجنود إبليس متبعوه من
عصاة الثقلين أو شياطينه أجمعون تأكيد للجنود إن جعل
مبتدأ خبره ما بعده وللضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل
وما يعود إليه في قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله
إن كنا لفي ضلال مبين على أن الله ينطق الأصنام فتخاصم
العبدة ويؤيده الخطاب في قوله إذ نسويكم برب العالمين في
استحقاق العبادة ويجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا
والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى أنهم مع تخاصمهم
في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون فيها

وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين من الملائكة والانبياء
ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء
او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع
ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق او
لان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق
الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل
فلو ان لنا كرة تمنٍّ للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في
معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمني
او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك فيما ذكر
من قصة ابراهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر
فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل
فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية
والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالفته معهم
وكمال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع
والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين وان ربك لهو
العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا
هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم
مؤنثة ولذلك يصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم
المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله

فيتركوا

فيتركوا عبادة غيره اني لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا
الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما
اسألكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجري الا على
رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتأكيد والتنبيه على
دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه لوجوب طاعته فيما يدعوهم
اليه فكيف اذا اجتمعا وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص بفتح
الياء في اجري في الكلمات الخمس قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون
الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك
فهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من
سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا
اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه ودليلا
على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة
وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون
انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علي الا اعتبار الظاهر
ان حسابهم الا على ربي ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه
المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا
تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء
طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله
ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار
المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي
طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم انذارا بينا

ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب علم ولكنه اراد انهم كذبوني في وحيك ورسالتك مدارك

بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته
يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو
تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا
فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم
او شؤم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا
بعد بعد انجائه الباقين من قومه ان في ذلك لآية شاعت وتواترت
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد
المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال
لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة
الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه
وان الانبياء متفقون على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرؤون
عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان
مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها
اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارها فلا يحتاجون اليها او بروج
الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم او قصورا
يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة
وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسيف او سوط
بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب

الوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد

ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم
اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد
الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه
بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم
كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون
مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين
وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
في الدنيا والآخرة كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء
علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوي عما نحن عليه
وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه
ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين
او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضمتين اي ما هذا الذي جئت
به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه
من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا
الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس
عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب
التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ها هنا آمنين انكار

لان تتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فأت بآية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين

على عقرها

على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم لبيان ما ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول اني لعملكم قالٍ لدلالته

على انه معدود في زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجني واهلي مما
يعملون من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين
له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا
هي امراة لوط في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب اذ اصابها حجر
في الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل
كانت فيمن بقيت في القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الاخرين
اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة
فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف
اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب
الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة
بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين
وكان اجنبيا منهم فلذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم
يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
وهو المقل وقراء ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم
وانما كتبت ههنا وفي صاد بغير الالف اتباعا للفظ اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق
الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو
ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم
ولا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة
وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين وذوي الجبلة الاولين
يعني من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر
مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة
مبالغة في تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك فاسقط علينا
كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى
من التهديد وقرأ حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين في دعواك
قال ربي اعلم بما تعملون وبعذابه منزل عليكم ما اوجبه لكم عليه في وقته
المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا
بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارها فاظلتهم
السحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب
يوم عظيم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم هذا اخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول
الله عم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب
الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة
به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم
لا مؤاخذة على تكذيبهم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن
ونبوة محمد عم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من
الله تع والقلب ان اراد به الروح فذاك ظاهر وان اراد به العضو

فخصصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه
إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها
لوح المتخيلة والروح الأمين جبريل فإنه أمين الله على وحيه وقرأ ابن
عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاء ونصب الروح الأمين
لتكون من المنذرين عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك بلسان عربي مبين
واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز
أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب وهو هود
وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم وإنه لفي زبر
الأولين وإن ذكره أو معناه لفي الكتب المتقدمة أولم يكن لهم آية
على صحة القرآن أو نبوة محمد عم أن يعلمه علماء بني إسرائيل أن يعرفوه
بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلاً وقرأ ابن عامر تكن بالتاء
وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل أو الفاعل وأن
يعلمه بدل ولهم حال أو الاسم ضمير القصة وآية خبر أن يعلمه والجملة خبر تكن
ولو نزلناه على بعض الأعجمين كما هو زيادة في إعجازه أو بلغة العجم
فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف
ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه أدخلناه في قلوب المجرمين
والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية
على أنه بخلق الله وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه
وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عناداً لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الأليم الملجئ إلى الإيمان فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم

لا يشعرون

لا يشعرون بإتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسراً وتأسفاً
أفبعذابنا يستعجلون فيقولون أمطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا
وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة أفرأيت إن متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون
لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما أهلكنا
من قرية إلا لها منذرون أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ذكرى تذكرة
ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار أو الرفع على
أنها صفة منذرين بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة
أو خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين
وقبل الإنذار وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون أنه
من قبيل ما يلقي الشيطان على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم أن
يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون إنهم عن السمع لكلام الملائكة
لمعزولون لأنه مشروط بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان
الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة
بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن
تلقيها إلا من الملك فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين
تهييج لازدياد الإخلاص ولطف لسائر المكلفين وأنذر عشيرتك
الأقربين الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام لشأنهم أهم روي
أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا عليه
فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي قالوا نعم
قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك

قوله ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره فان ما قبل من التبيينية يجب ان يكون اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان ولو لم يكن من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لا يحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان في الوجود ومثله زما في المفهوم فلا وجه للبيان ظاهرا الا ان المتبعين اعم في نفس الامر من المؤمنين لانه لا يتناول من اتبعه في امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لا يتناول الا من اتبعه في امر الدين

من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد
ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او
للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون
باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بري مما تعملون مما تعملونه
او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه و
نصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن
عامر بالفاء فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين
تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال
المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة او تصرفك
فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم
وانما وصفه الله تع بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه
بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا
لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على
من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القران لا يصح
ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا عم لا
يصلح لان ينزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير
كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب
والتواد وحال محمد عم على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع
واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون

لانهم يخلطون معه كذبا كثيرا عن النبي عم الكلمة يخطفها الجني
الكهنة والشياطين ... فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة ...

منهم

منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم
اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها
في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى الله عم
فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر
بالكل لقوله كل افاك والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى
ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضماير للشياطين
يلقون السمع الى الملا الاعلى قبل ان يرجموا فيختطفون منهم بعض
المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى
اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم
لا على نحو ما تكلمت به الملئكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم
او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد عليه الصلوة والسلم
ليسوا كذلك وهو استيناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر
انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها
واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق
الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل
ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله انهم يقولون
ما لا يفعلون فكانه لما كان اعجاز القران من جهة اللفظ والمعنى
وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من
جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القران لهما
ومضادة حال الرسول لحال اربابهما وقرا نافع يتبعهم على التخفيف
وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين امنوا وعملوا

الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء
للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر
اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا
هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين
كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام
يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عم
قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد
البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون
اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي
الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات
وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله
وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب
بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهي تسعون وثلث واربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة الى اي السورة
والكتاب المبين اما اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن
فهو يبينه للناظرين وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه

في الحجر باعتبار الوجود او القران وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام
او لصحته باعجازه وعطفه على القران كعطف احدى الصفتين على
الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات والعامل
فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران اخران او خبران لمحذوف
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات
من الصلوة والزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون من تتمة الصلة
والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم
وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء
الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة فان تحمل
المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير
للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم زين
اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال
الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون
عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب
كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون اشد
الناس خسرانا لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى
القران لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما
مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل
والاشعار بان علوم القران منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع
ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان

بعض تلك العلوم بقوله إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا أي اذكر
قصته إذ قال ويجوز أن يتعلق بعليم سآتيكم منها بخبر أي عن حال
الطريق لأنه قد ضله وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته
لما كنى عنها بالأهل والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالإتيان
وإن أبطأ أو آتيكم بشهاب قبس بشعلة نار مقبوسة وإضافة
الشهاب إليه لأنه يكون قبسا وغير قبس ونونهما الكوفيون ويعقوب
على أن القبس بدل منه أو وصف لأنه بمعنى المقبوس والعدتان على
سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه والترديد
للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر
وثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون
رجاء أن تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها
نودي أن بورك أي بورك فإن النداء فيه معنى القول أو بأن بورك
على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة والتخفيف وإن اقتضى التعويض
بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في أحكام
كثيرة من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة
المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة
ومن حول مكانها والظاهر أنه عام في كل من في تلك الوادي وحواليها
من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم
أحياء وأمواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى وقيل
المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة
بأنه قد قضي له أمر عظيم تنتشر بركته في أقطار الشام وسبحان

الله رب العالمين من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه
تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الأمر أو تعجب من موسى لما دهاه
من عظمته يا موسى إنه أنا الله الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له
أو للمتكلم وأنا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان
لما أراد أن يظهره يريد أنا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام
كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير وألق عصاك
عطف على بورك أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك ويدل
عليه قوله وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى إني أنا الله بتكرير أن
فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كأنها جان حية خفيفة سريعة
وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا
ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار وإنما رعب
لظنه أن ذلك لأمر أريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف أي من
غيري ثقة بي أو مطلقا لقوله إني لا يخاف لدي المرسلون حين
يوحى إليهم من فرط الاستغراق فإنهم أخوف الناس أي من الله
أو لا يكون لهم سوء عاقبة فيخافون منه إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد
سوء فإني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدر
من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فإنهم وإن فعلوها
أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة وقصد
تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف
على محذوف أي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وأدخل يدك في جيبك لأنه
مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لأنه يجاب أي يقطع تخرج

بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان
التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم و
والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا
واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث
به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال
فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاول هي يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا
انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان
جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها
لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما تبصر
او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا ان تهدي
او مبصرة كل من نظر اليها وتامل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر
فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا
بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم
وعلوا ترفعا من الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة
ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرايع
او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه
بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له
ما فعلا وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني
من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله
حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه مما

اوتيا

اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله
على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد
فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام
مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء تشهير لنعمة الله وتنويه بها
ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير
ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به
عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد
فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة
العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها
ما من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية
التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي انه
مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا
فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن
مقاساة شدة وتألم قلب والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له
وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شيء كثرة
ما اوتي كقوله فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ان هذا لهو الفضل
المبين الذي لا يخفى على احد وحشر لسليمان وجمع جنوده من الجن
والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على آخرهم

لئلا يحطموا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية
الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من
قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا
اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها
لما راتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها
فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك
بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع
خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي لهم
عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقوله لا اريتك
ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا تدخله
في السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا
كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف
اي فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا
من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه
الله تعالى به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سال توفيق
شكره وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اجعلني ازع شكر
نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك عنه
وقرا البزي وورش بفتح ياء اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي
ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما
نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل
صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في

عبادك الصالحين في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير
فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان
من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر ولا
يراه لساتر او غيره فقال ما لي لا ارى الهدهد ثم احتاط فلاح
له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال
عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه في الشمس
او حيث النمل تاكله او جعله مع ضده في قفص او لاذبحنه ليعتبر
به ابناء جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره
والحلف في الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن
لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه
عليهما وقرا ابن كثير او ليأتينني بنونين الاول مفتوحة مشددة
فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه
خوفا منه وقرا عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعني
حال سبا وفي مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان في ادنى
خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه و
يتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء في التاء باطباق و
بغير اطباق وجئتك من سبا وقرا ابن كثير برواية البزي و
ابو عمرو غير منصرف على تاويل القبيلة او البلدة بنبا يقين
بخبر محقق روي انه عم لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج
فوافى الحرم واقام بها ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة
صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها

تولّه يجد الماء وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء
فتفقده لذلك ولم يجده إذ حلّق حين نزل سليمان فرأى
هدهدًا واقعًا فانحطّ إليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف
له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعلّ في عجائب قدرة الله
وما خصّ به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها
من يعرفها ويستنكرها من ينكرها إني وجدت امرأة تملكهم
يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير لسبأ
أو لأهلها وأوتيت من كل شيء يحتاج إليه الملوك ولها عرش
عظيم عظيم بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها وقيل كان ثلاثين
ذراعًا في ثلاثين عرضًا وسمكًا أو ثمانين في ثمانين من ذهب و
فضة مكللًا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله كأنهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان أعمالهم عبادة
الشمس وغيرها من مقابح أعمالهم فصدهم عن السبيل عن سبيل
الحق والصواب فهم لا يهتدون إليه ألا يسجدوا لله فصدهم
لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من أعمالهم
أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائي ويعقوب
ألا بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي
ألا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة فقلت
سميعًا فانطق وأصيب وعلى هذا صح أن يكون استئنافًا من الله
أو من سليمان والوقف على لا يهتدون ويكون أمرًا بالسجود
وعلى الأول ذمًّا على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود

على قراءة تشديد ألا
أي بالتشديد وغير التشديد

في الجملة

في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلّا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون
وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والأرض
ويعلم ما تخفون وما تعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه
باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثًا على
سجوده وردًا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره و
إخراجه إظهاره وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار
وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة
إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى
الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ
حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا إله إلا هو
رب العرش العظيم الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط
بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من
النظر بمعنى التأمل أصدقت أم كنت من الكاذبين أم كذبت
والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي هذا فألقه
إليهم ثم تول عنهم ثم تنحّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه فانظر
ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول قالت أي بعد
ما ألقي إليها يا أيها الملأ إني ألقي إليّ كتاب كريم لكرم مضمونه
أو مرسله أو لأنه كان مختومًا أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت
مغلقة الأبواب فدخل الهدهد في كوة وألقاه إلى نحرها بحيث
لم تشعر به إنه من سليمان استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو
فقالت إنه أي إن الكتاب أو العنوان من سليمان وإنه

وان المكتوب او المضمون وقرئتا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل كتاب واتوني مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا والتزاما والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون امرا بالتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت يا ايها الملؤا افتوني في امري اجيبوني في امري الفتي واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا تدري عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة

المستمرة

المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفع بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبرائيل بالحال فطلب الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به على وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونني بمال خطاب للرسل ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرا حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما اتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما اتيكم فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتقليله الى بيان ما حملهم عليه وهو قياس

حاله على حاله في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول
اليهم الى بلقيس وقومها فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة
لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم
منها من سبأ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون
اسراء مهانون قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك
ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجايب الدالة على عظيم
القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها
فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتوني مسلمين فانها اذا
اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد
من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه و
كان اسمه ذكوان او صخر انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك
من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على
حمله لقوي امين لا اختزل منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده
علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبرائيل
او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك
للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب
في انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه
فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم
اراهم انه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم
والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين
صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع

موضعه

اى طالب الماء

موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما في قوله وكنت
اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف
برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو
شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه فلما رآه اي العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه
قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله هذا
من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى
التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين
بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء
ليبلوني أأشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة
واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء
مواجبه ومحلها النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط
عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي
غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها
بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف
اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب
الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها
وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل لها
اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت
عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو لاحتمال ان

ان يكون مثله وذكر من كمال عقلها وأوتينا العلم من قبلها وكنا
مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها
وإظهار معجزة لها فقالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله
وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات و
قيل انه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة
على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون ذلك عرشها تجويزا
غالبا وإحضاره ثمة من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر
إلا على الأنبياء أي وأوتينا العلم بالله وبرسوله وقدرته وصحة ما جاء
من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم
فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وصدها
ما كانت تعبد من دون الله أي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم
إلى الإسلام أو وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للإيمان إنها
كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الإبدال من فاعل صد على
الأول أي صدها نشؤها بين أظهر الكفار أو التعليل قيل لها
ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته حسبته لجة و
كشفت عن ساقيها روي أنه أمر قبل قدومها فبني قصر صحنه
من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر
ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا
فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة
حملا على جمعه سؤق وأسؤق قال إنه أي إن ما تظنينه ماء صرح
ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب إني ظلمت نفسي بعبادتي

الشمس وقيل بظني سليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة وأسلمت
مع سليمان لله رب العالمين فيما أمر به عباده وقد اختلف
في أنه تزوجها أو زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد أرسلنا
إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله بأن اعبدوه وقرئ بضم
النون على اتباعها الباء فإذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق
والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا
قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العذاب فإنهم كانوا
يقولون إن صدق إيعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل
نزوله لعلكم ترحمون بقبولها فإنها لا تقبل حينئذ قالوا اطيرنا
تشاءمنا بك وبمن معك إذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا
الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم
عند الله وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده بل أنتم قوم تفتنون تختبرون
بتعاقب السراء والضراء والإضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدؤه
إلى ذكر ما هو الداعي إليه وكان في المدينة تسعة رهط
تسعة أنفس وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين
النفر أنه من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى
التسعة يفسدون في الأرض ولا يصلحون أي شأنهم الإفساد الخالص
عن شوب الصلاح قالوا أي قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله أمر
مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا بإضمار قد لنبيتنه وأهله لنباغتن
صالحا وأهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم

لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراءات الثلث
لوليه لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم
وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان
مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرا ابو بكر بالفتح فيكون المصدر
وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون والحال انا لصادقون
فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما
شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رايت ثم رجلا
بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلنا
ها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روي انه كان لصالح
في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلث
فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه
فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا
ثمة وهلك الباقون في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين
وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف
او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف
حال وقرا الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر
محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم
خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة
من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة
وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في

ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا صالحا
ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة
ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا
عليه اذ قال لقومه بدل على الاول وظرف على الثاني اتاتون
الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف
القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض
لانهم كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة
بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه
على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء
اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل
قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون
العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم
اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون
فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين
قدرنا كونها من الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء
مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
امر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته
وعظم شانه وما خص به رسله من الايات الكبرى والانتصار
من العدو بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما
انعم عليهم وعلما بما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم

واجتهادهم في الدين او لوطا بان نجّاه على هلاك كفرة قومه وليسلّم
على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك آلله خير اما
يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير
فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ
ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء امّن خلق بل امّن خلق السموات و
والارض التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ أمَن بالتخفيف
على انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة عدل به عن الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته
والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة
من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين من الاحداق وهو
الاحاطة أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد
بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل أتدعون او تشركون
وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم
يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد امّن جعل الارض قرارا بدل من امّن
خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها
بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها
انهارا جارية وجعل لها رواسي جبالا تتكون فيها المعادن وينبع
من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والملح او خليجي فارس
والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان أإله مع الله بل اكثرهم
لا يعلمون الحق فيشركون به امّن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذي

احوجه

احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله تعالى من الاضطرار وهو افتعال
من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة
كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم
خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورّثكم سكناها والتصرف فيها ممن
قبلكم أإله مع الله الذي حفكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما
تذكرون اي تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة
العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وهشام بالياء
وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وتخفيف الذال امّن يهديكم في
ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات
الليالي واضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق
يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا
بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان السبب الاكثري في تكون الريح
معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها
وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك
من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر
على مثل ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة
العاجز المخلوق امّن يبدأ الخلق ثم يعيده والكفرة وإن انكروا
الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء
والارض اي باسباب سماوية وارضية أإله مع الله يفعل ذلك
قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك ان كنتم
صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم

من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة
التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم
الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة
على انه تع ان كان ممن في السموات والارض ففيها من يعلم الغيب
مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن في السموات والارض
من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله
تع واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان
يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير
لمن وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب
واكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب
عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات
وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي بل هم في شك منها
كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها
لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات
والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والا
والاضرابات الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب
عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم
بالاخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم
ادركت الثمرة لان غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى
استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا

في الملك

في الملك وابو بكر ادرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ اأدرك
بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل ادرك وبل تدارك وبلى
ادرك وبلى اادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح
او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له
بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة
على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم
وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل
في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة
وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار
والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة
وقرأ نافع اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي
اننا لمخرجون بنونين على الخبر لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل من
قبل وعد محمد وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث
اخر فالمقصود به هو المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين التي هي
كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين
تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم
والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن
عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق اي حرج صدر وقرأ
ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود
ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة

في جوابهم بان العذاب واقع بنا
الشان
اللام فيه زايدة اي قرب منكم ولحقكم

للتاكيد او الفعل يضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو
لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف
في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا
بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده وان ربك
لذو فضل على الناس بتاخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الا
الافضال وجمعها فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق
النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن
صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اذا سترت وما يعلنون
من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة في السماء والارض خافية فيهما
وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما
يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة الا في كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن
يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال
الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم هم
المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو
الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه
العليم بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم
انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره
انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن
متابعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين

فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة وما انت تهدي
العمي ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا من يؤمن بآياتنا من هو في علم الله كذلك
فهم مسلمون مخلصون في ايمانهم من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم
اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب اخرجنا لهم
دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب
وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عم سئل عن
مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من
الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم
سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم
في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه ان الناس كانوا بآياتنا خروجها
وسائر احوالها فانها من آيات الله وقيل القرآن وقرأ الكوفيون ان بالفتح
لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله
او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم
القيامة ممن يكذب بآياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض
لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون
يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم حتى اذا جاءوا الى المحشر قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما
الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يحيط به علمكم
بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم
بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي

أي شيء عملتموه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من
الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل
بهم العذاب الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب
ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم
من العذاب ألم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر
وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين
بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور
في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان وان
من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما
هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ
فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة ويوم
ينفخ في الصور في الصور او القرن صورة وصور كصوفة وصوف
وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق
ففزع من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي
لتحقق وقوعه الا من شاء الله اى لا يفزع بان يثبت الله قلبه قيل
قيل هو جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والخزنة وحملة
العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد
ما يعم ذلك وكل أتوه حاضرون للموقف بعد النفخة الثانية او
راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ

اتاه على التوحيد للفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ دخرين وترى الجبال
تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب في السرعة وذلك
لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها
صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله
الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما يفعلون
عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة
فله خير منها اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة
بواحدة وقيل خير منها اى هو خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع
يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول ما يلحق الانسان
من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن
وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن
يعدى بالجار وبنفسه كقوله افأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع
يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها ومن جاء بالسيئة قيل الشرك فكبت
وجوههم في النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه
انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل
تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك
انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة اى مكة الذي حرمها امر الرسول
ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا
بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه و
والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها

وتعظيم لشانها وفي الحرمها وله كل شيء خلقا وملكا وامرت ان
اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو
القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه في تلاوته تلاوة
شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى
باتباعه اياي في ذلك فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عايدة اليه
ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله
شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة
النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به سيريكم آياته القاهرة في الدنيا
كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في الآخرة فتعرفونها فتعرفون
انها آيات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون
فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرئ في السبعة بالياء
عن النبي عم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب
ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله سورة القصص مكية
الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان
وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نتلوه بقراءة جبرائيل
ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض نبإهما
مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون
علا في الارض استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر وجعل
اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته

اوصنافا

اوصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى
بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو
اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله
يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا
قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من
غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه
كان من المفسدين فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل
فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم
بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون
علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا
يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز
ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله
بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان تجرى مجرى المقارنة
ونجعلهم ائمة في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون
وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين
ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر
ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون من
ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرأ حمزة والكسائي
ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى
ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا
خفت عليه بان يحس به فألقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا

ولا تخافى عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزنى لفراقه انا رادوه اليك عن
قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين روى انها لما ضربها
الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل فعالجتها فلما
وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعدت مفاصلها
ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلثة اشهر ثم
الح فرعون فى طلب المواليد واجتهد العيون فى تفحصها فاخذت له
تابوتا فقذفته فى النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض
الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائى حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم
ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فى كل شئ فليس ببدع
منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل
بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم
على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما
ابتلوا به وقرئ خاطين بتخفيف خاطئين او خاطين الصواب
الى الخطاء وقالت امرأة فرعون اى لفرعون حين اخرجته من التابوت
قرة عين لى ولك هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت
احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان
بحرى يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفى الحديث
انه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه
خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن و
دلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه

لبنا

لبنا او يؤديه البرضاع به بعد او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له
وهم لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اى
وهم لا يشعرون انهم على الخطاء فى التقاطه او فى طمع النفع منه
والتبنى او من احد ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس اى وهم لا يشعرون
انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل
لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله
وافئدتهم هواء اى خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا
من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدر او من الهم لفرط وثوقها
بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت
لتبدى به انها كادت لتظهر بموسى اى بامره وقصته من فرط
الضجر او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات
لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه
لا بتبنى فرعون وعطفه وقرئ موسى اجراء للضمة فى جار الواو
مجرى ضمتها وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما
قبله وقالت لاخته قصيه اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت
به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم
لا يشعرون انها تقص او انها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه
ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او
موضعه يعنى الثدى من قبل من قبل قصصها اثره فقالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون
فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله

خذوها حتى تجد من يكفله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها
فرعون بان تأتى بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكى وهو
يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت
منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك قالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها
من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كى تقر عينها بولدها ولا تحزن
بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما
سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون
ولما بلغ اشده مبلغه الذى لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلثين الى اربعين
سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على راس
الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين
او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل
ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه استنبأه بعد الهجرة
فى المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين
على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل
منف او جابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها فى
وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل
بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه
احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر من مخالفيه وهو القبط
والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فسأله

ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب
القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله
فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان
لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم
ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه
ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو
مضل مبين ظاهر العداوة قال رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفر لى ذنبى
فغفر له باستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال
رب بما انعمت على قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة
وعبد لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اى بحق انعامك
على اعصمنى فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن
عباس انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت
على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح
فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذى استنصره
بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوى
مبين بين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد
ان يبطش بالذى هو عدو لهما لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما
ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلنى
كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظن انه
يبطش عليه او القبطى وكانه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى
بالامس لهذا الاسرائيلى ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض

تطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن ولما قال هذا انتشر الحديث
وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو
ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة
لرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان
تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك
يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين
يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس
صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من المدينة
خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني
واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب
سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين
مصر مسيرة ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله
وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في
اوسطها وجاء الطلاب عقيبه واخذوا في الآخرين فلما ورد ماء مدين
وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها
امة من الناس جماعة كثيرة مختلطة مختلفين يسقون مواشيهم
ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان
اغنامهما عن الماء لئلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما ما شأنكما تذودان
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن
الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدله

على

على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر
يصدر اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا
شيخ كبير كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا
فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس
البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به
من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة
فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما انزلت الي
لاي شيء انزلت من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام
فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما انزلت
الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون
والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي
على استحياء اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل
الكبرى واسمها صفورا او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت
ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك
لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته
لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع
عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب
هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هكذا وان من فعل معروفا فاهدي
بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احديهما يعني
التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي

لما تقول استأجره لقوته وامانته

الامين تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما لان وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على

انه امين مجرب معروف روى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته

وامانته فذكرت قوته باقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته

رسالته وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى

هاتين على ان تأجرنى ان تأجر نفسك منى او تكون لى اجيرا او تثيبنى

من اجرك الله ثمانى حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث

باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج فان اتممت عشرا عملت عشر حجج

فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندى الزاما عليك وهذا

استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر اخر او برعية

الاجل الاول ووعد له ان يوفى الاخير ان تيسر له قبل العقد و

كانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك وما

اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات

واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك

يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته ستجدنى ان

شاء الله من الصالحين فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء

بالمعاهدة قال ذلك بينى وبينك اى ذلك الذى عاهدتنى فيه

قائم بيننا لا نخرج عنه ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت

وفيتك اياه فلا عدوان على لا تعتدى على بطلب الزيادة فكما لا

اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمانى او فلا

اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم على وهو ابلغ فى

على احد الاجلين

في اثبات

فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال ان قضيت

الاقصر فلا عدوان على وقرئ ايما كقوله تنظرت نصرا والسماكين

ايهما على من الغيث استهلت مواطره واى الاجلين ما قضيت

فيكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اى اى الاجلين جردت عزمى

لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل

شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته قيل قضى اقصى

الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخر ثم عزم على الرجوع

آنس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التى تلى الطور قال

لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او

جذوة من النار عود غليظ سواء كان فى رأسه نار او لم يكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والقى

على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك

بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات

لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما آتيها نودى من شاطئ الواد

الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى فى البقعة المباركة متصل

بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال

لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اى يا موسى انى انا الله

رب العالمين هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود

وان الق عصاك فلما رآها تهتز اى فالقاها فصارت ثعبانا ف

اهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان فى الهيئة والجثة او فى السرعة

ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى

نودى يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه
لا يخاف لدى المرسلون اسلك يدك فى جيبك ادخلها تخرج
بيضاء من غير سوء عيب واضمم اليك جناحك يديك المبسوطتين
تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى
وبالعكس او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان
يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز
ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة
من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن
ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل
ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر
بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون
والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير
وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره
الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء
وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا
بهما الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا احقاء بان
يرسل اليهم قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بها
واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا معينا وهو
فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقنى
بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة انى اخاف ان يكذبون
ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره

وتوضيحه

وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة
يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك
سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا غلبة
او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج بآياتنا متعلق بمحذوف اى
اذهبا بآياتنا او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون
منهم بها او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون فى قوله انتما ومن
اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه
للتعريف لا بمعنى الذى فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا
الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه
على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا
يعنون السحر او ادعاء النبوة فى آبائنا الاولين كائنا فى ايامهم وقال
موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم انى محق وانتم مبطلون
وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا لمقالتهم ووجه العطف
بالواو ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما
من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد
بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة
والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ
حمزة والكسائى يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى
فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت
لكم من اله غيرى نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن ما يقتضى الجزم

بعد منه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله
فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى
اله موسى كأنه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي
اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبني رصدا
يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول
وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا
من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها
انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر
فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه
من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق بغير الاستحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون
بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم ٥
لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في
كف فطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد
كيف كان عاقبة الظالمين وحذر قومك يا محمد عن مثلها وجعلناهم
ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة
عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة

لا ينصرون

لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا
عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيامة
هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد آتينا
موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح
وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق
وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبل الله ورحمة
لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب
الغربي يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام
موسى او الجانب الغربي منه والخطاب لرسول الله اي ما كنت حاضرا
اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه
وما كنت من الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من
قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك
عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحينا
اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاول عليهم المدد
فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف
المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في اهل
مدين شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم
آياتنا التي فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطاه

التوريةِ وبالأول حينما استنبأهُ لانهما المذكوران في القصة ولكن
رحمةً من ربك ولكن علمناك رحمةً وقرئت بالرفع على هذه رحمةٌ لتنذر
قوماً متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم في
فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين
اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل
وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة
بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولاً لولا الاولى
امتناعية والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بها
بالفاء تشبيهاً لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء
المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سبباً
لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى يلجأهم العقوبة والجواب
محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم
ربنا هلا ارسلت الينا رسولاً يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون
من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعاً لعذرهم والزاماً
للحجة عليهم فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق
من عندنا يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات قالوا لولا اوتي
مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملةً واليد والعصا وغيرها اقتراحاً
وتعنتاً اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الرأي
والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربياً من اولاد عاد
قالوا ساحران يعنون موسى وهارون او موسى ومحمداً صلوات الله عليهما
تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون

سحران

سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغةً او اسناد تظاهرهما
الى فعلهما دلالةً على ان سبب الاعجاز وقرئ اظّاهرا على الادغام وقالوا
انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل من الانبياء قل فأتوا بكتاب من
عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى واضمارهما لدلالة
المعنى ويؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين
انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام والتبكيت
ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى
الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل
الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي
اليه حذف الدعاء غالباً كقوله وداعٍ دعا يا من يجيب الى الندى
فلم يستجبه عند ذاك مجيب فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا
حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفي بغير
هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد فان هوى النفس
قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه
بعضاً في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجة
والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون
ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل الانجيل
اثنان وثلثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير
في من قبله للقرآن كالمستكن في به واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي

بانه كلام الله انه الحق من ربنا استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم
به انا كنا من قبله مسلمين استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس
مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب
المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته
عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة
على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم
وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده
او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرءون بالحسنة السيئة
ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع الحسنة السيئة تمحها
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو اعرضوا
عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم
متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا
نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدي
من احببت لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي من
يشاء فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه
رسول الله وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك
عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكن اكره ان
يقال خرع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف
اتى النبي عم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا

العرب

العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله
عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما
ذا امن بحرمة البيت الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون
فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية
بالتاء ثمرات كل شيء من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان
حالهم هذه وهم عبدة الاصنام فكيف يعرضهم للتخوف و
التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم
لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه
متعلق بقوله من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك
رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا
على المصدر من يجبى او على الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة
ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله
على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي
وكم اهلكنا من اهل قرية كانت حالهم كحالكم في الامن وخفض
العيش حتى اشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم
خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة
يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شوم معاصيهم
وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض
او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف
اليه او مفعول على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك [illegible]

عاد تلك مهلك القرى حتى يبعث في أمها في أصلها التي هي أعمالها
لأن أهلها يكون أفطن وأنبل رسولا يتلو عليهم آياتنا لإلزام
الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون
بتكذيب الرسل والعتو في الكفر وما أوتيتم من شيء من أسباب الدنيا
فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم
المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك لأنه لذة
خالصة وبهجة كاملة وأبقى لأنه أبدي أفلا تعقلون فتستبدلون
الذي هو الأدنى بالذي هو خير وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ
في الموعظة أفمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فإن حسن الوعد
بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده
ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة
الدنيا الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب
للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيامة من المحضرين للحساب
أو العذاب وثم للتراخي في الزمان أو الرتبة وقرأ نافع وابن
عامر في رواية والكسائي ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل
بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها
بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيامة أو منصوب باذكر
فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي الذين كنتم تزعمونهم
شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم
القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لأملأن جهنم
من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء

الذين

الذين أغوينا أي هؤلاء هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول
أغويناهم كما غوينا أي أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف
للدلالة على أنهم غووا باختيارهم فإنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة
وتسويلا ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لأجل ما اتصل
به فأفاد زيادة على الصفة وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم
تبرأنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير
للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا إيانا يعبدون
أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية
متصلة بتبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا وقيل ادعوا شركاءكم
تدعونهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الإجابة والنصرة
ورأوا العذاب لازما بهم لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل
يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما رأوا العذاب وقيل للتمني أي
تمنوا أنهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم
المرسلين عطف على الأول فإنه تعالى يسأل أولا عن إشراكهم
به ثم عن تكذيبهم الأنبياء فعميت عليهم الأنباء يومئذ فصارت
الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء لكنه
عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه
من خارج فإذا أخطأه ولم يكن له حيلة على استحضاره والمراد
بالأنباء ما أجابوا به الرسل أو ما يعمها وإذا كانت الرسل
يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله تعالى
فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء

فهم لا يتساءلون لا يساءل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة
او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع
بين الايمان والعمل فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى
تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح
وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان
لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار
عنهم راسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق
باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس
لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده
ما روى انه نزل فى قولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع اليه محذوف
والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سبحان
الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم
ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله عم وحقده وما يعلنون
كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد
يستحقها الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة لانه المولى للنعم كلها
عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم
الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا
بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ فى كل شىء واليه
ترجعون بالنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما

وهو

وهو من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيامة
باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله
غير الله يأتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره
آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة باسكانها
فى وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم
بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء
بما يقابله لان الضوء نعمة فى ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل
ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون
وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته
من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه فى الليل
ولتبتغوا من فضله فى النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون
ولكى تعرفوا نعمة الله فى ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم
فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار
بانه لا شىء اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير
فساد رأيهم والثانى لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض
تشه وهوى ونزعنا اخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم
يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة
ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله فى الالوهية لا يشاركه
فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون
من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر ابن قاهث

ابن لاوى وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان
يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملّكه
فرعون على بنى اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة
ولهرون الحبورة وانا فى غير شئ الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز
من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه جمع مفتح
بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح
لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى
آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة
الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر
والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها و
الذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا
محالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندى فى سرور تيقن
عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال الله تع ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل
النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تع فقال ان الله لا يحب الفرحين
بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة
بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا
تنس ولا تترك ترك المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها
آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله
اليك فيما انعم الله عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن
اليك بالانعام ولا تبغ الفساد فى الارض بامر يكون علة للظلم والبغى

ان الله

ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على
علم عندى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم
بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية وكان
اعلمهم بها وقيل هو علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة
وساير المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له
او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه
قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك لانه قراءه فى التورية وسمعه من حفاظ التواريخ
او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه اى اعنده
مثل ذلك العلم الذى ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه
مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
استعلام فانه تع مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة
كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه
واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله تع
مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة فخرج
على قومه فى زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين
يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت
لنا مثل ما اوتى قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا عن الحسد انه
لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة

لمتمنيت ويلكم بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة
خير لمن آمن وعمل صالحا مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا
يلقاها الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فانه بمعنى المثوبة
او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة الا
الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا به وبداره الارض روي انه
كان يؤذي موسى عليه السلام في كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت
الزكاة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح
موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها
فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن
زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت
قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك
بنفسي فخر موسى شاكيا عنه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت
فقال يا ارض خذيه فاخذته الى كعبته ثم قال خذيه فاخذته الى
وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به و
كان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه
ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني مرة لاجبته
ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره
وامواله فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فاوت رأسه اذا
ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من
المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه

ان لم يكن لقارون جند

ان من دون عذابه فاوحى الله الى موسى ما اغلظ قلبك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم وعزتي لو دعوني مرة واحدة لوجدوني مجيبا

من عذابنا النازل به

منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان
قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان
يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن
للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك
وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا لم يعطنا
ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ
حفص بفتح الخاء والسين ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او
المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة تلك الدار
الآخرة اشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها
والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا
ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة
المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها
ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات
وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة
اليهم الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقام
مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض
عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك
الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه
او مكة التي اعتدت بها على انه من العادة ردها اليها يوم الفتح كأنه
لما حكم بان العاقبة للمتقين واكده بوعد المحسنين ووعيد

المسيئين ووعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي أنه لما بلغ الجحفة
في مهاجره اشتاق إلى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي أعلم من
جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل
يفسره أعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العقاب والإذلال
يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله
وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب أي سيردك إلى معادك
كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه إلا رحمة من ربك ولكن
ألقاه رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال
وما ألقي إليك الكتاب إلا رحمة أي لأجل الترحم فلا تكونن ظهيرا
للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم ولا يصدنك
عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها بعد إذ أنزلت إليك وقرئ يصدنك
من أصد وادع إلى ربك إلى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين
بمساعدتهم ولا تدع مع الله إلها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع
أطماع المشركين عن مساعدته لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا
وجهه إلا ذاته فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم له الحكم
القضاء النافذ في الخلق وإليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي عم
من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى و
كذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة
أنه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي ستون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل استقلاله بنفسه

أو بما يتضمن معه لحسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة
على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين أو ما يسد مسدهما
كقوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فإن معناه أحسبوا
تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعوليه وغير مفتونين
من تمامه ولقولهم آمنا هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب
أو أنفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق
التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف
الطاعات وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص
من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر
عليها عوالي الدرجات فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص
لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في العذاب روي أنها نزلت في ناس
من الصحابة جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار قد عذب في
الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه عامر بن الحضرمي
بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته ولقد فتنا
الذين من قبلهم متصل بأحسب أو بلا يفتنون والمعنى أن ذلك
سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه فلي
فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلقن علمه بالا
بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين
كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى وليميزن
أو وليجازين وقرئ وليعلمن من الإعلام أي وليعرفنهم الناس أو
وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ام

أم حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح أن يسبقونا أن يفوتونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولي حسب وأم منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائهما فعلا ذا حسن او كأنه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو

اوفق

اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله والمرسلين او في مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم في الصرف عن الايمان كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم فارتدوا عن اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف

الاوزار عنهم ان كان تشبيها لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم
وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم
لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم
بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته
انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا اخر معها لما تسببوا له
بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شيء
وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون
من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث
فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روي انه بعث على
راس الاربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين عاما وعاش
بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال
العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في
ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة
تسلية رسول الله صلعم وتثبيته على ما كان يكابده من الكفرة واختلاف
المميزين لما في التكرير من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان
الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون
بالكفر فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة من اركب معه من
اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل
وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اي
السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها
وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على

تقديره

تقديره ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف
لارسلنا اي ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق
وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه
ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو
ما هو خير مما هو شر او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون
نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون
كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها و
تنحتونها للافك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه
زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق
للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك
ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على
شرارة ذلك من حيث انه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر
بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم
فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له
متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم او
مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان
تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل
فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضروا انفسهم حيث تسبب لما حل بهم
من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذي
زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها من
جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان تكون

اعتراضًا بذكر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على
سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث إن مساقها لتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله عليه السلام كان ممنوا بنحو ما مني
به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم في
قومه أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة ومن غيرها وقرأ
حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده
إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يبدئ فإن
الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن يؤول الإعادة بأن ينشئ في كل
سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما و
يعطف على يبدئ إن ذلك الإشارة إلى الإعادة أو إلى ما ذكر من الأمرين
على الله يسير إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء قل سيروا في الأرض حكاية كلام
الله لإبراهيم أو محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف
الأجناس والأحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة
الأولى التي هي الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث إن كلا
اختراع وإخراج من العدم والإفصاح باسم الله مع إيقاعه مبتدأ
بعد إضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على أن المقصود
بيان الإعادة وأن من عرف بالقدرة على الإبداء ينبغي أن يحكم له
بالقدرة على الإعادة لأنها أهون والكلام في العطف ما مر وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو النشاءة كالرآفة إن الله على كل شيء قدير لأن قدرته
لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الأخرى
كما قدر على النشأة الأولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء

رحمته وإليه تقلبون تردون وما أنتم بمعجزين ربكم عن إدراككم
في الأرض ولا في السماء إن فررتم من قضائه بالتواري في الأرض
أو الهبوط في مهاويها والتحصن في السماء أو القلاع الذاهبة فيها
وقيل ولا من في السماء كقول حسان أمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم
والذين كفروا بآيات الله بدلائل وحدانيته أو بكتبه ولقائه بالبعث
أولئك يئسوا من رحمتي أي ييأسون منها يوم القيامة فعبر عنه
بالماضي للتحقيق والمبالغة أو أيسوا في الدنيا لإنكار البعث والجزاء
وأولئك لهم عذاب أليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم إبراهيم له و
قرئ بالرفع على أنه الاسم والخبر إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وكان ذلك
قول بعضهم لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون أسند إلى كلهم فأنجاه
الله من النار أي فقذفوه فيها فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه بردا و
سلاما إن في ذلك أي في إنجائه منها لآيات هي حفظه من أذى النار
وإخمادها مع عظمها في زمان يسير وإنشاء روض مكانها لقوم يؤمنون
لأنهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها وقال إنما اتخذتم من دون
الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا
لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز أن يكون
مودة المفعول الثاني بتقدير مضاف أو بتأويلها بالمودودة أي
اتخذتموها مودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر
منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس

مرفوعة مضافة على انها خبر مبتداء محذوف اى هى مودة بينكم او سبب
مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة
والعايد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة
بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيامة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او
بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا
ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن
اخيه واول من آمن به وقيل انه آمن به حين راى النار لم تحرقه
وقال انى مهاجر من قومى الى ربى الى حيث امرنى ربى انه هو العزيز
الذى يمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يامرنى الا بما فيه صلاحى روى انه
هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران
ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحاق
ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس عن الولادة من عجوز عاقر ولذلك
لم يذكر اسمعيل وجعلنا فى ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب
يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا
فى الدنيا باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة
فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه
فى الآخرة لمن الصالحين لفى عداد الكاملين فى الصلاح ولوطا عطف على
ابراهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه ائنكم لتأتون الفاحشة
الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة
مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام

فى الثانى

فى الثانى ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف مقرر لفاحشتها
من حيث انها مما اشمازت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا
عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون
للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون
سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتأتون فى ناديكم
فى مجالسكم العامة ولا يقال النادى الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط
وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل الخذف ورمى
البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت
من الصادقين فى استقباح ذلك او فى دعوى النبوة المفهومة من التوبيخ
قال رب انصرنى بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة
وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب و
اشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل
هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان
اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم
الذى هو الكفر وانواع المعاصى قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان
فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم
قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد
العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل
بمن عداه واهله او تاقيت للاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان
عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين الباقين فى العذاب او القرية

ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم
مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما
وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته
كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له
وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقالوا لما راوا
فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك
الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني
وموضع الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف
على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء
عذابا منها سمي بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس
اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم ولقد تركنا منها آية بينة هي حكايتها الشائعة
او آثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية
بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا او آية والى مدين
اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا
ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من
الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب ترجف
بها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم ولم يجمع لامن اللبس

جاثمين

جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار
اذكر او فعل دل عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب
وثمود غير منصرف على تاويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اى
تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها
عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم
عن السبيل السوي وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار
ولكنهم لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم
ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على
عاد وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه
اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط
ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض
كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله
ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من
عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل
العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن
فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله
بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب

وعكاب وعكبة واعكب وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت
أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون إلى علم
لعلموا أن هذا مثلهم وأن دينهم أوهن من ذلك ويجوز أن يكون
المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى
وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم إن الله يعلم ما تدعون من دونه
من شيء على إضمار القول أي قل للكفرة إن الله يعلم وقرأ عاصم وأبو عمرو
ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون
ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون
أو مصدرية وشيء مصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون
عائده المحذوف والكلام على الأولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل
وعلى الآخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فإن من
فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه وأن الجماد بالإضافة
إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم
وأن من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الأمثال يعني هذا المثل ونظائره
نضربها للناس تقريبا لما بعد من أفهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها
وفائدتها إلا العالمون الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي وعنه عم
أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب
سخطه خلق الله السموات والأرض بالحق محقا غير قاصد به باطلا
فإن المقصود بالذات من خلقها إفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما
أشار إليه بقوله إن في ذلك لآية للمؤمنين لأنهم المنتفعون بها اتل ما أوحي
إليك من الكتاب تقربا إلى الله بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا

لمعانيه

لمعانيه فإن القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما
قرع سمعه وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بأن يكون
سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر
الله وتورث للنفس خشية منه روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا
ارتكبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب ولذكر
الله أكبر والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها به للتعليل فإن اشتمالها
على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات
أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما
تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ولا
تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ
بآية السيف إذ لا مجادلة أشد منه وجوابه أنه آخر الدواء وقيل المراد
به ذوو العهد منهم إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد
أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة أو بنبذ العهد ومنع الجزية وقولوا
آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم هو من المجادلة التي هي أحسن وعن
النبي عم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله و
بكتبه ورسله فإن قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم
وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض
باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الإنزال
أنزلنا إليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الإلهية وهو تحقيق لقوله

فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه
او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او
اهل مكة او ممن في عهد الرسول من اهل الكتابين من يؤمن به بالقرآن
وما يجحد باياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون
في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها
معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم
الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين
زيادة تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون
اي لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين
وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من
وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك
على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو
بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد
تحريفه وما يجحد باياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة
بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه
آية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع
وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها
كما يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس
شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية
مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته

عليهم متحدى به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر
الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت
دينك ان في ذلك في ذلك الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة
لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون
التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلعم بكتف كتب فيها
بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم
به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم
شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم
ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض
فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبدون من
دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا
الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من
السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا
وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند نزول الموت
بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن
لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس
على حكمهم يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة او لمقدر مثل كان كيت وكيت
من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض
ملائكته بامره وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريون بالنون ذوقوا ما كنتم

تعلمون اى جزاءه يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة
فاياى فاعبدون اى اذا لم يتسهل لكم العبادة فى بلدة ولم
يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه
عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد والفاء جواب شرط محذوف
اذ المعنى ان ارضى واسعة فاخلصوها فان لم تخلصوا
العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها كل نفس ذائقة الموت
تنالها لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغى
ان يجتهد فى الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالى
وقرأ حمزة والكسائى لنثوينهم اى لنقيمنهم من الثواء
فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض
او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف
دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين
الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون
الا على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله
لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها
واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم
سواء فى انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب
هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما

امروا

لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة
فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم
اهل مكة ليقولن الله لما تقرر فى العقول وجوب انتهاء الممكنات
الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد
اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له
يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على
التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان
من يشاء مبهم ان الله بكل شىء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن
سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها
وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر
على شىء من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة
او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون
حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به الصنم وقيل
لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا
اشارة تحقير وكيف لا وهى لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو
ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون
به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الآخرة لهى الحيوان
لهى دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او جعلت
هى فى ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به ذو الحيوة

واصله حيبان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في
بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحيوة ولذلك اختير
عليها هيهنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها
عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا
في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من
الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في
صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله
ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم
من النعمة فيه لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة
النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها
او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي
وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين
يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما امنا اي جعلنا
بلدهم مصونا عن النهب والتعدي امنا اهله عن القتل والسبي
ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت
العرب حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون ايعد هذه
النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم
الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او كذب بالحق لما

فافتراؤه زعمه الشريك لله وتكذيبه بما جاء به من الحق
كفره بالرسول وبالكتاب الذي انزل معه لما جاءه من غير
توقف عناد ا بع

جاءه

اي للمكذبين والاستفهام تقرير لاقامتهم في جهنم وحقيقته ان همزة
الانكار اذا دخلت على النفي صار ايجابا وهو معنى التقرير اي كيف لا يستوجبون الخلود
في جهنم وقد افتروا مثل هذا الافتراء على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او المعنى
الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا على هذا التكذيب والاشراك بع

جاءه يعني الرسول والكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم
يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه
اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب
المطايا اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب
على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اي الم يعلموا ان
في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا
في حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة
بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم
هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين
بالنصرة والاعانة قال عم من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية
الا قوله فسبحان الله وهي ستون او تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة
عندهم او في ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من
بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالجلب
والجلب سيغلبون في بضع سنين فيما روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم
باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من الفرس
فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا
لهم انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا

على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم
فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف
كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه على عشر قلايص من كل
واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده
في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على
فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابي وجاء به الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز
العقود الفاسدة في دار الحرب واجيب عنه بانه كان قبل تحريم القمار
والآية من دلايل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح و
سيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمين
سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض
بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن
بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم
مغلوبين وهو كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون
ليس شيء منهما الا بقضايه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه
كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا واخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح
المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب
التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم في رهانهم
وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم

اوبان

او بان ولي بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء
تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة
ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله
في معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة
التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية
تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على
الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة
المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها
لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا ببعض ظاهرها فان
من العلم بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها وخصايصها وافعالها
واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا
واما باطنها انها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها
واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا
اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا في
امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي
له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها قدرته على
ابدائها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق متعلق بقول
او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى بعده
وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء قيام الاجل المسمى

أو قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون أن الدنيا أبدية وأن الآخرة لا تكون أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في أقطار الأرض ونظرهم إلى آثار المدمرين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة كعاد وثمود وأثاروا الأرض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الأرض أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة إياها فإنهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث إنهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم أضعف حالا فيها إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في أقطار الأرض بأنواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون إلى واد لا نفع له وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى أو الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى أن يكون تلك عاقبتهم وأنهم جاؤوا بمثل أفعالهم والسوأى تأنيث الأسوأ كالحسنى أو مصدر كالبشرى نعت به أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون علة أو بدل أو عطف بيان للسوأى أو خبر كان والسوأى مصدر أساؤوا أو مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا بالآيات واستهزؤوا بها ويجوز أن يكون السوأى صلة الفعل وأن كذبوا تابعها والخبر محذوف للإبهام والتهويل وأن يكون أن مفسرة لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر

والكوفيون

الكوفيون عاقبة بالنصب على أن الاسم السوأى وأن كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدأ الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم إليه ترجعون للجزاء والعدول إلى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وروح بالياء على الأصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن أشركوا بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بآلهتهم حين يئسوا منهم وكانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعواء وعلمواء بني إسرائيل بالواو والسوأى بالألف إثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة أرض ذات أزهار وأنهار يحبرون يسرون سرورا تهللت وجوههم وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه تعالى واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السماوات والأرض وتخصيص التسبيح بالصباح والمساء لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين إذا

اذا انقص نورها والظهيرة التي وسط النهار لان تجدد النعم فيها اكثر ويجوز
ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض
اعتراضا وعن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة
المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون
صلوة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب
بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر
انها فرضت بمكة وعنه عم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل
يدل عليه حديث المعراج
فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عم من قال حين يصبح فسبحان
الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في ليلته ومن قال
حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون
اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة
والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب
الحيوة الموت وبالعكس ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك
ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا يعقب الحيوة الموت
وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل
الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجأتم
وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف
الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها
وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم
اي بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج

من القبور وتبعثون فاذن بذلك ان الابداء والاعادة في قدرته سواء
اي من دلائله الدالة على القدرة والوحدانية

حال

حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان
تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التوادد
والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كقوله ورحمة منا
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن آياته
خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف
لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك
لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده
او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز
والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور
الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة ان في ذلك
لآيات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرأ
حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم
بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة
القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم
بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين
اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر
عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم
يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم
البرق مقدر بان كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد
اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع
بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق

في صنعه فيستدلون به على قدرته وعظمته فيؤمنون به ويعبدونه
وانتم تعلمون ذلك وتعدونه بديهيا
الوانه صوركم من ابيض واسود وغيرهما وهم من اب واحد ولا اختلاف في ذلك ووقع التعارف والتمايز
مبتدأ وخبره بتقدير ان المصدرية من باب تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما حذف ان ليدل الفعل على الحال ظاهرا

كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح
خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة
لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له على تقدير مضاف
نحو ارادة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع
كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل من
السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها
وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم
السماء والارض بامره قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في
حيزهما المعينين من غير مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة في كمال
القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
عطف على ان تقوم على تأويل مفرد كانه قيل ومن آياته قيام السموات
والارض ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول
ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق
ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة الداعي
المطاع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض
متعلق بدعا كقولك دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجاة ولذلك نابت
مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له
قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه

من الاصل

من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه
سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون
او لان الاعادة بمعنى ان يعيده وله المثل الوصف العجيب الشان كالقدرة
العامة والحكمة التامة ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد به الوصف
بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض
يصفه به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن
ابداء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم
مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم مما
ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها
فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم مع
انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى للابتداء والثانية للتبعيض
والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي تخافونهم ان
يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار بعضهم من بعض
كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف
المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع
الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم
اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على
هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن
آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه
وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرت الله خلقته
نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر الناس عليها

يعني اقبل على الدين واستقم بالعمل ... بامره ونهيه

التي خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام
فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من
آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي
ان يغير ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة
ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر
الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه
من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب
وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الاية
خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا
من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول تعظيما له من الذين
فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على
اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي
امروا به وكانوا شيعا فرقا يشايع كل اماما الذي اضل
دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه على الحق
ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس
ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء
غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم
بربهم يشركون فاجأ فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم
ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله
فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون
عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا

حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم
وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به في الوهيته واذا اذقنا
الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان
تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم
يقنطون فاجأوا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر
النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم
لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت
ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة
للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما
من الزكوة والخطاب للنبي عم او لمن بسط له ولذلك رتب على ما
قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي
يقصدون بمعروفهم اياه خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى
واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما
آتيتم من ربا زيادة محرمة على المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد
مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربو
في اموال الناس ليزيد وينمو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا
يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا
او لتصيروا ذا ربا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون
وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب

ونظيره المضعف المقوى الموسر لذي القوى واليسار او الذين ضعفوا
ثوابهم واموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن
سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كأنه
خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كأنه
قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف
ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم
المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية و
نفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا
بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم
استنتج من ذلك تقدسه من ان يكون له شركاء فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل
من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية
تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة
لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء وقرأ حمزة
والكسائي بالتاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان و
كثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة
المضادة او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل
وقرى والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم
اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان
جلندى يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض

جزائه

جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير
ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا
مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة
على ان سوء عاقبتهم لان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك
في اكثرهم ولما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم
البليغ الاستقامة من قبل ان يأتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده
احد وقوله من الله متعلق بيأتي ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر
على معنى لا يرده اليه لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون
يتصدعون اى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال
من كفر فعليه كفره اى وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا
فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين
للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من
فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين
للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب
الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص
الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله
دال على ان الاثابة تفضل محض وتأويله بالعطاء او الزيادة على الثواب
عدول عن الظاهر ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب
فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح

على ارادة القول مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته يعني المنافع
التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي
هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها
باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره
ولتبتغوا من فضله يعني تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة
الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات
فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا علينا نصر المؤمنين
اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم وعنه عم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان
حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه
متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا
تارة في السماء في سمتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق
من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن
عامر بالسكون على انه مخفف او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى
الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من
عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون بمجيء الخصب وان كانوا
من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول
عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال
لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمت الله اثر الغيث من النبات والاشجار
وانواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي
الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي

تدر

تدر على احياء الارض بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث
لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان
فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات الراهنة
ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة
وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على سواء
ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول
عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام
موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب ساد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على
الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم
وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه
بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا
الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا بالاستبشار
وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه
فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع
الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان
الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام يفطن منه بواسطة الحركات شيئا
وقرأ ابن كثير بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم
وقرأ حمزة وحده تهدي العمي ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان ايمانه
يدعوه الى تلقي اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان

اى مخلصون فى ايمانهم به

فهم مسلمون لآياته مع بهم الله الذى خلقكم من ضعف اى ابتداكم
ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى خلق الانسان ضعيفا
او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك
اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة
جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح حمزة وعاصم
الضاد فى جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر قراتها على رسول الله عم
من ضعف فاقرانى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير
مع التكرير لان المتاخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف
وقوة وشيبة وشبيبة وهو العليم القدير فان الترديد فى الاحوال
المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة
القيامة سميت بها لانها تقوم فى اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع
بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا
فى الدنيا او فى القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل
للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة
الى مدة عذابهم فى الاخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق
والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون فى الدنيا وقال الذين اوتوا العلم
والايمان من الملائكة ومن الانس لقد لبثتم فى كتاب الله فى علمه او قضائه
او ما كتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القران وهو قوله ومن ورائهم برزخ
الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه فهذا يوم البعث
الذى انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم فى النظر والفاء

جواب

جواب شرط محذوف وتقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد
تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرا
الكوفيون بالياء لان المعذرة بمعنى العذر او لان تانيثها غير حقيقى
وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم اى
ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم
استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا للناس
فى هذا القران من كل مثل ولقد وصفنا لهم فيه بانواع الصفات التى
هى فى الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيامة وما يقولون
وما يقال لهم وما لا يكون لهم فيه من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب
او بينا لهم كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول
ولئن جئتهم باية من ايات القران ليقولن الذين كفروا من فرط
عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا
مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان
الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم
ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه
ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم
وايذائهم فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب
بتخفيف النون وقرى ولا يستحقنك اى لا يزيغنك فيكونوا احق بك
من المؤمنين عن رسول الله عم من قرا سورة الروم كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما

ما ضيّع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية وقيل الا آيتين وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه ينافي شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وآيها اربع وثلثون وقيل ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادهم بها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاجتماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي عما يعني به كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت في نضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدّث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري المغنيات ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه وقراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة

القراءة

القراءة ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكونا استينافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها قد سبق في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكأنه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهّد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق آلهتكم حتى استحقوا مشاركته

وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني
معلق عنه بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل
عليهم بالضلال الذي لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انهم ظالمون باشراكهم ولقد آتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا
من اولاد آزر ابن اخت ايوب او خالته وعاش الف سنة حتى ادرك
داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما
ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها
ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله
عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم و
قليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد
غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح شاة
ويأتي باطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره
بان يأتي باخبث مضغتين منها فأتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال
هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر
او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر
لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن
كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد
او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه
انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير
يا بني لا تشرك بالله باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء

فلما

بلقمان

بلقمان

واذكر حين قال لقمان لابنه بيضاوي

وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير
وقرأ الباقون في الثلثة بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم
يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك
لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا
الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على
وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف
عن ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك فقال وهن يهن
وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء
عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان
اقصى مدة الرضاع هو حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او
علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين
اعتراض مؤكد للوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام لمن
قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي
المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك
بي ما ليس لك به علم باستحقاق الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي
العلم نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا
معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل
من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك
ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما
على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تأكيدا لما فيها
من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين

للمبالغة في ذلك فإنهما مع أنهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز تقليدهما في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولها في سعد بن أبي
وقاص وأمه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل
من أناب إلي أبو بكر فإنه أسلم بدعوته يا بني إنها إن تك مثقال حبة
من خردل أي إن الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلا في الصغر
كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة
وتأنيثها لإضافة المثقال إلى الحبة كقوله كما شرقت صدر القناة من
الدم أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة فتكن في صخرة أو في السموات
أو في الأرض في أخفى مكان وأحرزه كجوف صخرة أو أعلاه كمحدب
السموات أو أسفله كمقعر الأرض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر
إذا استقر في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها إن الله
لطيف يصل علمه إلى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني أقم الصلاة تكميلا
لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على
ما أصابك من الشدائد سيما في ذلك إن ذلك إشارة إلى الصبر أو إلى
كل ما أمر به من عزم الأمور مما عزمه الله من الأمور أي قطعه
قطع إيجاب مصدر أطلق للمفعول ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل
من قوله فإذا عزم الأمر جد وله ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم
ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو الصيد
داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي
ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه وأعلاه وعالاه
ولا تمش في الأرض مرحا أي فرحا مصدر وقع موقع الحال أو تمرح مرحا

أو مفعول له أي لأجل المرح يعني لا يكن غرضك البطر والأشر كما هو شأن أصحاب البطالة

أو لأجل المرح وهو البطر إن الله لا يحب كل مختال فخور علة النهي
وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق
رؤوس الآي واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والإسراع
وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة
رضي الله عنها في عمر كان إذا مشى أسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت
وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي إذا سدد سهمه نحو الرمية
واغضض من صوتك وانقص منه واقصر إن أنكر الأصوات أوحشها
لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال
طويل الأذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم إخراجه مخرج الاستعارة
مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لأن المراد تفضيل الجنس في النكير دون
الآحاد أو لأنه مصدر في الأصل ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات
بأن جعله أسبابا محصلة لمنافعكم وما في الأرض بأن مكنكم من الانتفاع به
بوسط أو غير وسط وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة و
معقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها
في الفاتحة وقرئ وأصبغ بالإبدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين
أو الخاء أو القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع
والإضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم
مستفاد من دليل ولا هدى راجع إلى رسول ولا كتاب منير أنزله الله
بل بالتقليد كما قال وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما
وجدنا عليه آباءنا وهو منع صريح من التقليد في الأصول أولو كان
الشيطان يدعوهم يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم إلى عذاب السعير

وهو في موضع الحال من ضمير الفاعل أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب

الا ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لا تبعوه
والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره
اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة
بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمنه معنى الاخلاص وهو محسن في عمله
فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل
المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك فتمسك باوثق
عرى الحبل المتدلى منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن
كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والاخرة وقرئ ولا يحزنك
من احزن وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا
بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فمجاز عليه فضلا
عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم
ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من
اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم
والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لا يعلمون
ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما
غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم
يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار
اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى

عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف
على محل ان ومعمولها ويمده حال او للابتداء على انه مستانف والواو
للحال ونصبه البصريان بالعطف على ان او اضمار فعل يفسره ويقوى
يمده وتمده بالياء والتاء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام
وبذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لا يفى بالقليل فكيف
بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر
والاية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
او امروا وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا
قليلا وقد انزلت التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لا يشغله شأن عن شأن
لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية
كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله
سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك
بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين
يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة
والقمر الى اخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين
قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجرى وثمة غرضه حقيقة
او مجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير
عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة
وعجائب الصنع واختصاص البارى بها بان الله هو الحق بسبب

عن ذكر

انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته
وان ما يدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد و
لا يتصف الا بجعله او الباطل الالهية وقرأ البصريان والكوفيون
غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع عن كل شيء و
متسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في
تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول
انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله
بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته
دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه بالتفكر
في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين
فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم
موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرها وقرئ كالظلال جمع
ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع
الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف والشدة فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او
متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا الا
كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر
اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا
يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ ولا يجزي من اجزى اذا اغنى
والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد
او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود

اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر
في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة
والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت
قيامها لما روي ان حرث ابن عمرو اتى رسول الله صلعم فقال متى قيام
الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى تمطر وحمل امرأتي ذكر
او انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه السلام مفاتح
الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له
والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد و
يعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل
خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت
تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر
الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك
الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل
فقال ملك الموت كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض
روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها
معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفد
فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره
مما لم ينصب له دليل وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها
بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها

كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم
القيامة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على
انّ التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف
او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير فيه لان
المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والاوجه انه الخبر
ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده
قوله ام يقولون افتراه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو
الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه
ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم
اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه
فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين
المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اذ
كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في
سورة الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم
رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو
الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به
للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله

يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملائكة
وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت
في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة
من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع و
قيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان
هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان
ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة وقيل يقضي قضاء الف سنة
فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى
قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المامور به
من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا
كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ
يعرج يعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة
العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه
يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه موفرا عليه
ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل شيء
بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن
معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف
فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدأ خلق الانسان
يعني آدم عليه السلام من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل
منه اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قوّمه بتصوير
اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واظهارا

بانه خلق عجيب وان له شانا وله مناسبة ما الى الحضرة الربوبية
ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون شكرا قليلا
وقالوا أإذا ضللنا في الارض اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا
من صل اللحم اذا انتن وقرا ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه
أإنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرا نافع والكسائي
ويعقوب انا على الخبر والقائل ابى بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم
به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون
جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم
احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقضيته واستقضيته و
تعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء
اجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا قائلين ربنا ابصرنا
ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل
صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره
لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني والمضي فيها وفي اذ لان
الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى لو
يكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي
به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت

وسبق

وسبق قضائي وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح
بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه
جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية
له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في العذاب ترك المنسي وفي استئنافه
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم فذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون كرر الامر للتاكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله
بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة
والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين
اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا
نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا
على ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان
والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن
المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من
سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد
من الليل وعنه عم اذا جمع الله الاولين والاخرين جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم
يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون
وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر
الناس وقيل كان اناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت

فيهم ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما أخفي لهم
لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة أعين مما تقر به عيونهم وعنه
عليه السلام يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرءوا إن شئتم
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم وقرأ حمزة ويعقوب أخفي على أنه مضارع
أخفيت وقرئ وأخفى والفاعل للكل هو الله تعالى وقرات أعين لاختلاف
أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية معلق عنها
الفعل جزاء بما كانوا يعملون أي جزوا جزاء أو أخفي للجزاء فإن إخفاءه
لعلو شأنه وقيل هذا القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم أفمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الإيمان لا يستوون في الشرف والمثوبة
تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى فإنها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا
محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق تفسيره في آل عمران بما كانوا
يعملون بسبب أعمالهم وأما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى
للمؤمنين كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها عبارة عن خلودهم
فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون إهانة لهم
وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الأدنى عذاب الدنيا
يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر دون العذاب
الأكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر
روي أن وليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه
الآيات ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها

وثم لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب
السعادة بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء إلا
ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها إنا من المجرمين منتقمون فكيف
ممن كان أظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن
في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وإنك لتلقى القرآن
فإنا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط
حتى ترتاب فيه أو من لقاء موسى الكتاب أو من لقائك موسى وعنه عليه
السلام رأيت ليلة أسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا
جعدا كأنه من رجال شنوءة وجعلناه أي المنزل على موسى هدى
لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون الناس إلى ما فيه من الحكم و
الأحكام بأمرنا إياهم به أو بتوفيقنا له لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي
ورويس لما صبروا أي لصبرهم على الطاعة أو عن الدنيا وكانوا بآياتنا
يوقنون لإمعانهم فيها النظر إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة يقضي
فيميز الحق من الباطل يتميز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من أمر
الدنيا أولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل
ضمير ما دل عليه كم أهلكنا من قبلهم من القرون أي كثرة من أهلكناهم
من القرون الماضية أو ضمير الله بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم
يعني أهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشّون بالتشديد
إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ أولم يروا أنا
نسوق الماء إلى الأرض الجرز التي جرز نباتها أي قطع وأزيل لا التي
لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تأكل منه من الزرع

أنعامهم كالتبن والورق وأنفسهم كالحب والثمر أفلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا إن كنتم صادقين في الوعد به قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون ويوم القيامة فإنه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر أو يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فإنه لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء أجيبوا بما يمنع الاستعجال فأعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وانتظر النصرة عليهم إنهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو أن الملائكة ينتظرونه وعن النبي عم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك أعطي من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه من قرأ في بيته لم يدخل الشيطان في بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله ناداه بالنبي وأمره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعا عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين أي فيما يعود بوهن في الدين روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا

وقل

لا يفعل شيئا ولا يأمر به إلا بالحكمة

وقل إن لها شفاعة وندعك وربك فنزلت إن الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى إليك من ربك كالنهي عن طاعتهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فموح إليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع إلى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة والمنافقين أي إن الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل أمرك إليه وكفى بالله وكيلا موكلا إليه الأمور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أي ما جمع قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الإنساني أولا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر وجميل بن أسد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد أو المراد نفي الأمومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين لتمهيد أصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى التناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو واللاي بالياء وحده على أن أصله اللاء بهمزة

فخفف وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمزة وحده
واصل تظهّرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن
عامر تظّاهرون بالادغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تُظاهِرون
من ظاهر وقرئ تَظَّهَّرون من تظهّر بمعنى ظاهر كعقّد بمعنى عاقد وتُظْهِرون
من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ
من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى
التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق
او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدّي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر
للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج
او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرّمون اتيان المرأة وظهرها
الى السماء وادعياء جمع دعيّ على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى
فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم
لا حقيقة له في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية
مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم
اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة
مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ في الصدق فان لم تعلموا
آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم
واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التأويل وليس عليكم
جناح فيما اخطأتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين
قبل النهي او بعده مع النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم

ولكن

فيه الجناح اي لا اثم عليكم اذا قلتم يا بني لولد غيركم على سبيل الخطاء ولكن اذا قلتموه متعمدين قيل ان كان معروف النسب لا يثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق وان كان مجهول النسب واصغر منه سنا ثبت نسبه منه وكذا ان كان عبدا مع العتق وان كان اكبر سنا يعتق عند ابي ح ولا يثبت النسب وعند غيره لا يعتق ولا يثبت النسب

اي لا يقول الا ما هو الحق ظاهرا وباطنا

هذيانا سؤلا

اي الله لا يهدي الا سبيل الحق وكان زيد يدعى بابن محمد فقال الله ما هو الحق وهدى الى سبيل الحق

اي دعاؤهم بآبائهم

اي فهم اخوانكم يعني ادعوهم اخوانا

اي اولياؤكم يعني اذا جهل نسبه قل يا اخي يا مولاي تريد الاخوة والموالاة في الدين

من التسمية قبل النهي او النسبة الى غير ابيه

اي هذا النفي لا حقيقة له

اي اعدل

ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا
رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبني لا عبرة له عندنا وعند ابي ح
يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذي يمكن الحاقه به النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم في الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى
منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب
عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وعليهم
وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عم اراد غزوة
تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا
فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من
حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة
وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم
وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها
لسنا امهات النساء واولوا الارحام ذووا القرابات بعضهم اولى
ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث
بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزل وهو
هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين والمهاجرين
بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة
اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية
فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلكم
في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن

في كل شيء من امور الدين والدنيا

اي ارحم بهم

اي ازواج النبي عم مثل امهاتهم في تحريم نكاحهن وحرمتهن دون النظر والخلوة والميراث فانهن في ذلك كالاجنبيات

نزل حين كان النبي عم يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقي منهما دون عصبته واهله وطال ذلك ما شاء الله ثم نسخ بذلك اي ذووا القربات احق بالميراث

والمراد من العرف في الوصية بثلث المال عليه

اي المذكور في الآيتين جميعا

اي الا ان توصوا الى الذين يوالونكم ويواخونكم من المؤمنين والمهاجرين للولاية في الدين

اي اللوح

ويجوز ان يكون المشار اليه نسخ الميراث بالهجرة والمواخاة

وقيل في التورية وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم
عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح
وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب
الشرائع وقدم نبينا تعظيما له وأخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان
او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن
صدقهم اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا
عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين
لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين
صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد
للكافرين عذابا اليما واعد للكافرين عطف على اخذنا من حيث ان
بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه
ليسأل كأنه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم
قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر
الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها روى انه
لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم في ثلثة
الاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة
في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت
نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة
في جوانب العسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم

بالسحر

بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر
الخندق وقرأ البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة
بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادي
من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا
وبلغت القلوب الحناجر رعبا لان الرية تنتفخ من شدة الروع فيرتفع
بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب
وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت
القلوب ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى
عنهم والالف مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى
نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو
وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا
فظهر المخلص عن المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا
شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب
بن قشير قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان
يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني
اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم
ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لا موضع قيام لكم ههنا

اى لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه

وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم وغيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى جاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة او

يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله في الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه او كدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم

كما صدق فانه البلاء واظهار الابتلاء للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما راوا
او للخطب او البلاء الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول
والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد
اذا وفى بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل
حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر
استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر
الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا
من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عم يوم احد
حتى اصيبت يده فقال عم اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق
ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به
وكان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون
بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم
او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد
الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا
غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين
القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا
غالبا على كل شيء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل
الكتاب يعني بني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي
ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك وقوف

ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون
ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة
وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب
تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسالون
كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم
هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا
رياء وخوفا عن التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة
حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد
او هو في نفسه قدوة يحسن التاسي به كقولك في البيضة عشرون منا
حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرا عاصم بضم الهمزة وهو
لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ثواب الله او لقاء الله
ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجو
زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها والرجاء يحتمل الامل والخوف
ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير
المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بكثرة الذكر المؤدية
الى ملازمة الطاعة وان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما راى
المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله بقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية
وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم
عليهم وقوله عليه السلام سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله
ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب

في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا
وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى النبي عم صبيحة الليلة التي
انهزم فيها الاحزاب فقال أتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا
السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فأذّن
في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين
او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي
فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم
وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عم وقال لقد حكمت بحكم الله
من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة
واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم
ومواشيهم واثاثهم روي انه عم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم
الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر
قال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم وقيل
خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا
فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
السعة والتنعم فيها وزينتها زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن
المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي
انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة
فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعلق
التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل

على ان

على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن
ومالك واحدى الروايتين عن علي ويؤيده قول عائشة رضي الله عنها
خيرنا رسول الله عم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع
على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة
كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا
وبائنة عند ابي حنيفة رحمه الله واختلف في وجوبه للمدخول بها
وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات
منكن اجرا عظيما تستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن
كلهن كن محسنات يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة بكبيرة
مبينة ظاهر قبحها على قراءة ابن كثير وابي بكر والباقون بكسر الياء يضاعف
لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن
اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك
جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم
وقرأ البصريان يضعف وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون و
بناء الفعل للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه
عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت
منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم
لقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على
طلبهن رضى النبي صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة
والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله

رحمتنا وهو الجنة

واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة على اجرها يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا
فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من
جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا رسوله
فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي
على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول
وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر
يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها
الى القاف فاستغني عن همزة الوصل ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح
من قررت اقر لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا
تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل
تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح
وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس درعا من
اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية
الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية
الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام
ويعضده قوله عليه السلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية
كفر او اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة و
اطعن الله ورسوله في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن

على الاستيناف

(حاشية: ان اردتن ان تكن متقيات من المعاصي لله ورسوله ومطيعات)
(حاشية: اي عفيفا سليما من الريب والليْن او بعيدا من طمع الفاجر بجد وخشونة بمقتضى الاسلام)
(حاشية: مطمعات)
(حاشية: علي الصلاة الخمس)

(حاشية: وانما قال عنكم دون عنكن لكونه عم بينهن فغلب او فاطمة وزوجها وابناها والمراد زوجات النبي)
(حاشية: من التلوث بالارجاس)

على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او على
المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح
بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي و
ابنيهما لما روي انه عليه السلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل
من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه
ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم
حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها
والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى في بيوتكن
من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما
انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن
من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على
الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر
ما يصلح في الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح للنبوة ومن
يصلح ان يكون اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين
لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق به و
والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات
في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي
والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم
والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات
الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين

(حاشية: يلطف بهم بانزاله عليهم)
(حاشية: الآية نزلت حين قالت ام سلمة يا رسول الله ذكر الله الرجال بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فقال تعالى ان المسلمين من الرجال والمسلمات من النساء)
(حاشية: والصادق الذي يصدق في قوله وعمله ونيته)

الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما
اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والآية
وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روى ان
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال
في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن
ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث
على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين
لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما
كان لمؤمن ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله اي قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه
قضاء الله لانه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته بنت عبد
المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هي
واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي عم
فزوجها من زيد امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم
شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله و
الخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما
في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء
ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب
واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه
واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك

عليك

عليك زوجك زينب وذلك انه عم ابصرها بعدما انكحها اياه
فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة
فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك
منها شيء فقال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم
علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها ضرارا
وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها
او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان
تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء
وحده فانه حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره
فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى
زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت
عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة
لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزويجها منه او جعلها زوجته
بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير
في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة
للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان
امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج
زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم

فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله
سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم
فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما
مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم
منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا
الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او
محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على
الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة
وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا
مبلغ الرجال ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله
وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب
التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ
رسول الله بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ولكن بالتشديد على حذف
الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم
النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو
كان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا كما قال عم في ابراهيم حين
توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل
كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم
من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من
التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد وسبحوه بكرة واصيلا

اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما
على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار
لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح
الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام
بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور
شرفكم مستعار من الصلوة في الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من
الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود
واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة
من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى
بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين
تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه
عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة
عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلافه في النظم
لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم
وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به و
بتوحيده وبما يجب الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره واطلق له
من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب
لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا يستضاء به عن
ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين

بأن لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الأمم أو على أجر أعمالهم ولعله
معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك ولا تطع الكافرين
والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع أذاهم إيذاءهم
إياك ولا تحتفل به أو إيذاءك إياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم
ولذلك قيل إنه منسوخ بآية السيف وتوكل على الله فإنه يكفيكهم
وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمر في الأحوال كلها ولعله تعالى لما
وصفه بخمس صفات قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد
وهو الأمر بالمراقبة لأن ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالأمر
ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم
والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء
به فإن من أناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بأن يكتفى به
عن غيره يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من
قبل أن تمسوهن تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائي بالألف وضم التاء
فما لكم عليهن من عدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون
عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها
فإن الإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به
فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على إبدال إحدى الدالين بالتاء
أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب
العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على أن من
شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة ثم إزاحة ما
عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما يمكن الإصابة كما يؤثر في النسب

يؤثر في العدة فمتعوهن أي إن لم يكن مفروضا لها فإن الواجب للمفروض
لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة لها ويجوز أن يؤول التمتيع
بما يعمهما أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب فإن المتعة سنة
للمفروض لها وسرحوهن أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن
عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق
السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا أيها النبي
إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن مهورهن لأن
المهر أجر على البضع وتقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف
الحل بل لإيثار الأفضل له كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله
وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها
وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن
معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول أم هانئ
بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني
ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء
وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله أو
عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بأن التي للاستقبال فإن المعنى بالإحلال
الإعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا
تطلب مهرا إن اتفق ولذلك نكرها واختلفوا في اتفاق ذلك والقائل
به ذكر أربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية
وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ بالفتح أي لأن وهبت

حال مؤكدة من ضمير وهبت اى احلت لك اذا وهبت نفسها خاصة بلفظ الهبة بلا مهر لك

المراد من المعترضة ان يكون الجزاء متقدما على الشرط لفظا دون معنى

أو مدة إن وهبت كقولك أجلس ما دام زيد جالسا إن أراد النبي أن يستنكحها
شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له
حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية مجرى القبول والعدول
عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع إليه في قوله خالصة
لك من دون المؤمنين إيذان بأنه مما خص به لشرف نبوته وتقرير
لاستحقاقه الكرامة لأجله واحتج به أصحابنا على أن النكاح لا ينعقد
بلفظ الهبة لأن اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه السلام بالمعنى فيختص باللفظ
والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد أي
خلص إحلالها أو إحلال ما أحللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك
أو حال من الضمير في وهبت أو صفة لمصدر محذوف أي هبة خالصة قد
علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم
والمهر بالوطء حيث لم يسم وما ملكت أيمانهم من توسيع الأمر فيها
أنه كيف ينبغي أن يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون
عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على أن الفرق بينه وبين
المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة
والعكس أخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة
في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي
إليك من تشاء وتضم إليك وتضاجعها أو تطلق من تشاء وتمسك من
تشاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن
ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من
ذلك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن

اى لتطمئن قلوبهن بتخيرهن

ذلك

ذلك التفويض إلى مشيئتك أقرب إلى قرة عيونهن وقلة حزنهن
ورضاهن جميعا لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وإن رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن
نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء وأعينهن بالنصب وتقر بالبناء
للمفعول وكلهن تأكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لهن والله
يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في إحسانه وكان الله عليما بذات الصدور
حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بأن يتقى لا يحل لك النساء بالياء
لأن تأنيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو
في حقه كالأربع في حقنا أو من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم
يحل له نكاح أخرى ولا أن تبدل بهن من أزواج فتطلق واحدة
وتنكح مكانها ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ولو أعجبك حسنهن
حسن الأزواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله
وهو من أزواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا إعجابك بهن
واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله ترجي من تشاء منهن
وتؤوي إليك من تشاء على المعنى الثاني فإنه وإن تقدمها قراءة فهو
مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة
اللاتي نص على إحلالهن لك ولا أن تبدل بهن أزواجا من أجناس أخر
إلا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء
وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فتحفظوا أمركم ولا تتخطوا
ما حد لكم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن
لكم إلا وقت أن يؤذن لكم أو إلا مأذونا لكم إلى طعام متعلق بيؤذن

من المسلمات والكتابيات

اى لا تحل لك ان تستبدل بهن

اى حفيظا ... حلاله الى حرامه

حال من فاعل لا تدخلوا اي لا تدخلوا الا غير ناظرين

لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام
من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه اي غير منتظرين
وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر
صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز
عند البصريين وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام
اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا
ولا تمكثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله عم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد
الطعام لمهم ولا مستأنسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل
البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا
او لا تمكثوا مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذي النبي لتضييق
المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من اخراجكم لقوله
والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء كما
لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى
والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن
المتاع من وراء حجاب ستر روي ان عمر رضي الله قال يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب
فنزلت وقيل انه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد
رجل يد عائشة فكره النبي عم ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم
وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا

رسول

رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان
الاشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمهما
فاخبر بانه عم فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني
ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم
من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد
عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم
فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به وفي هذا التعميم
مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن
في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن استثناء
لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء
والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب
فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي
العم ابا في قوله تع واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه
كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن
يعني نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل
من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به
ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته
يصلون على النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم
صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل

وانقادوا لاوامره والاية تدل على وجوب الصلوة والسلام عليه
في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره لقوله عم رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي
فدخل النار فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا ويكره استقلالا
لانه في العرف صار شعارا لذكر الرسول ولذلك كره ان يقال محمد
عز وجل وان كان عزيزا وجليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله
يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بكسر
رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن
جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين
لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا
مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا ظاهرا وقيل انها نزلت في المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه
وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات
يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن
من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن
لحاجة ومن للتبعيض فان المراة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض
ذلك ادنى ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن
اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده
حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن
نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور

عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون
اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها من اراجيفهم واصله التحريك
من الرجفة وهي الزلزلة سميت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة
غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او ما
يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك
وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم ما يصيبهم
فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب على
الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا
ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا و
قتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين
خلوا من قبل مصدر مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو
ان يقتل الذين نافقوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه
اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها ولا يقدر
احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها
استهزاء وتعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه
ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا
او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون
التذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات
للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة
الايقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع
العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة

كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ تقلب بمعنى تتقلب
وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا
الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب ساداتنا
على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا
لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اى لعنا هو اشد
اللعن واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه
وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر
في القصص او اتهمه ناس بقتل هارون لما خرج معه الى الطور فمات
هنالك فحملته الملائكة ومروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه
الله فاخبرهم ببراءته او قذفوه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط
تستره حياء فاطلعهم الله على انه بريء منه وكان عند الله وجيها
ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا
قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن
ضده كحديث زينب من غير قصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال
الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها
مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر
والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الآخرة

سعيدا

أي خفن من الامانة ان لا يؤدين بها فيلحقهن العقاب معالم

ظلوما لنفسه وجهولا لامر الله معالم

سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق بتعظيم
الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظم
شانها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات
شعور وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم
بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع
حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار الاغلب وقيل
المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها
استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره
من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم حامل
الامانة ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا
بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى
لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة
وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات
على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق
آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق
عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل او التكليف
وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن
الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة

واللام في ليعذب الله تعليل لعرض الامانة اي عرضنا للانسان ليعذب الله المنافقين اه

الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فإن من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث إنه نتيجته كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد إشعار بأن كونهم ظلوما جهولا في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه السلام من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وقيل إلا قوله ويرى الذين أوتوا العلم الآية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة لأن ما في الآخرة أيضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فإن الوصف بما يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فإن النعم الدنيوية قد يكون بوساطة من يستحق الحمد لأجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذي أحكم أمور الدارين الخبير ببواطن الأشياء يعلم ما يلج في الأرض كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والأموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء

كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والأنداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها أو في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة إنكار لمجيئها أو استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم وإثبات لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لإيجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيوب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لأن الاستثناء يمنعه اللهم إلا إذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها أولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا بالإبطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين

اى مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من
سوء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين
اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او
من مسلمي اهل الكتاب الذى انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن
رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى
وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين
فى الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزى اى وليعلم اولوا العلم عند
مجىء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدى الى صراط العزيز
الحميد الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين
كفروا يعنى منكرى البعث قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
يعنون محمدا عليه السلام ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم
كل ممزق انكم لفى خلق جديد انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان
تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف
للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان
ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه
بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول
كل مذهب وطرحت كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد من
جد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على
الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل
بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق
والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه

عن الهدى وهم الغافلون عن ذكره والبعيد صفة الضلال
اذا بعد عن الجادة فيكون وصف الضلال بالبعد مجازا
فى الحقيقة وصف الضال

بين حيث ان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
فى العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم ترديدهم واثبات لهم
ما هو افظع القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى
الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له فى الوقوع
ومقدما عليه فى اللفظ للمبالغة فى استحقاقهم له والبعد فى الاصل
صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازى افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف
بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه
مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء
حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى
ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا
ام هى وانا ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم
بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائى يشأ ويخسف
ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان فى ذلك
النظر والفكر فيهما وما تدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع
الى ربه فانه يكون كثير التأمل فى امره ولقد آتينا داود منا فضلا
اى على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه
النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبى معه رجعى
معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته
فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيرى معه حيث سار
وقرئ اوبى من الاوب اى ارجعى فى التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من

فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال و
يؤيده القراءة بالرفع على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة
بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز
ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان اصل النظم ولقد آتينا داود
منا فضلا تاويب الجبال والطير فبدل به النظم لما فيه من الفخامة
والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور
كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيته فيها والنا له الحديد جعلناه
في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالالة او
بقوته ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات
دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر
في السرد وقدر في نسجها بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق ورد بان دروعه لم تكن
مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود
واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اي وسخرنا
له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ
الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي
كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب
اسال له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه
عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح
ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ
منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ

من ازاغه

من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الاخرة يعملون له ما يشاء
من محاريب قصور حصينة ومساكن شريفة سميت به لانها يذب
عنها ويحارب عنها وتماثيل وصورا وتماثيل للملائكة والانبياء
على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
وحرمة التصاوير شرع مجدد روي انهم عملوا اسدين في اسفل
كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف
كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهي من الصفات
الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها
لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة
اي اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف
له او الحال او المفعول به وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء
الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه
لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل
الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اي على سليمان
ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض اي الارضة
اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال
ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح
الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه من نسأت البعير
اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساته على مفعالة كميضاءة

اى سقط سليمان ميتا

فى منساته ومنساءته اى من طرف عصاه مستعار من ساءة القوس
وفيه لغتان كما فى قحة وقحة فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر
عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين انهم لو كانوا
يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا
فى تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما فى حيزه بدل منه اى ظهر
ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك ان داود اسس
بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عم فمات قبل تمامه فوصى به
الى سليمان فاستعمل الجن فلم يتم بعد اذ دنا اجله واعلم به فاراد ان
يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك
حتى اكلته الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته
فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك
فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو
ابن ثلث عشر سنة وابتدا عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه
لقد كان لسبا لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف
عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا
ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب فى مسكنهم فى مواضع
سكناهم وهى باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال وقرا
حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من القياس
كالمسجد والمطلع اية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر
على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان

السابق

السابق كما فى قصة داود وسليمان جنتان بدل من اية او خبر محذوف
تقديره الاية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين
عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحد منها
فى تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن
يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم
نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك
بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه
البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم
رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت
اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن
الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب
من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر
الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم
بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون
اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة
وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما السلام
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت
اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل
خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى كونه بدلا او عطف بيان
واثل وشىء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو
الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة

فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين
وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرا ابو عمرو ذواتي اكل بغير
تنوين اللام وقرا الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا
بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلثة عشر
نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازي الا
الكفور وهل نجازي بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر
وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب
وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي
قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن
الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي
في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة
القول بلسان الحال او المقال ليالي واياما متى شئتم من ليل و نهار آمنين
لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت
مدة سفركم فيها او سيروا فيها ليالي اعماركم واياما لا تلقون فيها
الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا
العافية كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز
ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم
الله بتخريب القرى المتوسطة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد
ويعقوب ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا
في الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من
قرا ربنا بعد وبعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم

حيث

تركه للاخبار عن حالهم الثانية وهي حال توبتهم يعني لما هلكت اموالهم قالوا نحن نتوب الى الله فرد الله عليهم خيرا كثيرا من ذكر فكفروا بنعمته ثانيا فعذبهم الله ثانيا اشد من ذكر فاخبر بقوله وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها وهم اهل اليمن ان الشام بالمياه والاشجار والثمار والخصب

لاعين الناظرين متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها

اي لان الغادي يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام لا يحتاجون الى ماء ولا زاد

اي ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار لا تتفاوت في سيركم باختلاف الاوقات او المعنى سيروا وان طالت مدة سفركم اياما وليالي

اي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز قيل تمنوا ذلك ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجل الله لهم الاجابة

حيث بطروا النعمة او لم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس
بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم كل
ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار
بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات
لكل صبار عن المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
اي صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان
يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده
الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس
ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى
قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال
وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم
حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوات
والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا
هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا
من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان
له عليهم من سلطان تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا
يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر
ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه
مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ

لئن بعدهم يتحدثون بهم ويتعجبون من احوالهم

فرقناهم تفريقا في اقطار الارض بحيث لا يجتمع منهم اثنان في مكان واحد

في تفريقهم واهلاكهم

والزنتان متواخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم
آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته
وهي من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه
لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى
ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل
المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير
او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي
او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية
كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية و
والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك لا خلقا
ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع
الشفاعة عنده ولا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع
الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع له لعلو شانه
ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى
الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم
الهمزة حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة
توقفا وانتظارا للاذن اى يتربصون فزعين حتى اذا كشف
الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير
للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع
على البناء للفاعل وقرئ فرغ اى نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني

قالوا

قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قال
القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ
بالرفع اى مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس
لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات
والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه
وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام
فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
اى وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية
بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم
من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال
ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب
ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد
منارا ينظر الاشياء ويطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء
والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة
لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل
عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند
الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم
القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان

ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لأرى باى صفة
الحقتموهم بالله فى استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم
بعد الزام الحجة عليهم زيادة فى تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد
ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال
القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون متسمة بالذلة متأبية عن قبول
العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة للناس
الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء
للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط
جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله
يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله والمؤمنين
قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى يوم للتبيين
ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعنى لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا
لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن
بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث
قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول الله واخبروهم انهم
يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه يوم
القيامة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اى فى موضع المحاسبة
يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول

الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم
لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول عليه السلام
قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا
انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا التقليد
عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اى لم يكن اجرامنا
الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ
تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم
الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب
على المصدر ومكرا لليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور
واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلالة
والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه
من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما فى اشكيته وجعلنا
الاغلال فى اعناق الذين كفروا اى فى اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها
بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اى لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمن
معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها
تسلية لرسول الله عم مما منى به من قومه وتخصيص المتنعمين
بالتكذيب لان الداعى المعظم اليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا
والانهماك فى الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم
به

والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة
الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان
امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك
فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات
ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة
وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم او لانها صفة
محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي تقربكم الا من
آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد
تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف
المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر
فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل
وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز
او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من
المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة
الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين
لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق

اخرى

اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير
الرازقين فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته
ويوم يحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا
لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم
والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله
وقرأ حفص بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا
بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم
على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم
في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون ويتخيلون اليهم انهم الملائكة
فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او المشركين
والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا
ولا ضرا اذ الامر فيه كله لله لان الدار دار جزاء وهو المجازي وحده
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على
لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون
القرآن الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله
سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام

اوللفرقان والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه او اعجازه ان هذا
الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر
الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في
لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ
منه وما آتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه
وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا
في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين
من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر
ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك
عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي فكيف كان
نكير فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير فكيف كان نكيري لهم
فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير في التكذيب لان الاول للتكثير
والثاني للتكذيب او الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه
بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي
ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله عم او الانتصاب
في الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين
اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط
القول ثم تتفكروا في امر محمد صلى الله عم وما جاء به لتعلموا حقيقته
ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعني
ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه

لهم على ما عرفوا من رجاحة عقله كاف في ترجيح صدقه فانه لا يدعه
ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان
فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد
انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اي شيء
من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه
مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي شيء سألتكم من اجر
على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال كانه جعل التنبي مستلزما
لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون
لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما وقيل ما موصولة
مراد بها ما سالهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى
ربه سبيلا وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ
السبيل ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء
شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
باسكان الياء قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من
عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل
ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان او خبر محذوف
وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرا حمزة وابو بكر الغيوب
بالكسر كالبيوت وبالضم كالقعود وقرئ بالفتح كالصبور على انه
مبالغة غائب قل جاء الحق اي الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد
وزهق الباطل اي الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي

فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعده قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي قرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب وتحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمزة على قلب الواو لضمتها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته وقال رؤبة اقحمني جار ابي الخاموش اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول

من بعد

من بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد عن امره وهو الشبهة التي تمحلوها في امر الرسول او حال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوا من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث

ورباع ذوي أجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب
ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون
فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها
لما روي انه عليه السلام رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد
في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته
ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع
بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور
المتفقة وهو محال والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه
وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير
وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة الارادة ما
يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من تجوز السبب للمسبب
من رحمة كنعمة وامن وصحة ونبوة فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك
فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة
والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه
من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان
ينازعه فيه الحكيم لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك
والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه
فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها
والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل
فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و
والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد

الى الشرك

الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل
فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا
على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر
له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه
على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي فتأس بهم
في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب
عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية والحث
على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر والتكذيب
يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم
بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية
فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على
دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان
لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم
وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه ليكونوا
من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته
الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن
اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر
كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه
على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين

له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الأعمال واستقبحها على ما هي عليه
فحذف الجواب لدلالة فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء عليه
وقيل تقديره أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف
الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك
نفسك عليهم للحسرات على غيهم وإصرارهم على التكذيب والفاءات
الثلث للسببية غير أن الأوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على
المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على أحوالهم أو
كثرة مساوي أفعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لأن صلة
المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب أو بيان للمتحسر عليه إن الله عليم
بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي أرسل الرياح وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية
استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد
بيان إحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده إليها ويجوز أن يكون اختلاف
الأفعال للدلالة على استمرار الأمر فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به
الأرض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فإنه
سبب السبب أو الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول
فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع
كذلك النشور أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية
إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل
فيها وقيل كيفية الإحياء فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت
منه أجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا

أي فليطلبها من عنده فإن له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول إليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد
والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما أو صعود الكتبة
بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا بالتوحيد
ويؤيده أنه نصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو لله
وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء
والمصعد هو الله تعالى أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول
الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه السلام هو سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء
فحيا بها وجه الرحمن فإذا لم يكن له عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات
المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وسلم في دار
الندوة وتداريهم الرأي في إحدى ثلث حبسه وقتله وإجلائه لهم
عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر أولئك هو يبور
يفسد ولا ينفذ لأن الأمور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله
خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم
جعلكم أزواجا ذكرانا وإناثا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا
معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ولا
ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بأن يعطى له عمر ناقص من عمره أو لا
ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وإن لم يذكر
لدلالة مقابله عليه أو للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم
لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر

واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبت في اللوح مثلا ان يكون فيه ان حج فلان
فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من
عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا
ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان
ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل
للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل
انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف
وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها
استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى
كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان
فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره
عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض
الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى
وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر
بما يشارك العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلي واليواقيت وترى
الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله
بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان يتعلق بما دل عليه
الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه
ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيامة

ذلكم

ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيه اشعار
بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له
الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من
قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة
النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبريهم منكم
مما تدعون لهم ويوم القيامة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون
ببطلانه ويقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك
بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى سبحانه فانه الخبير به
على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال
آلهتهم ونفي ما تدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم
وما يعن لكم والتعريف في الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة
افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق
بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا
والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات
حتى استحق عليهم الحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم
آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز
بمتعذر او متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس
آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم
وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة

نفس اثقلتها الاوزار الى حملها ليحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء
لم يجب لحمل شيء منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب
غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو
لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل
كان تامة فانها لا تلايم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم
عذابه واقاموا الصلاة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف
الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر من دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه
اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم
واقامتهم الصلاة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم
على تزكيتهم وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما
مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل
ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد
نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول
من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارا والحرور
ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين
والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء
ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته
وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات
ومبالغة في اقناطه عنهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار
واما الاسماع فلا اليك فلا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا

ارسلناك

ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز
ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اى بشيرا بالوعد الحق وان من
امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه
والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد
قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان
يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب
المنير كالتوراة والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز
ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين
كفروا فكيف كان نكير اى انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او
اصنافها على ان كلا منها لها اصناف مختلفة او هيآتها من الصفرة
والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد اى ذو جدد اى خطط وطرايق
يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع
جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض
وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على
بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها
غرابيب متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره ما بعده فان الغربيب
تاكيد للاسود وحق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك في الصفة
قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه
من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام

مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال عم انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن

(ان يديموا ويلازموا تلاوة القرآن)

ومن

ومن للتبيين او للجنس ومن للتبعيض هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد

والمراد بالجبلة ما يكون طبيعة الانسان لا الفطرة لان الفطرة على الاسلام

والسبق عاد ضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء
او السبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلثة او للذين
او للمقتصد والسابق فان المراد بهما المؤمن وقرئ جنة عدن وجنات
منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء
المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت
المراة فهى حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او
من ذهب فى صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور
ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من
وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين
شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة من فضله من انعامه و
تفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب
كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان
فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى
كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل
كلما خبت زيد اسعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور مبالغ
فى الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده
الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون
من الصراخ وهو الصياح استعمل فى الاستغاثة لجهد المستغيث

صوته

صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار القول
وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير
الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم
كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما
يتذكر فيه متناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل
ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه السلام العمر الذى اعذر الله
فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه
للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبى او الكتاب وقيل
العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير
يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى
عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل
له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون كان اعلم
بغيره هو الذى جعلكم خلائف فى الارض ملقى اليكم مقاليد التصرف
فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف فمن كفر
فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم
الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير
للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء
قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت
الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون
من دون الله يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء

لله او لانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل
من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبروني كانه قال اخبروني عن
هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم
شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا
بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا
اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة
جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا
وقرا نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي على بينات
فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان
يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك
اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف
او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب
اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا
فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان
الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده
من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى
زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب
كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول

لا عما ضربوا له وتعجيب مما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك
كله قادرا على كل شيء واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين
والمنكرين وقرا يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس كنت لا اعلم
ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعنه
عم ان لكل شيء قلبا وقلب القران يس من قراها يريد بها
وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنتين
وعشرين مرة وايما مسلم قرئت عنده يس اذا نزل به
ملك الموت نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه
صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مؤمن قرا
يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه
رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه
روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض
من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او اثنان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة
الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها يفيض عليهم
الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية
والسفلية بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير
او الشيطان عن التعرض لهم التالين آيات الله وجلايا قدسه

على انبيائه واوليائه او بطوايف الاجرام المترتبة كالصفوف
المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة
في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء
الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسق بالحجج والنصائح
التالين آيات الله وشرايعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد
الزاجرين الخيل او العدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزات
العدو والعطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء لترتب الوجود
كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان الصف
كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة الى قبول الخير والتلاوة
افاضته او الرتبة كقوله عم رحم الله المحلقين فالمقصرين غير انه
لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو وحمزة
التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا
ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد
المقسم عليه على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها
على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل لوجود الصانع الحكيم ووحدته
على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او خبر ثان او خبر محذوف وما
بينهما يتناول افعال العباد ويدل على انها من خلقه والمشارق
مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون
تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك
اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما

قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال
انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة هي
الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص
بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها
واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول
فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة
ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينتها الكواكب على اضافته
الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من
السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق
لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها جواهر مشرقة
متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب
باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى كانه قال انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا لها من كل شيطان مارد خارج
من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ
لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل
شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا
علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم حذف
ان واهدارها كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغا فان اجتماع
ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه
معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه
قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو تطلب

السماء والملأ الأعلى الملائكة أو أشرافهم ويقذفون ويرمون
من كل جانب من جوانب السماء إذا قصدوا صعوده دحورا
علة أي للدحور وهو الطرد أو مصدر لأنه والقذف متقاربان
أو حال بمعنى مدحورين أو منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد
به ويقويه القراءة بالفتح وهو يحتمل أيضا أن يكون مصدرا كا
القبول أو صفة له أي قذفا دحورا ولهم عذاب أي عذاب آخر
واصب دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة إلا من خطف الخطفة استثناء
من واو يسمعون ومن بدل عنه والخطف الاختلاس والمراد
اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد
مفتوح الخاء ومكسورها وأصلهما اختطف فأتبعه شهاب تبعه
بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض وما قيل إنه بخار يصعد
إلى الأثير فيشتعل فتخمين إن صح لم يناف ذلك إذ ليس فيه ما يدل على أنه
ينقض من الفلك ولا في قوله تعالى إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح و
جعلناها رجوما للشياطين فإن كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح
لأهل الأرض وزينة للسماء من حيث إنه يرى كأنه على سطحه ولا
يبعد أن يصير الحادث كما ذكر في بعض الأوقات رجما للشيطان يتصعد
إلى قرب الفلك للتسمع وما روي أن ذلك حدث بميلاد النبي عم إن صح
فلعل المراد كثرته أو وقوعه أو مصيره دحورا واختلف في أن المرجوم
يتأذى به فيرجع أو يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد
لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا
يقال إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرف كما أن

الإنسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية إذا استولت
على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم
فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة أو لبني آدم أهم أشد خلقا أم من خلقنا
يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق و
الكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه إطلاقه
ومجيئه بعد ذلك وقراءة من قرأ أم من عددنا وقوله إنا خلقناهم
من طين لازب فإنه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
كعاد وثمود لأن المراد إثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه
بالإضافة إليهم وإلى من قبلهم سواء وتقريره أن استحالة ذلك
إما لعدم قابلية المادة ومادتهم الأصلية هي الطين اللازب
الحاصل من ضم الجزء المائي إلى الجزء الأرضي وهما باقيان قابلان للانضمام
بعد وقد علموا أن الإنسان الأول إنما تولد منه إما لاعترافهم
بحدوث العالم أو بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات
منه بلا توسط مواقعة فلزمهم أن يجوزوا إعادتهم كذلك وإما
لعدم قدرة الفاعل فإن من قدر على خلق هذه الأشياء قدر على
خلق ما لا يعتد به بالإضافة إليها سيما ومن ذلك بدؤهم أولا
وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وإنكارهم
البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي
بضم التاء أي بلغ كمال قدرتي وكثرة خلقي إلى أن تعجبت منها
وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكر البعث ممن
هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله إما على

سبيل الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة
تعتري الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل
يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون
به واذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة
فكرهم واذا راوا اية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون
يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض
ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه الا سحر مبين ظاهر
سحريته أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون اصله
انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا
الهمزة للمبالغة في الانكار والاشعار بان البعث مستنكر في
نفسه وفي هذه الحال اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر
بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب بطرح
الثانية أوآباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير
في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد
لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى
الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب
لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجزة على صدق المخبر عن وقوعه
وقرئ قال اي الله او الرسول ونعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هي
زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان كذلك فانما البعثة
زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه
اذا صاح عليها وامرها في الاعادة كامر كن في الابتداء ولذلك

رتب

رتب عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء
يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين
اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم
لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا
الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة
من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم
عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا
ثلثة او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا
يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة في تحسرهم
وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط
الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف
انهم مسؤلون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع
جواز ان يكون موقفهم بعد الهدى والتعريف للسؤال ما لكم
لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتعريض
وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل
عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم
بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع
او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ و
لذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين عن القوى

الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين واشرفه وانفعه ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابتهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم فانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فتمنوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك اي مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عم بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى باللام وعلى الاصل

وما تجزون

وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذي والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيل ما يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر يحتمل الحال والخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اي ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب

فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطف على ما
يعمه لانه من اعظم فساده كأنه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائي
بكسر الزاء وتابعهما عاصم في الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله
او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله
ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف اي قصرن
ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كأنهن بيض
مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء
والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اي يشربون فيتحادثون
على الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام
والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم
عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم
في مكالمتهم اني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أإنك لمن المصدقين
يوبخني على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق
أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى
الجزاء قال ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك
القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون
ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من
منزلتهم وعن ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم
الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث ان ادب المجالسة
يمنع الاستبداد به او خاطب به الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل

كقوله

كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع
فاطلع عليهم فرآه اي قرينه في سواء الجحيم وسطه قال تالله ان
كدت لتردين لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين وان هي المخففة
واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت
من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن
مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت وقرئ بما
يتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما
في القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل
على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه
لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة
الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا
لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله
لتقرير قوله والاشارة الى ما هم عليه من النعمة والخلود والامن
من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل مثل هذا يجب ان
يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة
الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام
شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا
على التمييز او الحال وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل
الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه
الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق
دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها

فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة او ابتلاء في الدنيا فانهم
لما سمعوا انه في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجرة ولو
يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها فهو
اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه في الشكل او الطلوع
من الشجر كأنه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه
بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة
قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك فانهم لآكلون
منها من الشجر او من طلعها فمالئون منها البطون من غلبة الجوع او
للجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اي بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش
فطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة
والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء
حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول مصدر
سمي به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج
عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها
وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون
الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين
فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد
الآباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون

على الاسراع

على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير
توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد
ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين
الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح
اي الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود
خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ولقد
نادانا نوح شروع في تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا
حين ايس من قومه فلنعم المجيبون اي فاجبناه احسن الاجابة
فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه
ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق واذى قومه وجعلنا
ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم
القيامة اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه
وازواجهم وتركنا عليه في الآخرين من الامم سلام على نوح هذا
الكلام جيء به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام
من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء في العالمين متعلق
بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في الملائكة
والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح من
التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين
تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره
ثم اغرقنا الآخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه

في الايمان واصول الشريعة لابراهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في
الفروع او غالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان
بينهما نبيان هود وصالح عليهما السلام اذ جاء ربه متعلق بما
في الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من آفات
القلوب او من العلايق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من
السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء
به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاول او
ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتريدون آلهة
دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان
يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا
مفعولا به وآلهة بدل منه على انها افك في انفسها للمبالغة او المراد
بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين
بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم
به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن
قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك به او يقتضي الامن من عقابه
على طريق الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى
مواقعها واتصالاتها او في علمها او في كتابها ولا منع منه
مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعبد معهم فقال اني
سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف
للسقم لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون
وكانوا يخافون العدوى او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج

المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه
المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى
فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله
الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء ألا تأكلون يعني الطعام
الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم
مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين
مصدر لراغ عليهم لانه في معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم
يضربهم وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي
قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن
اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم بعدما رجعوا فرأوا اصنامهم منكسرة
وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله من فعل هذا
بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة
على بناء المفعول من ازف اي يحملون على الزفيف وقرئ يزفون
اي يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون
من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه قال
أتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما
تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم
ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم
من الدواعي والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه
بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف

على فعلهم او لابنه بكرة وبهذا المعنى تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولمن ان يرجحه على الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي شدة التأجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا يتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه قيل فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه

لان الاب

لان الاب اكمل في الرفق به والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى في ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح روّى انه من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى الليلة الثالثة مثله فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا ولقوله عم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره

فيه ويوجه ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع
ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد
له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم وكسر الراء خالصة
والباقون بفتحهما وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون
باخلاص فتحها قال يا ابت وقرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي
ما تؤمر به فحذف دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة
المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه
مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه
الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما
الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع
لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على
قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابراهيم
ابنه وقد قرئ بهما واصلها سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم
من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض
وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه
تغيرا فيرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع
المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وروي انه امر السكين
بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما
كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله
على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله

واظهار

واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك
انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عم كان مأمورا بالذبح
لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء
البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة
فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل
عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي به الله نبيا ابن
نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل
وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه عند الجمرة فرماه
بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادي على الحقيقة ابراهيم
وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او
الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح
شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم
سبق بيانه في قصة نوح عم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه القصة
وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه
من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به
وقت البشارة فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق
الفعل به لاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا
فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من
الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين

مقدرون خلوده بهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه
وصلاحه حينما يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من
البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء
بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق و
وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما
بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله
او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين
ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال
وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على
موسى وهارون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية
والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون
والغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون
وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية
وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب
وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي
المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق مثله وان الياس لمن
المرسلين وهو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده
وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان
ابليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال
لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه وتطلبون

الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن
بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون
احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني
بالهمزة ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين وقرأ حمزة ويعقوب
والكسائي وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب
وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا
الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا
عليه في الآخرين سلام على إل ياسين لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع
له مرادا به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه
باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسبة كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ
نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان
فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل
لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين
اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق
بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام
فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء
او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد لها مساء افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان
يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق هرب واصله الهرب
من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه

عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق من مقام الظفر روى انه لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا
هنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه
في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت
بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا
انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت
وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل من المصلين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر
وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا
الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت
سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر
فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة
ايام وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل
حين يولد وانبتنا عليه اى فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين من شجر ينبسط
على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على
انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه
انه قيل لرسول الله انك لتحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل
التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وار
وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهو اصل نينوى
والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون

في مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف
بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوه او فجددوا الايمان بحضوره فمتعناهم
الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر
القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولى العزم من الرسل
او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله
اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره
جار الى ما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امره باستفتائهم
عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة
بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز
البنات على الله فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة و
تفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم
بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في
كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه
الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث
جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون
وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا بها فان الانوثة ليست
من لوازم ذاتهم ليمكن معرفتها بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء
والاستجهال بانهم لفرط جهلهم يبتون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم

لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى
مفعول يستوي الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين
استفهام انكار لدلالة ام بعدها عليها واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة
الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها
عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابدال من
ولد الله ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه
عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة
بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان
يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة
وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او
الانس او الجن ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله
عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين
منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون
فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين
الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار
ويصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب
ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي
انكم والهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين
باعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال
بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين

اوتخفيف

او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي في قولهم
ما باليت بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية
اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له
مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم
لا يتجاوزه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم
ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين
معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين
تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة
ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونه فحذف
الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون في اداء الطاعة
ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل
الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف وما في ان واللام
وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما
من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين والمعنى
وما منا الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله في القيامة وانا
لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون
اي مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التي نزلت
عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم
فكفروا به اي لما جاءهم الذكر الذي هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها
فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي
وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم

الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وانما سماه كلمة وهي
كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم واعرض عنهم حتى حين وهو
الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما
ينالهم والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كاين قريب كأنه قدامك
فسوف يبصرون ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب في
الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روي انه لما
نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا
نزل العذاب بفنائهم بغتة شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم
بغتة وقيل الرسول عم وقرئ نُزل على اسناده الى الجار والمجرور ونَزَل
اي العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام
للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب
ولما كثرت فيه الهجوم والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وان
وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تأكيد
الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون
ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب
الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون
عما قاله المشركون فيه على ما حكي في السورة واضافة الرب الى العزة
لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة
صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين
على ما افاض عليهم وعلى من تبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك

اخره

آخر وعن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على
رسله وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة
وعن النبي عم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد
كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من
الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وآيها ست او ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

ص وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة
ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اي عارض القرآن بعملك
وبالفتح لذلك او لحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره
والفتح في موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم للسورة وبالجر على تأويل
الكتاب والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف مذكورا
للتحدي او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبرا لمحذوف
او لفظ الامر وللعطف ان جعل ص مقسما به والجواب محذوف دل
عليه ما في ص من الدلالة على التحدي او الامر بالمعادلة اي انه لمعجز او
لواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في
عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به
في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به
وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره
بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه

في الدين من العقايد والشرايع والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة اي غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اي ولات ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدا محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كاين لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضماير في قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين ما من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم

واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره من معجزة كذاب فيما يقوله على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله عم وقال هولاء قومك يسئلونك السوال ولا تمل كل الميل عليهم فقال عم ماذا يسئلونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال عم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملا منهم وانطلق اشراف مكة من قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله عم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد

او ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة
الآخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى عم التي هي اخر
الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما
سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة
ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أانزل عليه الذكر من بيننا انكار
لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة
كقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال
ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر
على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي
لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون
به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب
بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقونه
به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى
يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض
صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء
من عباده لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغلب الوهاب
الذي له ان يهب كل ما يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك
السموات والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته
بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس
لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه

فمن ابن

فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط
محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى
العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من
يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة
وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب للحوادث السفلية جند
ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار المتحزبين
على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية
والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة
للتقليل كقولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم
ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب
لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد
ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل
ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او
ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد
البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه
اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط
واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب
يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب
الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع
من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه
فحق عقاب ويجوز اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب

جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور
لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله الا صيحة واحدة هي النفخة
ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع
وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم
وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي
توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال
لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل
لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء
اصبر يا محمد عم على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته
تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم
النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة
بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن
بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك
ما لقيه من المعاتبة على اهمال عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة
يقال فلان ايد وذو ايد وآد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضات
الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين كان
يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه
يسبحن قدم مع تغيير ويسبحن حال وضع موضع مسبحات
لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال بالعشي
والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء و
يصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال

شرقت

شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عم صلى صلاة الضحى
وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنه ما عرفت صلاة
الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع
المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا
وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من
الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ما
قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها او
كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة
والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى
بقرة على اخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه
فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة فاخذت البقرة فعظمت بذلك
هيبته واتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل
وفصل الخطاب فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص
الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عن
غير الباس عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد
الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول عم
فصل لا نزر ولا هذر وهل اتاك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجيب
والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ
تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم

من التسنم واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا
او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف
مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه
الرسول لم يكن حينئذ واذ الثانية فى اذ دخلوا على داود بدل من الاولى
او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب
والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه عم كان جزأ زمانه
يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته
فتسور عليه ملئكة على صورة الانسان فى يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان
نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على
بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملئكة وهو المشهور
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة ولا تشطط ولا تبعد
عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل بمعنى الشطط وهو مجاوزة الحد
واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين
او الصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من
الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض
ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون نعجة بفتح التاء ونعجة بكسر النون
وقرأ حفص ولى نعجة بفتح الياء فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته
اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى
فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر
ان ارده او فى مغالبته فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو
فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى

بالتخفيف

بالتخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم
محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله
قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف
الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة وان
كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغى ليتعدى
بعضهم على بعض وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها
كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسر
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم قليل وما
مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه
بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه
وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر
للسجود راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتى الاستغفار واناب
ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما فى هذه القصة الاشعار بانه عم
ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة
فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها
وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان وان صح فلعله خطب مخطوبته
او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى
الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد
مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال
على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته
مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا

وتمسك به ابو حنيفة على ان الركوع يقوم مقام السجود فى سجدة التلاوة
والسجدة واجبة عند ابى حنيفة وسجدة شكر عند الشافعى رح

عليه فوجد داود عنده اقواما فتسوروا بعد الحجاب ففزع او فزعهم وقصد
ان يبطش بهم فظن انه ذكر ابتلاء من الله ليهم فاستغفر ربه مما هم
به واناب فغفرنا له ذلك اى ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة
بعد المغفرة وحسن مآب مرجع فى الجنة يا داود انا جعلناك خليفة
فى الارض استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء
القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى
ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى
وتظليم الآخر قبل مسئلته فيضلك عن سبيل الله دلائله التى نصبها على
الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى
ملازمة الحق ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوى باطل بمعنى مبطلين اى عابثين
كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين او للباطل
الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد
والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة
الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب
هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض
ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم
خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ام نجعل المتقين كالفجار
كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين

من المؤمنين

من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار
وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة
القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها
عكس ما يقتضى الحكمة فيها او فى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حالة
اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب
على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها
من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ لتدبروا على
الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب
وليتعظ به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز فى عقولهم
من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية
بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل
التدبر للمعلوم الاول والتذكر للثانى ووهبنا لداود سليمان نعم
العبد اى نعم العبد سليمان اذ ما بعده تعليل للمدح وهو من حاله
انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه
ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشى بعد الظهر
الصافنات الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل
وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يكون الا فى العراب الخلص
الجياد جمع جواد او جود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود
فى الركض وقيل جمع جيد روى انه عليه السلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف
فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض
عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد له فاغتم لما فاته فاستردها

فعقرها تقربا إلى الله فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي أصل أحببت
أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدي تعديته
وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء إذ أحبا أي برك وحب الخير
مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته ويحتمل أنه سماها
خيرا لتعلق الخير بها قال عم الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة
وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بفتح الياء حتى توارت بالحجاب أي غربت
الشمس شبه غروبها بتواري المخبأة بحجابها وإضمارها من غير ذكر
لدلالة العشي عليها ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فأخذ
يمسح السيف مسحا بالسوق والأعناق أي بسوقها وأعناقها يقطعها
من قولهم مسح علاوته إذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها
وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن
وعن أبي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن
الإلباس ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وأظهر
ما قيل فيه ما روي مرفوعا أنه قال عم لأطوفن الليلة على سبعين امرأة
تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله
فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد
بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت
الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحاب فما شعر به إلا
أن ألقي على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه بأن لم يتوكل على الله وقيل إنه
غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته جرادة فأحبها وكان
لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت

تعدوا إليها

تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبره
آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج إلى الفلاة باكيا متضرعا وكانت
له أم ولد اسمها أمينة إذا دخل للطهارة أعطاها خاتمه وكان
ملكه فيه فأعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر فأخذ الخاتم فتختم
به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء إلا في نسائه
وغير سليمان عن هيئته فأتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف أن الخطيئة
قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى أربعون يوما عدد
ما عبدت الصورة في بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته
سمكة فوقعت في يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا
وعاد إليه الملك وعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه
لأنه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ
التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال
رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لا يتسهل له ولا
يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي أو لا ينبغي أن يسلبه مني بعد هذه
السلبة ولا يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لأحد
من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله
فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر
الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الإجابة وقرأ نافع و
أبو عمرو بفتح الياء إنك أنت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا
له الريح فذللناها لطاعته إجابة لدعوته وقرئ الرياح تجري بأمره
رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع أو لا تخالف إرادته كالمأمور

المنقاد حيث أصاب أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب
والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين مقرنين
في الأصفاد عطف على كل كأنه فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال
الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل
ليكفوا عن الشر ولعل أجسامهم شفافة صلبة فلا ترى ويمكن
تقييدها هذا والأقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالإقران
في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لأنه يرتبط المنعم عليه
وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه عكس
وعد وأوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا أي هذا الذي أعطيناك
من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن
أو أمسك فأعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن
في الأمر أي غير محاسب على منه وإمساكه لتفويض التصرف فيه إليك
أو من العطاء أو صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى أنه عطاء جم
لا يكاد يمكن حصره وقيل الإشارة إلى تسخير الشياطين والمراد بالمن
والإمساك إطلاقهم وإبقاؤهم في القيد وإن له عندنا لزلفى في الآخرة
مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة واذكر عبدنا أيوب
هو ابن عيص بن إسحق إذ نادى ربه بدل من عبدنا وأيوب عطف بيان له
أني مسني بأني مسني وقرأ حمزة والكسائي بإسكان الياء وإسقاطها
في الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب ألم وهو حكاية لكلامه
الذي ناداه به ولولاه لقال إنه مسه والإسناد إلى الشيطان
إما لأن الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله

أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه
ولم يغزه أو لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة
للأدب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو
لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه من عظم البلاء و
القنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر
وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك
حكاية لما أجيب به أي اضرب برجلك الأرض هذا مغتسل بارد وشراب
أي فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل أي ماء تغتسل به وتشرب منه
فيبرأ باطنك وظاهرك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل
من الحارة وشرب من الأخرى ووهبنا له أهله بأن جمعناهم عليه بعد
تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم وقيل ووهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى
كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لأولي الألباب
وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء إلى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك
ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه
فاضرب به ولا تحنث روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة
بنت أفرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برئ ضربها
مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الحدود إنا وجدناه
صابرا فيما أصابه في النفس والأهل والمال ولا يخل به شكواه إلى الله
من الشيطان فإنه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قاله
ذلك خيفة أن يفتنه أو قومه في الدين نعم العبد أيوب إنه أواب
مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب وقرأ

ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه
عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولي الايدي والابصار
اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم
الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار
عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم
كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم لنا خالصين
بخصلة خالصة لا شوب فيها وهي ذكرى الدار تذكرهم الدار الاخرة
دائما فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم
فيما يأتون ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الاخرة
واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف
نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص
فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين
من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خيّر
او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت او ميّت واذكر اسمعيل
واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ
واللام فيه كما في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة
والكسائي والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل
ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل
فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل
كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم
من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع

ذكر الانبياء ذكر جميل يذكرون به في الدنيا ابدا

من الذكر

من الذكر وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال

وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن

مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن

عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها

ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر

او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة و

شراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير في لهم لا من المتقين

للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين

حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض

التلذذ فان التغذي للتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف

لا ينظرون الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين

الاقران اثبت او نصف بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية

واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون

ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن

كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد

انقطاع هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين

لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد

المهد او المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف

وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا

هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره

حميم وغساق وهو على الاول خبر محذوف اي هو حميم والغساق

ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها او
وقرا حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين وآخر اي ومذوق
او عذاب آخر وقرا البصريان واُخر اي ومذوقات او انواع عذاب
اُخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير
على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ
بالكسر وهو لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع
بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال لرؤساء
الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال
والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين
على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا
رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي
الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا
لضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا
واغرائنا على ما قدمتم من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس
القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا
فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا اي ذا ضعف وذلك ان يزيد على
عذابه مثله فيصير ضعفين لقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا
اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء
المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة
اخرى لرجالا وقرا الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام
على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرا نافع

وحمزة

وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين ام زاغت
مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لا نرى على ان المراد نفي
رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا
او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار
منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على
انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار
منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك
اي الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم
اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل
من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من
اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار
لكل شيء رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها
العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من
الذنوب لمن يشاء وفي هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد
للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو
هو الانذار قل هو اي ما انبأتكم به من اني نذير من عقوبة من هذه
صفته وانه واحد في الوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم
انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف
وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة
فقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول
الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع

ومطالعة كتاب لا يتصور إلا بالوحي وإذ متعلق بعلم أو بمحذوف إذ التقدير
من علم بكلام الملأ الأعلى إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين أي لأنما كأنه
لما جوز أن الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود منه تحقيقا لقوله إنما
أنا منذر ويجوز أن يرتفع بإسناد يوحى إليه وقرئ إنما بالكسر على الحكاية
إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين بدل من إذ يختصمون
مبين فإن القصة التي دخلت إذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة
وإبليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة
غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود هنا
وهو إنذار المشركين على استكبارهم على النبي بمثل ما حاق إبليس على استكباره
على آدم هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله إياهم بواسطة ملك وأن
يفسر الملأ الأعلى بما يعم الله والملائكة فإذا سويته عدلت خلقته
ونفخت فيه من روحي وأحييته بنفخ الروح فيه وإضافته إلى نفسه
لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له
وقد مر الكلام فيه في البقرة فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس
استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره عن أمر الله تعالى أو
استنكافه عن المطاوعة أو كان منهم في علم الله قال يا إبليس ما منعك
أن تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم
والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد
وترتيب الإنكار عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم أو بأنه
الذي تشبث به في تركه وهو لا يصلح مانعا إذ للسيد أن يستخدم
بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص أستكبرت أم كنت من العالين

تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت
الآن أم لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة
لدلالة أم عليها أو بمعنى الإخبار قال أنا خير منه إبداء للمانع وقوله
خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال
فاخرج منها من الجنة أو السماء أو من الصورة الملكية فإنك رجيم
مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال
رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت
المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لأغوينهم
أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصهم الله لطاعته و
عصمهم من الضلالة أو أخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين
قال فالحق والحق أقول أي فأحق الحق وأقوله وقيل الحق الأول
اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله إن عليك الله أن تبايعا
وجوابه لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وما بينهما اعتراض
وهو على الأول جواب قسم محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ
عاصم وحمزة برفع الأول على الابتداء أي الحق يميني أو قسمي أو الخبر
أي أنا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من أقول كقوله كله لم
أصنع ومجرورين على إضمار حرف القسم في الأول وحكاية لفظ المقسم به
في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه إذا شارك الأول وبرفع الأول وجره
وبنصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس إذ الكلام
فيهم والمراد من منك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين وأجمعين
تأكيد له أو للضميرين قل ما أسألكم عليه من أجر على القرآن أو تبليغ

الوحي وما أنا من المتكلفين المتصنعين بما لست من أهله على ما عرفتم
من حالي فأنتحل النبوة وأتقوّل القرآن إن هو إلا ذكر عظة للعالمين
للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد او صدقه بإتيانه
بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه
تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره
الله لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الآية وآيها اثنان
وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم
وهو على الأول صلة للتنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة
او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الأول السورة وعلى الثاني
القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم إنا
أنزلنا إليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق و
اظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من
الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم
الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا بالا و
اجرائه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال ألا
لله الدين الخالص أي ألا هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له
الطاعة فانه المتفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار
والضمائر والذين اتخذوا من دونه أولياء يحتمل المتخذين من الكفرة
والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار

المشركين

المشركين من غير ذكر لدلالة السياق عليهم وهو مبتدأ خبره على الأول
ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى باضمار القول إن الله يحكم بينهم
وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا
او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما
نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون
اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل
النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم
يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم إن الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء
الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو أراد الله أن
يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه
الا وهو مخلوق لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب
استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق
فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد
القهار فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة
الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين
مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة
تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق
السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار
على الليل يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس
باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا
عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل

يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز
القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة
وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس
واحدة ثم جعل منها زوجها استدلال آخر بما اوجده في العالم
السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب
وفيه على ما ذكره ثلث دلالات خلق آدم اولا من غير اب وام ثم
خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفايت للحصر منهما وثم
للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي
من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت
ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج
من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حواء وانزل لكم وقضى او
قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب
في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة منها كاشعة الكواكب والامطار
من الانعام ثمانية ازواج ذكر وانثى من الابل والبقر والضان
والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي
والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولى
العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق
حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من
بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن
والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه
افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله

الا هو

الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته
الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده
الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه
سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي
باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك
وعن ابي عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر
اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة
انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل في الدلالة
على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد
او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعو اليه
اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذي كان
يتضرع اليه وما مثله الذي في قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل
من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرا ابن كثير
وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة
جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا
امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهي لا سند له واقناط
للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب
النار على سبيل الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قايم بوظايف
الطاعات آناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر
خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن هو

هو بضده وقراء الحجاز بان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى أمن هو قانت
لله كمن جعل له أندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئ بالرفع
على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة
ربه في موقع الحال أو الاستئناف للتعليل قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار
القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للأول على
سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون
والعاصون إنما يتذكر أولوا الألباب بأمثال هذه البيانات وقرئ
يذكر بالإدغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته
للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة أي للذين أحسنوا بالطاعات
في الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وقيل معناه للذين أحسنوا حسنة
في الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه بيان لمكان حسنة وأرض
الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر
إلى حيث يتمكن فيه إنما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال
البلاء ومهاجرة الأوطان لها أجرهم بغير حساب أجرا لا يهتدي
إليه حساب الحساب وفي الحديث أنه ينصب الموازين يوم القيامة
لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل
البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا
أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل
قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وأمرت
لأن أكون أول المسلمين وأمرت بذلك مخلصا لأجل أن أكون مقدمهم

في الدنيا

في الدنيا والآخرة لأن قصب السبق في الدين بالإخلاص أو لأن أكون
أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة
الثاني الأول بتقييده بالعلة والإشعار بأن العبادة المقرونة
بالإخلاص وإن اقتضت لذاتها أن يؤمر بها فهي أيضا تقتضي لما
يلزمه من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت
لأن أفعل فيكون أمرا بالتقدم في الإخلاص والبدء بنفسه في الدعاء إليه
بعد الأمر به قل إني أخاف إن عصيت ربي بترك الإخلاص والميل
إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل
الله أعبد مخلصا له ديني أمر بالإخبار عن إخلاصه بعد الأمر بالإخبار
عن كونه مأمورا بالعبادة والإخلاص خائفا على المخالفة من
العقاب قطعا لأطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم
من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل إن الخاسرين الكاملين في الخسران
الذين خسروا أنفسهم بالضلال وأهليهم بالإضلال يوم القيامة
حين يدخلون النار بدل الجنة لأنهم جمعوا وجوه الخسران وقيل
وخسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم
كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا
لا رجوع بعده ألا ذلك هو الخسران المبين مبالغة في خسرانهم
لما فيه من الاستئناف والتصدير بألا وتوسيط الفصل وتعريف
الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح
لخسرانهم ومن تحتهم ظلل أطباق من النار ظلل للآخرين ذلك
يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا

ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين
اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام
على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة
في النعت ولذلك اختص بالشيطان أن يعبدوها بدل الاشتمال منه
وأنابوا إلى الله وأقبلوا إليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى
بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت فبشر عباد
الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وضع فيه الظاهر موضع
ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد في الدين
يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل أولئك الذين
هداهم الله لدينه وأولئك هم أولوا الألباب العقول السليمة
عن منازعة الوهم والعادة وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل
بفعل الله وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت
تنقذ من في النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام
تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه
فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار والاستبعاد ووضع من
في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على أن من حكم عليه بالعذاب كالواقع
فيه لامتناع الخلف وأن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم
من النار ويجوز أن يكون أفأنت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على
ذلك والإشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل
على الأرض تجري من تحتها الأنهار أي من تحت تلك الغرف وعد الله

مصدر

مصدر مؤكد لأن قوله لهم غرف في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لأن
الخلف نقص وهو على الله محال ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء هو المطر
فسلكه فأدخله ينابيع في الأرض هي عيون ومجاري كائنة فيها أو مياه
نابعات فيها إذ الينبوع جاء للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر أو على
الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه أصنافه من بر وشعير وغيرهما
أو كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لأنه إذا تم
جفافه حان له أن يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما
فتاتا إن في ذلك لذكرى لتذكيرا بأنه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه
أو بأنه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها لأولي الألباب إذ لا يتذكر به غيرهم
أفمن شرح الله صدره للإسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق
نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متأبية عنه من حيث إن الصدر
محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابلة للإسلام فهو على نور
من ربه يعني المعرفة والاهتداء إلى الحق وعنه عليه السلام إذا دخل النور
القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار
الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من
محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من أجل ذكره
وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لأن القاسي من أجل شيء أشد تأبيا
من قبوله من القاسي عنه لسبب آخر وللمبالغة في وصف أولئك بالقبول
وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده إلى الله وقابله بقساوة
القلب وأسنده إليه أولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بأدنى نظر والآية
نزلت في حمزة وعلي وأبي لهب وولده الله نزل أحسن الحديث

يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله عم ملوا ملة فقالوا له
حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تاكيد للاسناد اليه
وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن
او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم
وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى
على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور
وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب او جعل تمييزا من
متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود
الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في
شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع
وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر
من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله با
بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره
الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمن معنى السكون
والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها ذلك
اي الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله
ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلال افمن يتقي بوجهه يجعله
درقة يقي به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان
يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن منه فحذف
الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا

ما كنتم

ما كنتم تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من
قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر
ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة
الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة
المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل
العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون
يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح غير ذي عوج لا اختلاف
فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل بالشك
استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير
مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى
مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد فيه شركاء
متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه
من ان يدعي كل من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد
يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة
في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه
سبيل ورجل بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس
الاختلاف وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ
بفتح السين وكسرها مع سكون اللام وثلثتها مصادر سلم نعت
بها او حذف منها ذا او رجل سالما اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل

لأنه أفطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز
ولذلك وحده وقرئ مثلين للإشعار باختلاف النوع أو لأن المراد
هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثلين فإن التقدير مثل
رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه
لأنه المنعم بالذات والمالك على الإطلاق بل أكثرهم لا يعلمون
فيشركون به غيره من فرط جهلهم إنك ميت وإنهم ميتون فإن
الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لأنه
مما سيحدث ثم إنكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيامة عند
ربكم تختصمون فتحتج عليهم بأنك كنت على الحق في التوحيد وكانوا
على الباطل في التشريك واجتهدت في الإرشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب
والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا
وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما
دار بينهم في الدنيا فمن أظلم ممن كذب على الله بإضافة الولد والشريك
إليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عم إذ جاءه من غير توقف
وتفكر في أمره أليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة
لأعمالهم واللام يحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة
فإنهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لأنه مخصوص بمن فاجأه
ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به
للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله أولئك هم المتقون
وقيل هو النبي والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول عم والمصدق أبو بكر

الجزء الرابع والعشرون

وذلك يقتضي إضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف
أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل أو صار صادقا بسببه لأنه
معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاءون
عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على إحسانهم ليكفر الله
عنهم أسوأ الذي عملوا خص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كفر كان
غيره أولى بذلك أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون
أنهم مقصرون مذنبون وأن ما يفرط منهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم
ويجوز أن يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان
وقرئ أسواء جمع سوء ويجزيهم أجرهم ويعطيهم ثوابهم بأحسن
الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة
الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها أليس الله بكاف عبده استفهام إنكار
للنفي مبالغة في الإثبات والعبد رسول الله عم ويحتمل الجنس ويؤيده
قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالأنبياء ويخوفونك بالذين من
دونه يعني قريشا فإنهم قالوا إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا لعيبك
إياها وقيل إنه عم بعث خالدا ليكسر العزى فقال له سادنها
أحذركها إن لها لشدة فعمد إليها خالد فهشم أنفها فنزل تخويف
خالد منزلة تخويفه عم لأنه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله
حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه
إلى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل إذ لا راد لفعله كما قال أليس الله
بعزيز غالب منيع ذي انتقام ينتقم من أعدائه ولئن سألتهم من خلق
السماوات والأرض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية

قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات
ضره أي أرأيتم بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله أن آلهتكم إن أراد
الله أن يصيبني بضر هل تكشفه أو أرادني برحمة بنفع هل هن ممسكات
رحمته فيمسكنها عني وقرأ أبو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كافيا في إصابة الخير ودفع
الضر إذ تقرر بهذا التقرير أنه القادر الذي لا مانع لما يريده من
خير أو شر روي أن النبي عم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وإنما قال
كاشفات وممسكات بناء على ما يصفونها به من الأنوثة تنبيها على
كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بأن الكل منه قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث
من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم إني عامل على مكانتي فحذف للاختصار
والمبالغة في الوعيد والإشعار بأن حاله لا تقف فإنه تع يزيده في
على مر الأيام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم
في الدارين فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فإن خزي
أعدائه دليل غلبته وقد أخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس لأجلهم
فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به
فمن اهتدى فلنفسه إذ نفع به نفسه ومن ضل فإنما يضل عليها
فإن وباله لا يتخطاها وما أنت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم
لتجبرهم على الهدى وإنما أمرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى
الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها أي يقبضها عن الأبدان

بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند
الموت أو ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت
ولا يردها إلى البدن وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد
والموت بالرفع ويرسل الأخرى أي النائمة إلى بدنها عند اليقظة
إلى أجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الإرسال
وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن في ابن آدم نفسا وروحا
بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح
التي بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه إن في ذلك من التوفي والإمساك
والإرسال لآيات دلالات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته
لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالأبدان وتوفيها عنها بالكلية
حين الموت وإمساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة
والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وإرسالها حينا بعد
حين إلى توفي آجالها أم اتخذوا بل اتخذوا قريش من دون الله شفعاء
تشفع لهم عند الله قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا
تقدر ولا تعلم قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو
أن الشفعاء أشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى أنه مالك الشفاعة
كلها لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك
فقال له ملك السموات والأرض فإنه مالك الملك كله لا يملك أحد
أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه ثم إليه ترجعون يوم القيمة فيكون

المتكبر له ايضاً حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه
يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله
ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه
سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غضباً وغماً حتى
ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجأة قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله تع بالدعاء لما تحيرت
في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء
والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون
فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وعيد
شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم
سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق
بهم ما كانوا به يستهزئون واحاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر
دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده
بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن
ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من
اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد
لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلاً فان
التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم مني بوجوه كسبه او

بأني سأعطاه لما لي من استحقاقه او من الله بي واستيجابي والهاء لما ان
جعلت موصولة وإلا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة
امتحان له أيشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر
او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل
على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته
على علم عندي لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم
قارون وقومه فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات
اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة
رمزاً الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء
المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما
اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر
صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعاً ثم بسط
لهم سبعاً ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من
الله بوسط او غيره قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا
في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين
على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته
اولاً وتفضله ثانياً ان الله يغفر الذنوب جميعاً عفواً ولو بعد بعد
وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك
قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور

الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم
ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص
المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط
مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر
الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني
والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عم قال
ما احب ان تكون لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله
ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلث مرات
وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل
النفس بغير حق لم يغفر له فكيف نهاجر وقد عبدنا الاوثان و
قتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن وليد في جماعة فتنوا
فافتتنوا او في الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على
حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة
والاخلاص في العمل وتنافي الوعد بالتعذيب واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم القرآن او المامور به دون المنهي عنه او
العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى
واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان ياتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة
ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول
الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله
في جانبه اي في حقه وهو طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله
ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل
في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب
بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين
باهله ومحل وان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر
او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين
من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون
من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من
هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه
لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان تقديمه
يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه
يتحسر اولا بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو
لا يمنع تاثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه
كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم
القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ
الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها
من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى
فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان

اي بمكان الكنز من جهتهم او بفوزهم وفلاحهم او باعمال الحسنة ١٢

والطاعة وهو تعليل لانهم يعرفون كذلك وينجي الله الذين اتقوا وقرئ
وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيصا
باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرئ
الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة
لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان
المفازة الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل
يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن
من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة
على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده
مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد
معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي عم
عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر
والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى
على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات
والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون
متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه
مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار
بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين ان خسروا
انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليه
والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض

اوكلمات

او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من
الرحمة والثواب قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله
اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم
امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط
غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى
تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد فحذف ان ورفع كقوله احضر
الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني باظهار
النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد تهييج الرسل
واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل
واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت
كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب
بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم
يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم حق عظمته
حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته

ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل و
التخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم
شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة
وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الأرض بالجميع
لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة
وقرئ مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض منظومة
في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما أبعد وأعلى من هذه قدرته
وعظمته عن إشراكهم أو ما يضاف إليه من الشركاء ونفخ في الصور
يعني المرة الأولى فصعق من في السموات ومن في الأرض خروا
ميتا أو مغشيا عليه إلا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل
فإنهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه أخرى نفخة أخرى
وهي تدل على أن المراد بالأول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما
صرح به في مواضع وأخرى تحتمل النصب والرفع فإذا هم قيام
قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرئ بالنصب على أن الخبر ينظرون
وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين
أو ينتظرون ما يفعل بهم وأشرقت الأرض بنور ربها بما أقام فيها
من العدل سماه نورا لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي
الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضاف
الاسم إلى الأرض أو بنور يخلق فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك
أضافه إلى نفسه ووضع الكتاب للحساب والجزاء من وضع المحاسب

كتاب

ووقع

كتاب المحاسب بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال واكتفى
باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحائف وجيء
بالنبيين والشهداء للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة
عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو
أعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من أفعالهم ثم فصل التوفية وقال وسيق
الذين كفروا إلى جهنم زمرا أفواجا متفرقة بعضها في إثر بعض على تفاوت
أقدامهم في الضلالة والشرارة وهي جمع زمرة واشتقاقها
من الزمر وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه أو من قولهم شاة زمرة قليلة
الشعر ورجل زمر قليل المروءة حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها ليدخلوها
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء
وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا ألم يأتكم رسل منكم من جنسكم
يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو
وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث
أنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم
بالشقاوة وأنهم من أهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس
أجمعين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها أبهم القائل لتهويل ما يقال
لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره
ولا ينافي إشعاره بأن مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق أن يكون دخولهم

ووقع

فيها الاجل ان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم عن الحق وساير مقابحهم
مسببة عنه كما قال عم ان الله تع اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
الجنة حتى يموت على عمل من اعمال الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد
للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل
به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا مسرعا بهم الى دار الكرامة
وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بها الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم
في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب
اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف
وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت
بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم
طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء
للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول
العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث
والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على
الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف
فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي
مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع
واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين
محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف
يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة
للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار

بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات
الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم
الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل
الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم
المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم
وتعظيمهم عن النبي عم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه
يوم القيامة واعطاه الله تع ثواب الخائفين وعن عايشة انه عم
كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وآيها خمس او اثنان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع برواية
ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين
والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث او لانها
على زنة اعجمي كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم
لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة
الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب
ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث
على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها
زمان مخصوص وانه بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه
فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده
بدلا مشوشا للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين
محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد

أو تغاير بوقوع الفعلين لأن الغفر يبوء الستر فيكون لذنب باقٍ وذلك
لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة
وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة
العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا إله إلا هو فيجب الإقبال
الكلي على عبادته إليه المصير فيجازي العاصي والمطيع ما يجادل في آيات
الله إلا الذين كفروا لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين
فيه بالطعن وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما
الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به
وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه السلام إن جدالاً في القرآن
كفر بالتنكير مع أنه ليس جدالاً فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد
فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام
واليمن في التجارات المربحة فإنهم مأخوذون عما قريب بكفرهم
أخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم
والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود
وهمت كل أمة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا
من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الأخذ بمعنى الأسر وجادلوا
بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فأخذتهم بالإهلاك
جزاء لهم فكيف كان عقاب فإنكم تمرون على ديارهم وترون أثره وهو
تقرير فيه تعجب وكذلك حقت كلمة ربك وعيده أو قضاؤه بالعذاب
على الذين كفروا لكفرهم أنهم أصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل
أو الاشتمال على إرادة اللفظ أو المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله

الكروبيون

الكروبيون أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً وحملهم إياه وحفيفهم
حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي العرش
ومكانتهم عنده وتوسطهم في نفاذ أمره يسبحون بحمد ربهم
يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والإكرام وجعل التسبيح
أصلاً والحمد حالاً لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به
أخبر عنهم بالإيمان إظهاراً لفضله وتعظيماً لأهله ومساق الآية لذلك
كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وإشعاراً بأن حملة العرش
وسكان الفرش في معرفته سواء رداً على المجسمة واستغفارهم
شفاعتهم وحملهم على التوبة وإلهامهم بما يوجب المغفرة وفيه تنبيه
على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة وإن تخالفت
الأجناس لأنها أقوى المناسبات كما قال إنما المؤمنون إخوة ربنا
أي يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون أو حال وسعت كل شيء
رحمة وعلماً أي وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للإغراق في وصف
بالرحمة والعلم والمبالغة في عمومهما وتقديم الرحمة لأنها المقصودة
بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت
منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم
عنه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب
ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وعدتهم إياه ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم عطف على هم الأول
أي أدخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم أو الثاني لبيان عموم الوعد
وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد إنك أنت العزيز

الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته
ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء
السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصي
في الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي ومن تقها
في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا السبب بعد ما سألوا
المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعني الرحمة او الوقاية او مجموعهما
إن الذين كفروا ينادون يوم القيامة فيقال لهم لمقت الله أكبر
من مقتكم أنفسكم اي لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم انفسكم الأمارة
بالسوء إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت
الأول لا له لأنه أخبر عنه وقد فصل بينه وبين إذ خبره فلا يجوز
ولا للثاني لأن مقتهم أنفسهم يوم القيامة حين عاينوا جزاء
أعمالهم الخبيثة إلا أن يؤول بنحو الصيف ضيعت اللبن او تعليل للحكم
وزمان المقتين واحد قالوا ربنا أمتنا اثنتين إماتتين بأن خلقتنا
أمواتا أولا ثم صيرتنا أمواتا عند انقضاء آجالنا فإن الإماتة
جعل الشيء عادم الحياة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك
قيل سبحان الله من صغر البعوض وكبر الفيل وإن خص بالتصيير
فاختيار الفاعل المختار أحد مفعوليه تصيير وصرف له عن الآخر
وأحييتنا اثنتين الإحياءة الأولى وإحياءة البعث وقيل الإماتة
الأولى عند انخرام الأجل والثانية في القبر بعد الإحياء للسؤال و
الإحياءان في القبر والبعث إذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة
بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا

بذنوبنا

بذنوبنا فإن اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للبعث
فهل إلى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك
إنما يقولون من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك أجيبوا بقوله ذلكم
اي الذي انتم فيه بأنه بسبب أنه إذا دعي الله وحده متحدا او
توحد وحده فحذف الفعل وأقيم مقامه في الحالية كفرتم بالتوحيد
وإن يشرك به تؤمنوا بالإشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث
حكم عليكم بالعذاب السرمد العلي الكبير من أن يشرك به ويسوى بغيره
حيث حكم على من أشرك وسوى به بعض مخلوقاته في استحقاق العبادة
بالعذاب السرمد هو الذي يريكم آياته الدالة على التوحيد وسائر
ما يجب أن يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا أسباب
رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التي هي كالمركوزة
في العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك في التقليد واتباع الهوى
إلا من ينيب يرجع عن الإنكار بالإقبال عليها والتفكر فيها فإن
الجازم بشيء لا ينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين
من الشرك ولو كره الكافرون إخلاصكم وشق عليهم رفيع الدرجات
ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول
والمحسوس الدال على تفرده في الألوهية فإن من ارتفعت درجات
كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم
الجسماني في قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به وقيل الدرجات مراتب
المخلوقات أو مصاعد الملائكة إلى العرش او السماوات او درجات الثواب
وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده

خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحي وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحي ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ مختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثاني يوم التلاق يوم القيامة فان فيه يتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهمونه في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا العوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الآزفة اي القيامة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الآزفة وهي مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب

لدى

لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب حملا على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفي الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي بشيء او لا يقضي وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا

كقوله متقلباً اسفاً وريحاً فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم
من الله من واق يمنع العذاب عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله
انه قوي متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب
دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني المعجزات وسلطان
مبين وحجة واضحة قاهرة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او
لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيماً لشانه الى فرعون وهامان وقارون
فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله عم وبيان
لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشاً واقربهم زماناً فلما
جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا
نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولاً كي يصدوا عن
مظاهرة موسى وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع ووضع الظاهر
في موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذروني
اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذي تخافه
بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله
بذلك مع كونه سفاكاً في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف
من قتله او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه
فانه تجلد وعدم مبالاة بدعائه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم
ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك
او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج
ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو

وابن عامر

وابن عامر بالواو وعلى معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص
بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع بكلامه
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام
بان تاكيداً واشعاراً على ان السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله
وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه
واليهم حثاً لهم على موافقته لما في تظاهر الارواح من استجلاب
الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفاً يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة
ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو والكسائي
عذت فيه وفي الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن
من ال فرعون من اقاربه وقيل من متعلقة بقوله يكتم ايمانه
والرجل اسرائيلي او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلاً
اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير
روية وتامل في امره ربي الله وحده وهو في الدلالة على الحصر
مثل صديقي زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدق قوله
من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات
احتجاجاً عليهم واستدراجاً لهم الى الاعتراف به ثم اخذ بالاحتجاج
من باب الاحتياط فقال وان يك كاذباً فعليه كذبه لا يتخطاه وبال
كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي
يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير واظهار
للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذباً او يصبكم بعض
ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو

أظهر احتمالاً عندهم كتفسير البعض بالكل لقول لبيد تراك أمكنة
إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لأنه أراد
بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث
ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات
ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من خذله الله فلا حاجة لكم
إلى قتله ولعله أراد به المعنى الأول وخيل إليهم الثاني لتلين شكيمتهم
وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب
وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين في الأرض أرض
مصر فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا
لبأس الله بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما أدرج نفسه
في الضميرين لأنه كان منهم في القرابة ليريهم أنه معهم ومساهمهم
فيما ينصح لهم قال فرعون ما أريكم ما أشير إليكم إلا ما أرى وأستصوبه
من قتله وما أهديكم وما أعلمكم إلا ما علمت من الصواب وقلبي و
لساني متواطئان عليه إلا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد
على أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعباد لا من أرشد
كجبار لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرشد كعواج وبتات
وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له
مثل يوم الأحزاب مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم وجمع
الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائباً من الكفر وإيذاء الرسل والذين
من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلماً للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب

ولا يخلي

ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله وما ربك بظلام
للعبيد من حيث إن المنفي فيه نفي حدوث تعلق إرادته بالظلم ويا قوم
إني أخاف عليكم يوم التناد يوم القيامة ينادي فيه بعضهم بعضاً
للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب
الجنة وأصحاب النار كما حكي في الأعراف وقرئ بالتشديد وهو أن
يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه يوم تولون
عن الموقف مدبرين منصرفين عنه إلى النار وقيل فارين عنها
ما لكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من
هاد ولقد جاءكم يوسف يوسف بن يعقوب على أن فرعون فرعون
موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد أو سبطه يوسف بن
إبراهيم بن يوسف بن يعقوب من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى إذا هلك مات قلتم
لن يبعث الله من بعده رسولاً ضماً إلى تكذيب رسالته تكذيب
رسالة من بعده أو جزماً بأن الله لا يبعث بعده رسولاً مع الشك
في رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضاً بنفي
البعث كذلك مثل ذلك الإضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف
مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في
التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الأول
لأنه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل إما بتقليد أو شبهة داحضة
أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وإفراده للفظ
ويجوز أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف أي وجدال الذين

عظم جدالهم بغضاً

يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اى كبر مقتا مثل ذلك
الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار دالا على
الموجب لجدالهم وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلبٍ بالتنوين على وصفه
بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عينى وسمعت اذنى او
على حذف مضاف اى على كل ذى قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن
لى صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشئ اذا ظهر لعلى ابلغ الاسباب
الطرق اسباب السموات بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم
لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على
ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجى ولعله اراد ان يبنى
له رصدا فى موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التى هى اسباب
سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال
الله تع اياه او يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء
يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه
وانى لاظنه كاذبا فى دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين
لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة
هو الله تع ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبالتوسط الشيطان
وقرأ الحجازيان والشامى وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس
عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد
فرعون الا فى تباب اى خسار وقال الذى آمن يعنى مؤمن آل فرعون
وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل

سالكه

سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل
الغى يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها
وان الآخرة هى دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها
عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه
ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم
الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان
حالا للدلالة على انه شرط فى اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك
ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار كرر نداءهم
ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم
على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ما هو
بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما
اجمل فيه تصريحا وتعريضا او على الاول تدعوننى لاكفر بالله بدل
او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام واشرك به
ما ليس لى به بربوبيته علم والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية
لا بد لها من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم
الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة و
الغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة
والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه
وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا

ولا في الآخرة اى حق عدم دعوة الهتم الى عبادتها اصلا لانها جمادات
ليس لها ما يقتضي الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة
دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء
اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل
فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق
والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لا ينقطع في وقت ما
فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان
مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الضلالة والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فستذكر بعضكم
بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى
الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم فكانه جواب
توعدهم المفهوم من قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل
الضمير لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه
اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه
يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق
او القتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة
او النار خبر محذوف ويعرضون استيناف للبيان او بدل ويعرضون حال
منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره
يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض
الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن
مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود يعرض على النار

بكرة

بكرة وعشيا الى يوم القيامة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتابيد
وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اى هذا ما دامت
الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد
العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ
نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم
النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه
على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا
تباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما
دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين
استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا
عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن
المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال
المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله
قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ولا
معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم ووضع جهنم موضع الضمير
للتهويل او لبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها
من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر
يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف
المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات

ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء
وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ
فيه اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة
وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان
لهم من الغلبة امتحانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة
للشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة
او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء
ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا
موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف
والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من
ذلك التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي
الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان
وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر
لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام
بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك بالنصر والتحميد لربك وقيل صل
لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا
ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان اتاهم عام في كل مجادل

مبطل

مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا
بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار
ان في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم
او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكونان الا لهم ما هم ببالغيه
ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع
البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فمن قدر على خلقها مع عظمتها اولا من غير اصل قدر على خلق
الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه من امر
التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتاملون
لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير الغافل
والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن
والمسيء فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد
البعث وزيادة لا في المسيء لان المقصود نفي مساواته للمحسن
فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما
عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة
بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا تتذكرون
والضمير للناس او للكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او
الالتفات او امر الرسول ع م بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب
فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد
بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم
على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب لكم

أثبتكم لقوله تع ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم
داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف
عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فهو من ابوابها
وقراء ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي
الى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به
واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى
الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به
لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم
مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص
بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء
لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها
وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما
هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي
وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا
بايات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله
ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال
ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب
القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا
لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه

هو رب

مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية
لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه
فاعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله
رب العالمين قائلين له قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من
دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والايات فانها مقوية
لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين اي ان
انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم
من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل
كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام متعلقة فيه بمحذوف تقديره
ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على
لتبلغوا وقراء نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين
والباقون شيوخا بكسر الشين وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى
من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا
لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيامة ولعلكم تعقلون
ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فاذا
اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة و
تجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث
انه يقتضي قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين
يجادلون في ايات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة
لتعدد المجادل او المجادل فيه او للتوكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقران
او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب او الوحي

او الشرايع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم ظرف
ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال او مبتداء خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف
اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب
وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل
بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال
او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون يحرقون
من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه يسجر
بالحب اى يملأ والمراد تعذيبهم بانواع العذاب وانهم ينقلون من
بعضها الى بعض ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا
ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم
نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل تبين
لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك
حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا
يهتدوا الى شيء ينفعهم في الاخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا
لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون
وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون
في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى
النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود

سبب

سبب الثواء عبّر بالمثوى فاصبر يا محمد ان وعد الله بهلاك الكفار حق
كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك
لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم
وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم
القيامة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك
محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في
حيوتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الاخرة اشد العذاب ويدل
على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد
الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص
معدودة وما كان لرسول ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات
عطايا الله قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار
في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله
بالعذاب في الدنيا والاخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل
وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما
يغنيهم عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون
فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر
ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة
في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون
وانما قال وعلى الفلك ولم يقل في الفلك للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل
لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب

والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة او
للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلايله الدالة على كمال قدرته
وفرط رحمته فأي آيات الله اي اية من تلك الآيات تنكرون
فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا
بضميره لكان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء
غير الصفات لابهامه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض
ما بقي منهم من القصور والمصانع ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض
لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية
منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فرحوا بما عندهم
من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة و
شبههم الداحضة لقوله تعالى بل ادارك علمهم وهو قولهم لا نبعث
ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم
تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم
الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق
بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم
لما راوا تمادي جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من
العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم
فلما راوا بأسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا

لامتناع

لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء
الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية
لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية
البأس مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية
سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في
العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت
رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان وعن النبي عم من قرأ سورة
المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه
واستغفر له

سورة حم السجدة مكية وآيها ثلث او اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعلته مبتدا فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديدا
للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدا لتخصصه بالصفة وخبره كتاب
وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح
هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب
متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة
على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت
باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها عن بعض باعتبار
الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب
على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان لسهولة قراءته وفهمه
لقوم يعلمون لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو
صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه

بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئ بالرفع
على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فأعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله
فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ
بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة
على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة
ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم
اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على
ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله
واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما
تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة
في العمل وقد يدل عليهما دليل العقل وشواهد النقل فاستقيموا
اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد
والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة
والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم
واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم
على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة
وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة
لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا

الصالحات

الصالحات لهم اجر غير ممنون لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل
او لا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى
اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل
ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او
بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد
من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين
انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا و
كفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح
ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق
جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير
معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة
عليها ليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستبصار ويكون منافعها
معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع
النبات والحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين
لكل نوع ما يصلحه ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص
حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في
اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد
في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين
للاشعار باتصالهما لليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء
اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب
بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين

متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما
فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين ثم استوى الى السماء
قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا
يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة
لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها
وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة
التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير
والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات
المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب
للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان
تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث
ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اي لتوافق
كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او
ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات
الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا
طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته
فيهما وتأثرهما بالذات وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع
كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب
انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال في موضع طائعات
طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضاهن
سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء

على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني
في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم
يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها
بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره
وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها
تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة
حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا
بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة
والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم
صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي
المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق
صعقا اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة
لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن
خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة
الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل
بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين يحتملها او من
قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح
عن المتأخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون
عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا

إرسال الرسل لأنزل ملائكة برسالته فإنا بما أرسلتم به على
زعمكم كافرون إذ أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فأما عاد
فاستكبروا في الأرض بغير الحق فتعظموا فيها على أهلها بغير
استحقاق وقالوا من أشد منا قوة اغتراراً بقوتهم وشوكتهم
قيل كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده
أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة قدرة فإنه
قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره
وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون أنها حق وينكرونها وهو عطف
على فاستكبروا فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً باردة تهلك بشدة
بردها من الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض أو شديدة
الصوت في هبوبها من الصرير في أيام نحسات جمع نحسة من
نحس نحساً نقيض سعد سعداً وقرأ الحجازيان والبصريان
بالسكون على التخفيف أو النعت على فعل أو الوصف بالمصدر قيل
كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم
الأربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا أضاف العذاب
إلى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة
أخزى وهو في الأصل صفة المعذب وإنما وصف به العذاب على
الإسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم
وأما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وإرسال الرسل
وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنوناً في الحالين
وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على

الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فأهلكتهم
وإضافتها إلى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون
من اختيار الضلالة على الهدى ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر أعداء الله إلى النار وقرأ نافع
بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب أعداء فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا
وهي عبارة عن كثرة أهل النار حتى إذا ما جاؤوها إذا
حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم
سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بأن ينطقها الله
أو يظهر عليها آثاراً تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان
الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ أو تعجب
ولعل المراد به نفس التعجب قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل
شيء أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل
شيء أو ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي أنطق كل حي
ولو أول الجواب والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاماً متناولاً للموجودات
الممكنة وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون يحتمل أن يكون تمام
كلام الجلود وأن يكون استئنافاً وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم
سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي كنتم تستترون عن الناس
عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم أن أعضاءكم
تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق
أنه لا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب ولكن ظننتم أن الله لا يعلم

كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى
ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم خبران
له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار
ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا
فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى
وهى الرجوع الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره
قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون
لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من
الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر
وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم
ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اى كلمة العذاب فى
امم فى جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففى آخرين
قد أفكوا وهو حال من الضمير قد خلت من قبلهم من الجن والانس
وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم
العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا
على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو
لعلكم تغلبون اى تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا
عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم

اسواء

اسواء الذى كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة
الى الاسواء جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر
محذوف لهم فيها دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك
فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار عينها على ان المقصود هو
الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق ويلغون وذكر
الجحود الذى هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين
اضلانا من الجن والانس يعنى شيطانى النوعين الحاملين على الضلالة
والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا بالتخفيف
كفخذ وفخذ وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت
اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا
من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته
واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا فى العمل وثم لتراخيه عن الاقرار
فى الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما تتبع
الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين فى معنى الاستقامة من
الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها
تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع
عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا
ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة
مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى الدنيا
على لسان الرسل نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم

على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة
والكرامة حيثما يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة
ما تشتهي أنفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدّعون ما تتمنون من الدعاء
بمعنى الطلب وهو أعم من الأول نزلا من غفور رحيم حال مما تدّعون
للإشعار بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل
للضيف ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله إلى عبادته وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وقال إنني من المسلمين تفاخرا به أو اتخاذا
للإسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والآية عامة
لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي عم وقيل في المؤذنين
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية
مزيدة لتأكيد النفي ادفع بالتي هي أحسن ادفع السيئة إن اعترضتك
بالتي هي أحسن منها وهي الحسنة على أن المراد بالأحسن الزائد مطلقا
أو بأحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وإنما أخرجه مخرج الاستئناف
على أنه جواب من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع الأحسن
موضع الحسنة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم إذا
فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقاها وما
يلقى هذه السجية وهي مقابلة الإساءة بالإحسان
إلا الذين صبروا فإنها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها إلا
ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وإما
ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لأنها بعث
على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جدّ جدّه

أو أريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه إنه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك أو بصلاحك
ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي
خلقهن الضمير للأربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما إشعارا
بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار إن كنتم إياه تعبدون فإن السجود
أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به وعند
أبي حنيفة آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن الامتثال
فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار أي
دائما لقوله وهم لا يسأمون أي لا يملون ومن آياته أنك
ترى الأرض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى
التذلل فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت
وانتفخت بالنبات وقرئ وربأت أي زادت إن الذي أحياها
بعد موتها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير من الإحياء والإماتة
إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن
والتحريف والتأويل بالباطل والإلغاء فيها لا يخفون علينا
فنجازيهم على الإلحاد أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا
يوم القيامة قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمنا مبالغة في إحماد
حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد إنه بما تعملون بصير
وعيد بالمجازاة إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله
إن الذين يلحدون في آياتنا أو مستأنف وخبر إن محذوف مثل

معاندون إذ ها لكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن وإنه
لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى إبطاله و
تحريفه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق
إليه الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الأخبار الماضية والأمور
الآتية تنزيل من حكيم أي حكيم حميد يحمده كل خلق بما ظهر عليه من
نعمه ما يقال لك أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من
قبلك إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم أو ما يقول الله لك إلا مثل ما
قال لهم إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم لأعدائهم
وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم
وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا
أعجميا جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا
لولا فصلت آياته بينت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي أكلام
أعجمي ومخاطب عربي إنكار مقرر للتحضيض والأعجمي يقال للذي
لا يفهم كلامه وكلامه وهذا قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي
وقرأ الباقون أعجمي وهو منسوب إلى العجم وقرأ هشام أعجمي
على الإخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت آياته
فجعل بعضها أعجميا لإفهام العجم وبعضها عربيا لإفهام العرب
والمقصود إبطال مقترحهم باستلزامه المحذور أو الدلالة على
أنهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت قل هو للذين
آمنوا هدى إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة والذين
لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقوله

وهو عليهم

وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم
من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك على للذين
آمنوا هدى أولئك ينادون من مكان بعيد أي هو تمثيل لهم
في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد
آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن
ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بالقيامة وفصل
الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال لقضي بينهم باستئصال المكذبين
وإنهم وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون لفي شك منه من
التوراة أو القرآن مريب موجب الاضطراب من عمل صالحا
فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك بظلام للعبيد
فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل
عنها إذ لا يعلمها إلا هو وما تخرج من ثمرات من أكمامها من أوعيتها
جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع
لاختلاف الأنواع وقرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى
مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على الساعة
ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع بمكانه
إلا بعلمه إلا مقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم
أين شركائي بزعمكم قالوا آذناك أعلمناك ما منا من شهيد من
أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم لما عاينا الحال فيكون
السؤال عنهم للتوبيخ أو من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنا وقيل
هو قول الشركاء أي ما منا من يشهد لهم بأنهم كانوا محقين

وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه
وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف
النفي لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة والنعمة
وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من
فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية و
التكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي اخيره
لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة
تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي ولئن قامت
على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده
ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين
كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا
فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصي عنه واذا
انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه
او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس
كالجنب في قوله في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره
وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه
كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبروني ان كان اي القرآن من
عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في

شقاق

شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا
لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما
اخبرهم النبي عم به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية
وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق
والغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم ما ظهر فيما بين اهل
مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجايب الصنع الدالة
على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول
او التوحيد او الله اولم يكف بربك اي اولم يكف ربك والباء
مزيدة للتاكيد كأنه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد
في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم
يكفك انه تع على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار
الآيات الموعودة كما حقق ساير الاشياء الموعودة او مطلع فيعلم
حالك وحالهم او اولم يكف الانسان رادعا عن المعاصي انه مطلع
على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية في شك وقرئ بالضم
وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه
بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا
يفوته شيء منها عن النبي عم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله
بكل حرف عشر حسنات

سورة عسق مكية وتسمى سورة الشورى ثلث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد آيتين
وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق ساير الحواميم وقرئ حم سق

كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل
ما فى هذه السورة من المعانى او ايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك
والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية
للدلالة على استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرا ابن كثير
يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او
مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز
الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شان الموحى به كما مر فى السورة السابقة
او بالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون والعزيز وما بعده اخبار
او العزيز الحكيم صفتان له ما فى السموات وما فى الارض وهو
العلى العظيم خبران له وعلى الوجوه الأخر استيناف مقرر لعزته
وحكمته تكاد السموات وقرا نافع والكسائى بالياء يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرا البصريان
وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع
فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن
اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على
الاول لان اعظم الآيات وادلها على علو شانه من تلك الجهة و
على الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل
الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم
من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة
وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى

فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين
فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا
وهو ذو حظ من رحمته والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى
دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك
الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين
اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب
على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل
بموكل بهم او بموكول اليك امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا
الاشارة الى مصدر يوحى او الى معنى الآية المتقدمة فانه مكرر فى القرآن
فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حالا منه
لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهى مكة ومن حولها من العرب
وتنذر يوم الجمع يوم القيامة يجمع الخلائق فيه او الارواح والاشباح
او العمال والاعمال وحذف ثانى مفعولى الاول واول مفعولى الثانى
للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب
فيه اعتراض لا محل له فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم
فى الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير
للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اى وتنذر
يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى
الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين
او ضالين ولكن يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والحمل على الطاعة
والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير اى ويدعهم بغير ولى ولا نصير

في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار
ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولي
جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا اولياء بحق فالله هو الولي
بالحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير كالتقرير لكونه حقيقا
بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء من امر الدين او الدنيا
فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة
والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى
المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه توكلت في مجامع الامور
واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض
خبر آخر لذلكم او مبتدا خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من
الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء و
من الانعام ازواجا اي وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق
لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء
وهو البث وفي معناه الذر والذرو فيه في هذا التدبير وهو جعل
الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث
والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد
من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه
عنه فانه اذا نفي عما يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره
قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب
الطاهر لذاته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى
ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اي ليس كصفته صفة

وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض
خزائنهما يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق
مشيته انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من الدين ما وصى
به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل
المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب
تصديقه والطاعة في احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع
او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل
من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا الاصل اما فروع الشرايع
فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم
عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء
يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد
والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعني الامم السابقة وقيل
اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءهم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث
الرسول عم او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها
بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال
الى اجل مسمى هو يوم القيامة او آخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم
باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول عم
او المشركين الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا

لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان
او من القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك فلاجل ذلك
التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة
الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع
الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة
كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت بما انزل الله
من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا
ببعض وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومات والاول
اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية
الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى الخصومة اذ
الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا الخلاف مبدأ سوى العناد
الله يجمع بيننا يوم القيامة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء
وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة
بآية القتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له
من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله
فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب
بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة عند ربهم زائلة
باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم
الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا
من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع

الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس او العدل بان انزل الامر
به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة
قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرائع وواظب على العدل
قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك
وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى
البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا
مشفقون منها خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب ويعلمون
انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون
فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة
للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه
شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى
المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى
ما وراءه الله لطيف بعباده بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها
الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيختص كلا من عباده
بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز
المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه
بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة
الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض ويقال للزرع
الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له
وما له في الآخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى

ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم
شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك
وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها
اليهم لانهم متخذوها شركاء لله واسناد الشرع اليها لانها سبب
ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة
الفصل اى القضاء السابق بتاجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون
يوم القيامة لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم
وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى
ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم
فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين
فى يوم القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع
بهم اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا
الصالحات فى روضات الجنات فى اطيب بقاعها وانزهها لهم
ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم
ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذى يصغر دونه
ما لغيرهم فى الدنيا ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار
ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشر وقرئ يبشر من ابشره
قل لا اسئلكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا
منكم الا المودة فى القربى ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى

وقيل

وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط لكن اسئلكم المودة
وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى ذوى القربى متمكنة فى اهلها
او فى حق القرابة ومن اجلها كما جاء فى الحديث الحب فى الله والبغض
فى الله روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء
قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان
تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ
الا مودة فى القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب
آل الرسول وقيل نزلت فى ابى بكر ومودته لهم نزد له فيها
فى الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ
حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب
والتفضيل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا
افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشاء الله يختم على قلبك
استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترى عليه من كان
مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا
وكانه قال ان يشاء الله خذلانك يختم على قلبك لتجترى بالافتراء
عليه وقيل يختم على قلبك ينسك القرآن او الوحى عنه او يربط عليه
بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته
انه عليم بذات الصدور استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بانه لو كان
مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه
او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه
الذى لا مرد له وسقوط الواو من يمح فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ

كما في قوله ويدع الإنسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز
عما تابوا عنه والقبول يتعدى إلى مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الأخذ
والإبانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن علي رضي الله عنه هو اسم يقع
على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة
ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها
مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك
ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون
فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة وقرأ الكوفيون بالتاء غير أبي بكر
وقرأ حمزة وحفص والكسائي ما يفعلون بالياء ويستجيب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات أي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في
وإذا كالوهم والمراد إجابة الدعاء أو الإثابة على الطاعة فإنها
كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبوه
لله بالطاعة إذا دعاهم إليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا أو
استحقوا أو استوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل
ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا
في الأرض لتكبروا وأفسدوا فيها بطرًا أو لبغى بعضهم على بعض استيلاء
واستعلاء وهذا على الغالب وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى
كمية وكيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته
إنه بعباده خبير بصير يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم
ما يناسب شأنهم روي أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل
في العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا وهو الذي

ينزل

ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا أيسوا منه وقرئ
بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان
وهو الولي الذي يتولى عباده بإحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق
للحمد على ذلك ومن آياته خلق السموات والأرض فإنها بذاتها وصفاتها
تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات
أو الخلق من دابة من حي على إطلاق اسم المسبب للسبب أو مما يدب على
الأرض وما يكون في أحد الشقين يصدق أنه فيهما في الجملة وهو على جمعهم
إذا يشاء في أي وقت يشاء قدير متمكن منه وإذا كما يدخل على الماضي
يدخل على المضارع وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فبسبب
معاصيكم والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة معناه ولم يذكرها نافع
وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب
فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم
فله أسباب أخر منها تعريضه للأجر العظيم بالصبر عليه وما أنتم بمعجزين
في الأرض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من
ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية
في البحر كالأعلام كالجبال قالت الخنساء وإن صخرًا لتأتم الهداة به
كأنه علم في رأسه نار إن يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن
رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر إن في ذلك لآيات لكل صبار
شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في آيات الله والتفكر
في آلائه أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر

أو يوبقهن أو يهلكهن بإرسال الريح العاصفة المغرقة والمراد إهلاك
أهلها لقوله بما كسبوا وأصله أو يرسلها فيوبقهن لأنه قسيم يسكن فاقتصر
فيه على المقصود كما في قوله تعالى ويعف عن كثير إذ المعنى أو يرسلها عاصفة
فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على
على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة
مثل لينتقم منهم ويعلم أو على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للأشياء
الستة لأنه أيضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف
وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى أو يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء
قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق
عنها الفعل فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة
حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير وأبقى لخلوص نفعه ودوامه
وما الأولى تضمنت معنى الشرط من حيث إن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع
بها في الحيوة الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي
رضي الله عنه تصدق أبو بكر بماله كله فلامه جمع فنزلت للذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش
وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين وما بعده عطف على للذين آمنوا
أو مدح منصوب أو مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة
على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائي
كبير الإثم والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة نزلت في الأنصار
دعاهم رسول الله عم إلى الإيمان فاستجابوا له وأمرهم شورى
بينهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا

عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الأمور وهي مصدر كالفتيا
بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير والذين إذا أصابهم
البغي هم ينتصرون على ما جعل الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم
بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم
بالغفران فإنه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم
والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لأنه إجراء وإغراء على
البغي ثم عقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي وجزاء سيئة
سيئة مثلها وسمي الثانية سيئة للازدواج أو لأنها تسوء من تنزل به
فمن عفا وأصلح بينه وبين عدوه فأجره على الله عدة مبهمة تدل على
عظمة الموعود إنه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين
في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقرئ به فأولئك ما عليهم
من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة إنما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم
بالإضرار أو يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون في الأرض
بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الأذى
وغفر ولم ينتصر إن ذلك لمن عزم الأمور أي إن ذلك منه فحذف منه
كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له
من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه وترى الظالمين
لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل إلى
مرد من سبيل أي إلى رجعة إلى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على
النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما
يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم

إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف وقال
الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض
للعذاب المخلد يوم القيامة ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو لقال
أي يقولون إذا رأوهم على تلك الحال ألا إن الظالمين في عذاب مقيم تمام
كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من
دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى الهدى أو النجاة استجيبوا
لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن
صلة لمرد وقيل صلة يأتي أي من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن
رده ما لكم من ملجأ يومئذ مفر وما لكم من نكير إنكار لما اقترفتموه لأنه
مدون في صحائف أعمالكم تشهد عليه ألسنتكم وجوارحكم فإن أعرضوا
فما أرسلناك عليهم حفيظا رقيبا أو محاسبا إن عليك إلا البلاغ وقد بلغت
وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها أراد بالإنسان الجنس لقوله
وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور بليغ الكفران
ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل سببها وهذا
وإن اختص بالمجرمين جاز إسناده إلى الجنس لغلبتهم واندراجهم
فيه وتصدير الشرطية الأولى بإذا والثانية بإن لأن إذاقة النعمة محققة
من حيث إنها عادة مقتضية بالذات بخلاف إصابة البلية وإقامة علة
الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع المضمر في الثانية للدلالة على أن هذا
الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك السموات والأرض فله أن يقسم
النعمة والبلية كيف يشاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب
لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض أو يزوجهم ذكرانا وإناثا

ويجعل

ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل أحوال
العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة فيهب لبعض إما
صنفا واحدا من ذكر أو أنثى أو الصنفين جميعا ويعقم آخرين
ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة
على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الإنسان والإناث
كذلك أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء أو لتطييب قلوب
آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر
التأخير وتغيير العاطف لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج إليه
الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة إنه عليم
قدير فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له أن
يكلمه الله إلا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لأنه تمثيل ليس في ذاته
مركبا من حروف مقطعة تتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم
المشافه به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية
والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله
أو من وراء حجاب عليه يخصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية
لا على امتناعها وقيل المراد به الإلهام والإلقاء في الروع أو الوحي
المنزل به الملك إلى الرسل فيكون المراد بقوله أو يرسل رسولا
فيوحي بإذنه ما يشاء أو يرسل نبيا فيبلغ وحيه كما أمره وعلى
الأول المراد بالرسول الملك الموحى إلى الرسول ووحيا بما عطف
عليه منتصب بالمصدر لأن من وراء حجاب صفة كلام محذوف
والإرسال نوع من الكلام ويجوز أن يكون وحيا ويرسل مصدرين

وعن ورائى حجاب ظرف وقع احوالا اى قراء نافع او يرسل برفع
اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما يقتضيه حكمته
حكيما تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا او اماني ورائى حجاب
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا
لان القلوب تحيى به وقيل جبرائيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن
متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا
السمع ولكن جعلناه اى الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدى
به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي الى
صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله صراط
الله بدل من الاول الذى له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسايط والتعلقات وفيه وعد
ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عم من قراء حم عسق كان
ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف
مكية وقيل الا قوله واسال من ارسلنا وايها تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه
جعله قرآنا عربيا وهو من البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول
ابي تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد
بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرآن من حيث انه معجز مبين
طرق الهدى وما يحتاج اليه في الديانة او بين للعرب يدل على انه

صيره كذلك

صيره كذلك لعلكم تعقلون لكي تفهموا معانيه عطف على انا وقراء
حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف في ام الكتاب في اللوح المحفوظ
فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا
عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من
بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان
وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا يمنعه او حال منه ولدينا بدل
منه او حال من ام الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده و
نبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض قال طرفة
اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء
للعطف على محذوف انهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا مصدر من غير
لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين
واصله ان تولي الشيء صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون
ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف
صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على
خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم قوما مسرفين
اى لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض وقراء نافع
وحمزة والكسائي ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق
مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا
من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون
تسلية لرسول الله عم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا
اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم

ومضى مثل الاولين وسلف في القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول
عم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل
عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله
كما حكى عنهم في مواضع أخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات
ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهدا
فراشا فتستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون
لكي تهتدون الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر في ذلك والذي
نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة
ميتا مال عنه الماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك
اى مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذي خلق الازواج
كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون
ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره اذ يقال
ركبت الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع
له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اى ظهور
ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها
بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده
قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى
واحد وعنه عم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله واذا

وروى عن النبي عم انه قال بسم الله حين وضع رجله في الركاب
فلما استوى على الدابة قال الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا الآية
ثم حمد الله ثلثا وكبر ثلثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لى
فانه لا يغفر الذنوب الا انت قيل لا ينبغي للعاقل ان يركب
تلذذا وتنزها

استوى

استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى
قوله وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب
للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله او لانه مخطر فينبغي للراكب
ان لا يغفل عنه ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله
ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا
الملائكة بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمى بعضا لانه بضعة من
الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقرئ جزءا بضمتين
ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله
لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم
بالبنين معنى الهمزة في ام الانكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا
بان جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته جزءا اخس مما اختير لهم
وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اى مثله بالجنس الذي جعله
له مثلا اذ الولد لا بد ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه
اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي
ذلك دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ
مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت
خبرا ومن ينشأ في الحلية اى او جعلوا له او اتخذ من يتربى في الزينة
يعنى البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان
العقل وضعف الرأى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى او من
هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنع عمله كما

عرف وقرا حمزة والكسائى وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشأ
ويناشأ بمعناه ونظيره اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملئكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم
اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد
وقرا الحجازيان والبصريان عند على تمثيل زلفائهم وقرئ انثا وهو جمع
الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان
ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرا نافع ااشهدوا
بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآاشهدوا بمدة بينهما ستكتب
شهادتهم التى شهدوا بها على الملئكة ويسئلون اى عنها يوم القيامة
وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم
وهى ان لله جزءا وان له بنات وهى الملئكة ويساءلون من المساءلة
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اى لو شاء عدم عبادة الملئكة
ما عبدناهم واستدلوا بنفى مشيئة عدم العبادة على امتناع النهى
عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على
بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال
ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز
ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها
وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب
عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من
قبله من قبل القرآن او ادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون
بذلك الكتاب مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم

وهو

مهتدون

مهتدون اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى
تقليد آبائهم الجهلة والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول
اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى تكون عليها الآمّ اى القاصد ومنها
الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا
لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم
وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى
مما وجدتم عليه آباءكم اى اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى
من دين آبائكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير او خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرا ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما
ارسلتم به كافرون اى وان كان اهدى اقناطا للنذير من ان ينظروا
ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا
ليروا كيف تبرا من التقليد بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من
التقليد فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون
برئ من عبادتكم او معبودكم مصدر نعت به ولذلك استوى
فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم
وكرام الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما يعم اولى
العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان
ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه

وهو

سيهدين سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء ما هداني اليه
وجعلها وجعل ابراهيم او الله كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في
ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وقرئ
كلمة وفي عقب على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون
يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء واباءهم
هؤلاء المعاصرين للرسول عم من قريش واباءهم بالمد في العمر و
النعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح
على انه تع اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة
في تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين
ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والايات
ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون
زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا
القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول عم وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف
عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي
فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة
روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية
لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك
انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها
وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يتدبروا امر النبوة

التي هي اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة تقتضي ان يكون حلالها
وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا
بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل
بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك
نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض
لهم علينا في ذلك ولا تصرف فكيف يكون التصرف فيما هو اعلى منه
ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام
الدنيا والعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم
الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج
عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من
لمن بدل الاشتمال او علة له كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو سقفا على التوحيد اكتفاء بجمع البيوت وقرئ
سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا بفتحتين وهو لغة في سقف
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا من فضة
وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان
نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي
وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا واشعار بما

لاجله لو جعلنا ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه
تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من
الآفات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن يتعامى ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه
في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره
آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من
موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما
وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي
ان يرفع نقيض وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي
من حقه ان يسبل وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان
المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلثة الاول له والباقيان
للشيطان حتى اذا جاءنا اي العاشي وقرأ الحجازيان وابن عامر
وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي للشيطان
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق والمغرب فغلب
المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن
ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم
انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم
ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه
ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب
كما ينفع الواقعين في امر صعب معاونتهم في تحمل اعبائه وتقسمهم
لمكابدة وعنائه اذ لكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوي الاول

افانت

افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجب من ان يكون هو الذي
يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال
بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب
نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان في
ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان
الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك
قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في
استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون بعذاب الدنيا والاخرة
او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب
وقرأ يعقوب برواية رويس او نرينك باسكان النون وكذا نذهبن
فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك
من الآيات والشرائع وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك
على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك
وسوف تسألون اي عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه واسأل
من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم وعلماء دينهم
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان
وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء
على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى
له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد
ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول
رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم

لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة
موسى عم الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
فاجاؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما راوها ولم
يتاملوا فيها وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة
اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس
اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رايت رجالا بعضهم
افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم
التي يسري بها الساري او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة
على غيرها بذلك واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم
يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك
في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم كانوا يسمون
العالم الباهر ساحرا وقرا ابن عامر بضم الهاء ادع لنا ربك اي تدعو لنا
فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة او من ان
يستجيب دعوتك او ان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد
عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون اي بشرط
ان تدعو لنا فيكشف عنا العذاب فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم
ينكثون فاجاؤا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه
في قومه في مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن
بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل
ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
تجري من تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما

عاطفة لهذه الانهار على ملك وتجري حال منها او واو حال وهذه
مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا
خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير
لا يستعد للرياسة من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به
من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير
اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب
والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي
عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا
اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب و
اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير
وقد قرئ به وقرا يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ
اساور جمع اسورة والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل
وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه او
يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
فاستخف قومه وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم
فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا
ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط في العناد والعصيان
منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعين في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار
يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف
كخدم وخادم وقرا حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف

كرغيف أو سالف كصبر أو سلف كخشب وقرئ سُلُفاً بإبدال الضم
اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة سلفت ومثلاً للآخرين
وعظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم
مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلاً أي ضربه ابن الزبعرى
لما جادل رسول الله في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم أو غيره بأن قال النصارى أهل كتاب وهم يعبدون عيسى عم
ويزعمون أنه ابن الله والملائكة أولى بذلك أو على قوله تعالى واسأل
من أرسلنا من قبلك من رسلنا أو أن محمداً يريد أن نعبده كما عبد
المسيح إذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدّون يضجّون
فرحاً لظنهم أن الرسول عم صار ملزماً به وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
بالضم من الصدود أي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان
نحو يعكف ويعكُف وقالوا أآلهتنا خير أم هو أي آلهتنا خير عندك
أم عيسى عم فإن كان في النار فليكن آلهتنا معه أو آلهتنا أولى به
أو آلهتنا الملائكة خير أم عيسى عم فإذا جاز أن يعبد ويكون ابن الله
كانت آلهتنا أولى بذلك أو آلهتنا خير أم محمد عم فنعبده وندع آلهتنا
وقرأ الكوفيون أآلهتنا بتحقيق الهمزتين والألف بعدهما ما ضربوه
لك إلا جدلاً ما ضربوا هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة لا لتمييز
الحق عن الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج
إن هو إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل
أمراً عجيباً كالمثل السائر لبني إسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك
الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى عم

من غير اب

من غير أب أو لجعلنا بدلكم ملائكة في الأرض يخلفون ملائكة يخلفونكم
في الأرض والمعنى أن حال عيسى عم وإن كانت عجيبة فالله تعالى قادر
على ما هو أعجب من ذلك وأن الملائكة مثلكم من حيث إنها ذوات
ممكنة يحتمل خلقها توليداً كما جاز خلقها إبداعاً فمن أين لهم الاستحقاق
الألوهية والانتساب إلى الله سبحانه وإنه وإن عيسى لعلم للساعة
لأن حدوثه أو نزوله من أشراط الساعة يعلم به دنوها أو لأن إحياءه
الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لَعَلَم أي علامة وكذلك على تسمية
ما يذكر به ذكراً وفي الحديث ينزل عيسى عم على ثنية بالأرض المقدسة
يقال لها أفيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه
على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن
فإن فيه الإعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا
تشكن واتبعون واتبعوا هداي أو شرعي أو رسولي وقيل هو قول
الرسول أمر أن يقوله هذا هذا الذي أدعوكم إليه صراط مستقيم
لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة إنه لكم عدو مبين
ثابت عداوته بأن أخرجكم عن الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى
بالبينات بالمعجزات أو بآيات الإنجيل أو بالشرائع الواضحات قال
قد جئتكم بالحكمة بالإنجيل أو بالشريعة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون
فيه وهو ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق بأمر الدنيا فإن الأنبياء لم تبعث
لبيانه ولذلك قال عم أنتم أعلم بأمر دنياكم فاتقوا الله وأطيعون

فيما أبلغه عنه إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما أمرهم بالطاعة فيه
وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الإشارة
إلى مجموع الأمرين وهو تتمة كلام عيسى عم أو استئناف من الله يدل
على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف الأحزاب الفرق المتحزبة
من بينهم من بين النصارى أو اليهود والنصارى من بين قومه المبعوث إليهم
فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم أليم هو القيامة
هل ينظرون إلا الساعة الضمير لقريش أو للذين ظلموا أن تأتيهم
بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون إلا إتيان الساعة بغتة فجأة
وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بأمور الدنيا وإنكارهم
لها الأخلاء الأحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو أي يتعادون
يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب إلا
المتقين فإن خلتهم لما كانت في الله تبقى نافعة أبد الآباد يا عبادي
لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون
المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا
مسلمين حال من الواو أي الذين آمنوا مخلصين غير أن هذه العبارة
آكد وأبلغ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوههم أو تزينون من
الحبر وهو حسن الوجه والهيئة أو تكرمون إكراما يبالغ فيه والحبرة
المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب
الصحاف جمع صحفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها
وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص ما تشتهيه

على الأصل وتلذ الأعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد
من الزوائد في التنعم والتلذذ وأنتم فيها خالدون فإن كل نعيم زائل موجب
لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك
الجنة التي أورثتموها وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لأنه
يخلف عليه العامل وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة
خبرها والتي أورثتموها صفتها أو الجنة صفة تلك والتي خبرها أو
صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه يتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها
ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره
في القرآن وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من
الشدة والفاقة إن المجرمين الكاملين في الإجرام وهم الكفار
لأنه جعل قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب
جهنم خالدون خبران أو خالدون والظرف متعلق به لا يفتر عنهم
لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى إذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك
وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله إشعار بأنهم
لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا
فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربك أن يقضي علينا من قضى
عليه إذا أماته وهو لا ينافي إبلاسهم فإنه جؤار وتمني للموت من
فرط الشدة قال إنكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا بغيره لقد جئناكم

بالحق بالإرسال والإنزال وهو تتمة الجواب إن كان في قال ضمير الله
والأجوبة منه وكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن أكثركم
للحق كارهون لما في اتباعه من إتعاب النفس وإدآب الجوارح أم أبرموا
أمرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهته فإنا مبرمون أمرا
في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للإشعار بأن ذلك أسوأ من كراهتهم
أو أم أحكم المشركون أمرا من كيدهم بالرسول فإنا مبرمون كيدنا بهم
ويؤيده قوله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك
ونجويهم وتناجيهم بلى نسمعهما ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم
ملازمون لهم يكتبون ذلك قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين
منكم فإن النبي عم يكون أعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح وأولى بتعظيم ما يوجب
تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة
الولد وعبادته له إذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على أبلغ
الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا غير أن لو ثمه مشعرة
بانتفاء الطرفين وإن هنا لا يشعر به ولا بنقيضه فإنها مجرد
الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة
على أن إنكاره للولد ليس بعناد ومراء بل لو كان لكان أولى الناس
بالاعتراف به وقيل معناه إن كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين
لله الموحدين له أو الآنفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد
إذا اشتد أنفه أو ما كان له ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة
وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان رب السموات والأرض
رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فإن هذه الأجسام لكونها

اصولا

أصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الأجسام من
توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون أي القيامة
وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع هوى وأنهم مطبوع على
قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله
مستحق لأن يعبد فيهما والظرف متعلق به لأنه بمعنى المعبود أو متضمن
معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ
محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله
خبر إله لأنه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر لأنه مبتدأ محذوف
يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه في السماء بمعنى الألوهية
دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه
باستحقاق الألوهية وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك
السموات والأرض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة العلم
بالساعة التي تقوم القيامة فيها وإليه ترجعون للجزاء وقرأ نافع وابن
عامر وأبو عمرو وحمزة وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم
عند الله إلا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل إن
أريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح
فيه ومنفصل إن خص بالأصنام ولئن سألتهم من خلقهم سألت
العابدين أو المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره
فأنى يؤفكون يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره وقيله وقول الرسول

ونصب للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى قال
قيل وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتداء
خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة
بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضمار
او مرفوع بتنوين وقيله يا رب قسمي وان هؤلاء جوابه فاصفح
عنهم فاعرض عن دعوتهم ايسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم و
متاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر
بالتاء على انه من المامور بقوله عن النبي عم من قرأ سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون

سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشف العذاب الاية وهي سبع او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين القرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها
والا فلقسم والجواب قوله انا انزلناه في ليلة مباركة في ليلة القدر
او البراءة ابتداء فيها انزاله او انزل فيها جملة واحدة الى السماء الدنيا
ثم انزل على الرسول نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب
للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة
الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف
يبين المقتضي للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان
كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يستدعي ان ينزل
فيها القرآن الذي هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة
وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها بقوله

تنزل

تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد
ويفرق كل اى يفرقه الله ونفرقه بالنون امرا من عندنا اى اعني
بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم
للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن في حكيم
لانه موصوف وان يكون المراد به مقابل النهي وقع مصدرا
ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احدى
ضميري انزلناه بمعنى آمرين او مامورا انا كنا مرسلين رحمة من
ربك بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرآن لان من عادتنا
ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع
الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه
اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به
اى يفصل فيها كل امر او يصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا
ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها
وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك
رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم
وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه
صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف
وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى ان كنتم
من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين اى في اقراركم اذا
سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم
مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه

يحيي ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الأولين وقرئ بالجر بدلا بل هم في شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلب وعظامها وإسناد الإتيان إلى السماء لأن ذلك بكفه عن الأمطار أو يوم ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة لما روي أنه عم لما قال أول الآيات الدخان ونزول عيسى عم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله عم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره أو يوم القيامة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وإنا مؤمنون وعد بالإيمان إن كشف العذاب أنى لهم الذكرى من أين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو أعظم منها في إيجاب الادكار من الآيات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون إنه مجنون إنا كاشفوا العذاب بدعاء النبي عم فإنه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا أو زمانا قليلا وهو ما بقي من أعمارهم إنكم عائدون إلى الكفر غب الكشف ومن

فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد الأربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيامة أوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيامة أو يوم بدر ظرف لفعل دل عليه إنا منتقمون لا لمنتقمون فإن إن تحجزه عنه أو بدل من يوم تأتي وقرئ نبطش أي نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم أو نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بإرسال موسى إليهم أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد أو لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله أو على المؤمنين أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه أن أدوا إلي عباد الله بأن أدوهم إلي وأرسلوهم معي أو بأن أدوا إلي حق الله من الإيمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز أن يكون أن مخففة أو مفسرة لأن مجيء الرسول يكون برسالة ودعوة إني لكم رسول أمين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه أو لائتمان الله إياه على وحيه وهو علة الأمر وأن لا تعلوا على الله ولا تتكبروا عليه بالإهانة بوحيه ورسوله وأن كالأولى في وجهيها إني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الأمين مع الأداء والسلطان مع العلاء شأن لا يخفى وإني عذت بربي وربكم التجأت إليه وتوكلت عليه أن ترجمون أن تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلوني وقرئ عت بالإدغام وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي ولا تتعرضوا إلي بسوء فإنه ليس جزاء من دعاكم إلى ما فيه فلاحكم

فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون هو تعريض
بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر
على اضمار القول فاسر بعبادي ليلا اى فقال اسر او قال ان كان الامر
كذلك فاسر وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون
وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة
واسعة او ساكنا على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك
ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح
بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين
متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها
او الامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا
قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم
لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن
عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت
عليه السماء وكسفت لمهلكه الشمس في نقيض ذلك ومنه
ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته
ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقدير فما بكت عليهم
اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى
وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد
فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف
او جعله عذابا لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا

من جهته

من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ما كان عليه
من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو والشرارة
وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اى كان
رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم
عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال
على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم من الآيات
كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين
نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار
على الضلالة والانذار عن مثل ما حل بهم ليقولون ان هي الا موتتنا
الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة المزيلة للحيوة الدنيوية
ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات
وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة
كذلك قالوا ان هي الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التي من شانها ذلك
الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بآبائنا خطاب
لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين في وعدكم
ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي
سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا
وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عم ما ادري اكان تبع
نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل
للملوك الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم

اشياعه بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال
باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم كانوا مجرمين
بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل
على صحة البعث كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا
بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث
والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم ان يوم الفصل فصل
الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه
واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب
على انه الاسم اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل
من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له
للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا
من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام
الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل
من الواو او النصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد
تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر
الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام
والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل
في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت يغلي في البطون وقرأ
ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا
للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه

خذوه

خذوه على ارادة القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه و
والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن
عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا
فوق رأسه من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم
فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب
الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا
النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء
به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك
او عذاب انك ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون
وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة امين يأمن صاحبه
عن الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جيء به للدلالة
على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون
من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف
والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او
مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض
كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين
قرناهم بهن ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء
عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرهن يدعون
فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من
الفواكه لا يختص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر
لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما

والاستثناء منقطع او متصل والضمير للاخرة والموت اول احوالها
او للجنة والمؤمن يشارف فيها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها
او الهناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون
فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقيهم
عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا
كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك تفضيل ذلك هو
الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه
بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم
يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به لما لم يتذكروه فارتقب
فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي عم
من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية مكية
وهي سبع او ست وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت
الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل
مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب
صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لايات للمؤمنين
وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات
لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور
بل عطفه على المضاف اليه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه
لما يتم به معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار ايات
لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب

بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله
من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به
الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها
واحوالها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح ايات لقوم يعقلون
فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في والابتداء او ان الا
ان تضمر في او ينصب ايات على الاختصاص او ترفع باضمار هي ولعل
اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الايات في الدقة والظهور
تلك ايات الله اي تلك الايات دلائله نتلوها عليك حال عاملها
معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي حديث بعد الله
واياته يؤمنون اي بعد ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم
كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله تع
الله نزل احسن الحديث واياته دلائله المتلوة او القرآن والعطف
لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون
بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثام يسمع
ايات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان
بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الايات كقوله يرى
غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه فخففت
وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع
فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم
واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه شيء وعلم انه منها اتخذها هزوا
لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لايات وفائدته الاشعار

بالله اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى الاستهزاء
بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية اولئك
لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون
اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا
من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله
اولياء اى الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة
الى القرآن ويدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من
رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد
العذاب الله الذى سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه
ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجرى الفلك فيه بامره
بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص
والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما فى السموات
وما فى الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اى سخر هذه
الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هى جميعا منه او لما فى السموات
وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما فى الارض وقرئ منة على المفعول له
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازى او خبر محذوف ان فى
ذلك لآيات لقوم يتفكرون فى صنائعه قل للذين آمنوا يغفروا حذف
المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا
اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون
وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون
الاوقات التى وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها

والآية نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه غفارى فهم ان يبطش به
وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزى قوما بما كانوا يكسبون علة
للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير
للتعظيم او للتحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما
يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى بالنون وقرئ ليجزى
قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعنى ما يجزى به
لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل
صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه
ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بنى اسرائيل
الكتاب التوراة والحكم والحكمة النظرية او العملية او فصل الخصومات
والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر فى غيرهم ورزقناهم من
الطيبات مما احل الله به من اللذائذ وفضلناهم على العالمين
حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم وآتيناهم بينات من الامر
ادلة فى امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبى
عم مبينة لصدقه فما اختلفوا فى ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم
العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضى
بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة
ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر من امر الدين فاتبعها
فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له
ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك

وارتفاع محياهم ومماتهم على الفاعلية ... المحسنين والمسيئين ليسا سواء بين محياهما ومماتهما لأن المحسنين عاشوا على القيام بالطاعات والمسيئين على ركوب المعاصي وماتت هؤلاء على البشرى بالرحمة من الله والوصول إلى ثوابه وأولئك ماتوا على اليأس من رحمة الله والوصول إلى أشد العذاب

وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم
باتباع أهوائهم وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ فواله بالتقى واتباع الشريعة
هَٰذَا أي القرآن أو اتباع الشريعة بَصَائِرُ لِلنَّاسِ بينات تبصرهم
وجه الفلاح وَهُدًى من الضلالة وَرَحْمَةٌ ونعمة من الله لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ يطلبون اليقين أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أم
منقطعة ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان والاجتراح الاكتساب
ومنه الجارحة أَنْ نَجْعَلَهُمْ أن نصيرهم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ بدل
منه إن كان الضمير للموصول الأول لأن المماثلة فيه إذ المعنى إنكار أن
يكون حيوتهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين
ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل
أو الحال من الضمير في الكاف أو المفعولية والكاف حال وإن كان للثاني
فحال منه أو استئناف يبين المقتضي للإنكار وإن كان لهما فبدل أو
حال من الثاني وضمير الأول والمعنى إنكار أن يستووا بعد الممات
في الكرامة أو ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة في الحيوة
أو استئناف مقرر لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال
وقرئ مماتهم بالنصب على أن محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ساء حكمهم هذا أو بئس شيئا حكموا به ذلك وَخَلَقَ
اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ كأنه دليل على الحكم السابق من حيث
إن خلق ذلك بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم
والتفاوت بين المسيء والمحسن وإذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات

قوله كأنه دليل على الحكم السابق وهو أن الذين اجترحوا السيئات لا يساوي المؤمنين الصالحين بعد الممات وتقريره أن الحق الشيء الثابت الذي يقتضيه الدليل ويثبت به وجود الصانع الحكيم ووحدته ووجوب طاعته وشكر إحسانه وحرمة مخالفته وعصيانه فالله تعالى لما خلق السموات والأرض بسبب الحق ولأجل ظهوره ومن جملة الحق حكمته وعدله استدعى ذلك الانتقام من الظالم لأجل المظلوم والتفاوت بين المسيء والمحسن وذلك يستدعي أن يحشر الخلائق ويحاسبوا ويجزى كل نفس بما عملت

ولتجزى

ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه فى معنى العلة او على علة
محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عذاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن
منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت
من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه
يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده
فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله
وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالى بالمواعظ ولا
يتفكر فى الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار
والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة فمن يهديه من بعد الله بعد
اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هى ما الحيوة او الحال
الا حيوتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيى اى نكون امواتا نطفا
وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او
يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس
وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر
عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو فى الاصل
مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعنى نسبة
الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار
البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه
بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان

حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم
او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم
حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت
عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء
قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا
والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن
الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء
ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما
يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها
ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى ويخسر يوم
تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة
وهي الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اى جالسة
على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة
اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او
مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا
كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا
فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة و
نقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من
جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما

الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اى فيقال لهم الم يأتكم آياتي
تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء
بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم
الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن
هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ
حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري ما الساعة اى شيء الساعة
استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرف النفي و
الاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن
ظنا او لنفي ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن
بمستيقنين اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا
من آبائهم وما تليت عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم
ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا
وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو
الجزاء وقيل اليوم ننساكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم
لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء
الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم
بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة
سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء
وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم
اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض

رب العالمين اذ الكل نعمة منه دال على كمال قدرته وله الكبرياء
في السموات والارض اذ ظهر فيهما آثارها وهو العزيز الذي لا
يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له
عن النبي عم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته
يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة و
المعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازات
على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه الكل
وهو يوم القيامة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له
والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان يكون
ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون لحلوله
قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض
ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل
فيها هل يعقل ان يكون لها في انفسها مدخل في خلق شيء من اجزاء
العالم فتستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز
عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني
بكتاب من قبل هذا من هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد
او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل
فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين

في دعواكم

في دعواكم وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد
الزامهم بعدم ما يقتضيه عقلا وقرئ اثرة بالكسر اي مناظرة فان
المناظرة تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات
الثلث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر
الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم ما يؤثر
ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان
يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب
القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم لو سمع دعاءهم
فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيامة ما
دامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما
عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا
لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين
مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله
والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد به
الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع
الضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك
في الضلالة لما جاءهم حين ما جاءهم من غير نظر وتأمل هذا
سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتراه اضراب عن ذكر
تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب
قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله

بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه
واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم
هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به
شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب
والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد
لهم بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع
عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم
الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان
بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال
على انه كقيم او مقدر بمضاف اي ذا بدع وما ادري ما يفعل بي ولا
بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لي بالغيب ولا لتاكيد النفي المشتمل
على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة
وقرئ يفعل اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا اتجاوزه
وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب
او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير
من عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات
المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به اي
وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو
في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطف بما عطف
عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل موسى
وشهادته ما في التوراة من نعت الرسول على مثله مثل القرآن

وهو ما في التوراة من المعاني المصدقة للقرآن المطابقة له او
مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اي بالقرآن لما رآه من جنس
الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم
الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن
ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لاجلهم لو كان خيرا الايمان او ما اتى به محمد
عم ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم الفقراء والموالي والرعاة
وانما قاله قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم
جهينة ومزينة واسلم وغفار او اليهود حين اسلم ابن سلام
واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم
وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير
الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى
ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب
موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب
في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها
الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتوراة كما دل على انه
حق دل على انه وحي وتوفيق من الله وقيل مفعول مصدق اي
يصدق ذا لسان عربي باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه
ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع
وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين
عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين

التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في الامور التي هي
منتهى العمل وثم للدلالة على تاخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على
التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية و
العملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر لفعل
دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وقرا الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اي ايصاء حسنا
حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره
وهو المشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان
كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله
ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب
وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك
عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر
ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام
في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة
الحمل ستة اشهر لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين
كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل
تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط
حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم
قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين

قوله وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما فان من ولدت لستة اشهر من وقت التزوج
يثبت نسب ولدها ومن مص ثدي امراة في اثناء حولين من مدة ولادته تكون المرضعة ...

قال رب

قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا وقرا البزي
بفتح الياء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين
او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر لانه لم يكن
احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا
ترضاه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء
الله واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح في ذريتي راسخا فيه
ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او
يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ونتجاوز
عن سيئاتهم لتوبتهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما
في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم
وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا
يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدا خبره اولئك
والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن ابن ابي بكر قبل
اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراءات
ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرا هشام
اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع
واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسألانه
ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك امن اي يقولان له ويلك وهو
دعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول
ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم

القول بانهما اهل النار ويويده النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه
من اهل الجنة وقد جب عنه ان كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم
كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين
تعليل للحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب
من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة
في المثوبات وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها
وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهم
لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا على النار
يعذبون بها وقيل يعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة
على الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرا ابن
كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرا بهمزة ممدودة
وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا
باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء فاليوم تجزون عذاب
الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم
تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله تع وقرئ
تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف
الشيء اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر
من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود
وبعده والجملة حال او اعتراض ان لا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف
عليكم

عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا
لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك
ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لي بوقت
عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم في
وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به وما على الرسول الا البلاغ
ولكني اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين
لا معذبين مقترحين فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق من
السماء مستقبل اوديتهم متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية
وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي ياتينا بالمطر بل هو اي
قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هي ريح
ويجوز ان يكون بدلا من ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر
تهلك كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا يوجد نابضة
حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئة الله وفي ذكر الامر والرب
واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل
شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا والهاء في
ربها ويحتمل ان يكون للريح فالدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا
لا يتقدم ولا يتاخر ويكون الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا
لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث
لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة والكسائي
لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم
المجرمين روي ان هودا لما احس الريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة

فجاءت الريح فأمالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع
ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم في البحر
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هاهنا لانها
توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة
الجواب والتقدير ولقد مكناهم في الذي او في شيء ان مكناكم فيه كان
بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجى المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه
الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم
واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا
تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى
عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء من الاغناء
وهو القليل اذ كانوا يجحدون بايات الله صلة لما اغنى وهو ظرف
جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه العذاب
وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ولقد
اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط
وصرفنا الايات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة فهلا منعتهم
من الهلاك الهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى
الموصول محذوف وثانيهما قربانا والهة بدل او عطف بيان او
الهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا
بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم

امتناع

امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا
اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي
جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الآفك اي ذو الافك وما كانوا
يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون
العشرة وجمعه انفار يستمعون القران حال محمولة على المعنى فلما
حضروه اي القران او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض
اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل
وضميره للرسول ولوا الى قومهم منذرين اي منذرين اياهم بما
سمعوا روي انهم وافوا رسول الله عم بوادي النخلة عند منصرفه
من الطائف يقرأ في تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى لما بين قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا
بامر عيسى عم مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى
طريق مستقيم من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر
لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله فان المظالم
لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم وهو معد للكفار واحتج ابو حنيفة
باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم
في توابع التكليف كبني ادم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض
اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك
في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان
الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب
ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد

بقادر على ان يحيي الموتى اى قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء
مزيدة لتاكيد النفى فانه مشتمل على ان وما فى حيزها ولذلك اجاب عنه
بقوله بلى انه على كل شىء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون
كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد
ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب
بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم فى الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة
والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل اولو الثبات والجد
منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولو العزم اصحاب
الشرائع اجتهدوا فى تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
وقيل الصابرون على بلاء الله تع كنوح صبر على اذى قومه كانوا
يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح
على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى
سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم فى وقته لا محالة
كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من
هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذى وعظتم
به او هذه السورة بلاغ اى كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه
قرئ بلغ وقيل مبتداء خبره لهم وما بينهما اعتراض اى لهم وقت يبلغو

اليه

اليه كانهم اذا بلغوه وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ والطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي عم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا سورة محمد عم ويسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية وآيها تسع او ثمان وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش او المصرين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وحقيقته بكونه ناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم

حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والضلال لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التاكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدى كعصا حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اي ينقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم

ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او للمن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عم ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستيصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل يضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا في الدنيا اليها فعملوا ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه مذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا او مفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف

الى الف لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص ونص بسببية
الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم
الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استاصل عليهم ما اختص
بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع
المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير
يدل عليها او السنة لقوله تع سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله
مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم
فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله تع ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون
بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة
والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من
قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه
والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم
يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من
عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن
زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك
لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما
قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار
وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل

قوله والاخراج باعتبار السبب يعني اسند الاخراج الى اهل مكة مع انهم لم يخرجوه حقيقة باعتبار كونهم سببا لخروجه عليه السلام حيث مكروا به في دار الندوة ...

جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء
بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة و
التابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول
خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار
او بدل من قوله كمن زين له وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به
من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء
غير آسن استئناف بشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر
لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على
معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم
يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة
لا يكون فيها غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تانيث لذ او
مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار
والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع
وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة
في الجنة بانواع ما يستلذ بها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها و
ينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم
فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف
على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو
خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من
فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني
المنافقين كانوا يحضرون مجلس رسول الله عم ويسمعون كلامه

قوله صنف على هذا القياس اشارة الى ان قوله من كل الثمرات صفة لمبتدأ مقدر وخبره قوله لهم فيها متعلق بما تعلق به لهم اي صنف كاين من كل الثمرات حاصل لهم فيها على القياس المذكور في الاشربة من كونها مجردة عما ينقصها وينغصها وموصوفة بما يوجب غزارتها واستمرارها

من الصحابة كعبد الله بن مسعود استهزاء

فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اى لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا اى ما الذى قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وآنفا من قولهم انف الشىء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ انفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤا وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول عم وآتيهم تقويهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقويهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتيهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم والمعنى ان تأتيهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كبعث النبى عم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكريهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما بترك الاولى والله يعلم متقلبكم

قوله فان الذنب علة لكون الذنوب جنسا آخر اى فان الذنب المذكور بقوله لذنبك المراد به ترك الافضل بالنسبة [illegible]

اى انتقالكم فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا للمعاد لكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اى هلا نزلت سورة فى امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اى الامر به رأيت الذين فى قلوبهم مرض ضعف فى الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولى وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف اى امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد والايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور والمقاتلة مع الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع او لكم

اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم
الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون
سبيله افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى ام على قلوب اقفالها لا يصل
اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار
بانها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها
مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة
لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على
المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر
من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة
الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو
الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه
ان السول مهموز قلبت همزته واوا لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل
ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف
اى كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم فى الآمال والامانى
او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملى
لهم اى وانا املى لهم فتكون الواو للحال او للاستئناف وقرا ابو عمرو
واملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اى قال اليهود الذين
كفروا بالنبى عم بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون

لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى بعض الامر فى بعض اموركم
او بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج
معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها
قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائى وحفص
اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون و
يحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف
احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم
بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له ذلك اشارة الى التوفى
الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت
الرسول وعصيان الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان
والجهاد وغيرهما من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك ام حسب الذين
فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله عم
والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم
بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامات
نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف ولتعرفنهم
فى لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته
الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل
بالكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب
قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر
التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها
ونبلوا اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها

او اخبادها عن ايمانهم وهو الا انهم المؤمنين في صدقها وكذبها وقراء
ابو بكر الافعال الثلثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب ونبلو
بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة
والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم
او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه و
تفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك
او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم
ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر
والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على
احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم
ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان
صح نزوله في اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر
لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا
الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان
وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين
وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن
يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او
حميم فافردته من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده منه انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم

اجوركم

اجوركم ثواب ايمانكم وتقويكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل
يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسألكموها فيحفكم
فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال
احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم
ويضغنكم على رسول الله عم والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده القراءة
بالنون او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالياء والتاء ورفع
اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله
تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه
بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل ناس
يبخلون وهو كالدليل على الاية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
فانه نفع الانفاق وضر البخل عائدان اليه والبخل يتعدى بعن وعلى
لتضمنه معنى الامساك والتعدي فانه امساك عن مستحق والله الغني
وانتم الفقراء فيما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم فلكم وان
توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل قوما غيركم
يقوم مقامكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم بالتولي والزهد عن الايمان
وهم الفرس لانه سئل عنه رسول الله عم وكان سلمان الى جنبه
فضرب فخذه فقال هذا وقومه او الانصار او اليمن او الملائكة
عن النبي عم من قرأ سورة محمد عم كان حقا على الله ان يسقيه
من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وتسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد بفتح مكة والتعبير عنه بالماضي

لتحققه او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر او فدك او اخبار عن صلح الحديبية وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره عم على المشركين حتى سالوا الصلح وتسبب بفتح مكة وفرغ به رسول الله لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في الحديبية اية عظيمة وهي انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرفت كونه فتحا للرسول عم في سورة الروم وقيل بمعنى القضاء اى قضينا لك ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب عن الجهاد مع الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تاخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف به مبالغة هو الذى انزل السكينة الثبات والطمانينة في قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء به الرسول عم ليزدادوا ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات

والارض

والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها ويدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعلته بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسول الله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الاخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا

على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله
ورسوله الخطاب للنبي عم وامته او لهم على ان خطابه منزلة
خطابهم وتعزروه وتقوّوه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه
وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا غدوة
او عشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء
وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها
وتعززوه وتوقروه من اوقر بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله لانه المقصود ببيعتهم يد الله فوق ايديهم
حال او استئناف مؤكد له على التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث
على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى وفى في مبايعته
بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ
حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح
فسنؤتيه بالنون والاية نزلت في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون
من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول
الله عم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم
وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف عن مقاتلة قريش
ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم
وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك
لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما
يضركم من القتل والهزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة على التخلف

وقرأ

نفعا
وقرأ حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض
بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان ظننتم ان
المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات
كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين
ذلك في قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان
وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو
وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما
بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن
بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع
الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر
وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها
نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره
كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان
الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل
تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي
على غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم
لتاخذوها يعني مغانم خيبر فانه عم رجع من الحديبية في ذي الحجة
من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر
بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا
نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل

لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن
تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في
الجملة المفيدة وقرا حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن
تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج
الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ
بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون
حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك
واثبات جهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم
بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم
اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله
عم او المشركين فانه تع قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد
الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قراءة او يسلموا
ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي
بكر اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون
ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم
من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف
نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم عن الوعيد ومن يطع

الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد
واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير
على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب
ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه
بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
روي انه عم لما نزل الحديبية بعث جواس ابن امية الخزاعي
الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن
عفان فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله عم اصحابه وكانوا
الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا
قريشا ولا يفروا عنه وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم
ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة وسكون
النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب
انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم
خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله
مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل
لكم هذه مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم ايدي اهل خيبر وحلفائهم
من بني اسد وغطفان او ايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة
او الغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان
او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه عن الحديبية او وعد
المغانم او عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف او عجل
مثل لتسلموا او لتاخذوا او العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا

مستقيما هو الثقة والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة
على هذه او منصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل
رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا
عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم
بها وهي مغانم هوازن او فارس وكان الله على كل شيء قديرا لان
قدرته لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل
مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا
يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي
سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال لاغلبن
انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم
عنكم ايدي كفار اهل مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد
ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة ابن ابي جهل خرج
في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله عم خالد بن الوليد على
جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان ذلك
يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف
اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا
طاعة لرسول الله عم وكفهم ثانيا لتعظيم بيته بصيرا فيجازيهم
عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا
ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي ما يهدى
الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي
يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي

لا يجوز

لا يجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول عم حيث احصر
فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولو
لا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم
وتبيدوهم قال ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم
وقال ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بطائف وكان
آخر غزاة النبي عم واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال
او نساء او من ضمير هم في لم تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم
معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم
وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره
اذا عراه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم
غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى
لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم
فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته
علة لما دل عليه كف الايدي من اهل مكة صونا لما فيها من المؤمنين
اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير والاسلام
من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا اي لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا
منهم عذابا اليما بالقتل والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر
او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية
التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين

فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روى انه عم لما همّ
بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن
حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان تخلى له قريش مكة
من القابل ثلثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عم لعلى
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك
اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله عم اهل مكة
فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قتلناك
اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عم اكتب
ما يريدون فهمّ المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم فانزل
الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلّموا والزمهم كلمة التقوى
كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها
لهم او الثبات والوفاء بالعهود واضافة الكلمة الى التقوى
لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرها واهلها
والمستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره
له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى محمد عم انه واصحابه
دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه
ففرحوا وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم
والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى
صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما رآه كائن لا محالة
في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة
مصدر محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى المميز

و

بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله
تع او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جواب له
وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة
بالمشية تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او
غيبة او حكاية لما قال لهم ملك الرؤيا او النبي عم لاصحابه
آمنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين
اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او
استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة
في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد او فتح
مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين
٨ الى ان يتيسر الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام
ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان
حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله
اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده
من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته
٨ باظهار المعجزة محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز
ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه
معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء واشداء جمع شديد
ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم
ويتراحمون فيما بينهم لقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم

و

قوله ومن اثر السجود بيانها يعني ان السيما هي العلامة مطلقا والمراد بها هنا المعنى الخاص وهو الاثر الذي يورثه السجود
فلذلك فسرت وبينت بقوله من اثر السجود فهو صفة موضحة لها

ومن اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور في

تريهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضاء سيماهم في
وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي تحدث في جباههم
من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئ ممدودة او
اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة
الشان المذكورة فيها ومثلهم في الانجيل عطف عليها اي ذلك مثلهم
في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير او مثلهم في الانجيل
مبتداء وكزرع خبره اخرج شطاه فراخه يقال اشطاء الزرع
اذا افرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر شطاه بفتحات وهو لغة فيه
وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة
الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فازره فقواه من الموازرة
بمعنى المعاونة او من الايزاد وهي الاعانة وقرأ ابن عامر فازره كاجر
في اجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه
فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع
بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى
للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم
بحيث اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع
في زكائه واستحكامه او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك
ومنهم للبيان عن النبي عم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد
مع محمد عم فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا فحذف المحذوف
ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او تترك لان المقصود نفي التقديم رأسا
او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب
لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار
مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه
والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول
الله عم وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب
اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم
عليم بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي اي اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل
اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة
للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم
بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء
مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ والدلالة على استقلال
المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان
تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل
باعتبار التأدية لان في الجهر والرفع استخفافا قد يؤدي الى الكفر
المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة
وقد روي ان ثابت ابن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا
فلما نزلت تخلف عن رسول الله فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله عم

انزلت اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون
عملي قد حبط فقال عم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين
يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب
او مخافة عن مخالفة النهي وقيل كان ابو بكر وعمر بعد ذلك كانا
يسرانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى جربها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها
فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل
باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها
للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه
لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم
والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او استئناف لبيان ما هو جزاء
الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين
والمبتدا اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول
بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم
والارتضاء له وتعريضا لشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب
لهما على خلافه ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من
خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشات
من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة
اذ لا بد وان يختلف المبتدا والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح

الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة
بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة فعلة بمعنى مفعول كالغرفة
والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عم وفيها كناية
عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة
حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين
له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن
حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله في سبعين رجلا
من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا
وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه
وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب
ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى
تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان
وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت
ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون
مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول
اكلت السمكة حتى راسها فلا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها
عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا
حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر
خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول
الموجبين للثواب والثناء والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم
وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى

النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء
المسيئين الادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روى انه عم بعث وليد بن
عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا
به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع فقال لرسول الله عم قد ارتدوا
ومنعوا الزكوة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم بعده خالد بن
الوليد فوجدهم منادين للصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات
فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين
على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق
على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد لو وجب تبينه
من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل
وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي
فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة ان تصيبوا
قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين
مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة
دائرة مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احدى ضميري فيكم ولو جعل استئنافا
لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها
وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم
اي لوقعتم في الجهد من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه

بالايقاع

بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك
ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم
على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا
لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون
اي اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوي وكره
يتعدى بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن
معنى التبغيض نزل كره منزلة بغض فعدي الى آخر بالى والكفر
تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان
الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب
وما بينهما اعتراض لا الراشدين فان الفضل فعل الله والرشد
وان كان مسببا من فعله مسندا الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان
التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى
فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله
فان بغت احديهما على الاخرى تعدت على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل
لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين
فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله
وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد

المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين
يحمد فعلهم بحسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج
في عهده عم بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه
اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه
يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما
المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان
الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك
كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر
موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير والتحضيض
وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل
المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم
واتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم
يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر
والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع
او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تع
الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وفرعون
فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع
واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف
بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا

وعسين ان يكن فهو على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب
بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به
فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان
وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا
باللقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق
بعد دخولهم في الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة
الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية نزلت في صفية
بنت حيي بن اخطب اتت رسول الله عم فقالت ان النساء يقلن
لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابي هرون
وعمي موسى وزوجي محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه
وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون
بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها
الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام
الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اي القبيل فان
من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات
وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث
ما يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الامور
المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستانف للامر والاثم الذنب
الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه من الواو كانه يثم الاعمال
اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من

من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس
الذي هو اثر الجس وغايته فلذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله
عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا
يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عم عن الغيبة فقال ان
تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من
عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر
واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة
وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا
وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان
صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته
وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا
الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه
والمبالغة في التواب لانه بليغ في قبول التوبة اذ يجعل صاحبها
كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روي
ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله عم يبغي لهما
اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان
فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول
الله عم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما
تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما يا ايها الناس انا خلقناكم من

ذكر

ذكر وانثى من ادم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل
سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة
المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم
المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر
والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل
فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن
وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء
والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل
الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عم من سره ان
يكون اكرم الناس فليتق الله تع وقال يا ايها الناس انما الناس
رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله
عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني
اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا
يقولون لرسول الله اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما
قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ
الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم
على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن
قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادتين
وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا

ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اي ولكن قولوا اسلمنا ولم تواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم امنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الاية يمنون عليك ان اسلموا يعتدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب

موليها ممن يفعل لها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف من الله وهو انهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة عن قوله سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم بهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف

لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر
موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم
يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه
منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد
لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو
اهون مما يشاهدونه من صنعه أاذا متنا وكنا ترابا اي انرجع
اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد
عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا
ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجسادهم وهو رد لاستبعادهم
بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف
لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء
كلها او محفوظ عن التغير والمراد اما تمثيل علمه بتفصيل الاشياء
بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها بثبوتها
في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة
بالمعجزات او النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم
في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا جرج
وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن
أفلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار
قدرة الله في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها
بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة
الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا

ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع صنعه وهما
علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا عن الافعال الاخير ونزلنا
من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا واثمارا
وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالبر والشعير
والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون
من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها
وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق
بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة
لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة
ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة
يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم
ما قبله وما بعده واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره
واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل
اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه
فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول وتهديد
لهم أفعيينا بالخلق الاول أفعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة
من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم
في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم
في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق

للعبد لتعظيم شأنه وإنه شهادة بأنه على وجه غير معتاد في الأضداد
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه
وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس
الحلي والضمير به لما إن جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا
أو للإنسان إن جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن أقرب إليه
من حبل الوريد أي نحن أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد
تجوز بقرب الذات لقرب العلم لأنه موجبه وحبل الوريد مثل
في القرب قال والموت أدنى لي من الوريد والحبل العرق وإضافته
للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق في مقدمها
متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل سمي وريدا
لأن الروح ترده إذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر أو متعلق
بأقرب أي هو أعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى أي يتلقن الحفيظان
ما يتلفظه به وفيه إيذان بأنه غني عن استحفاظ الملكين فإنه أعلم
منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد
تثبيط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الأعمال وضبطها للجزاء وإلزام
للحجة يوم يقوم الأشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد
أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أي مقاعد كالجليس بمعنى
المجالس فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقوله فإني وقيار
بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة
بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه إلا لديه رقيب
ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب

أو عقاب

أو عقاب وفي الحديث كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا
عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وجاءت
سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وأزاح
ذلك بتحقيق قدرته وعلمه أعلمهم بأنهم يلاقون ذلك عن قريب
عند الموت بالحق وقيام الساعة ونبه على اقترابه بأن عبر عنه
بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية
كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة
الأمر أو الموعود الحق الذي ينبغي أن يكون من الموت أو الجزاء فإن
الإنسان خلق له أو مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق
بالموت على أنها لشدتها اقتضت الزهوق أو لاستعقابها له كأنها
جاءت به أو على أن الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله وإضافتها
إليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك أي الموت ما كنت منه
تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للإنسان ونفخ في الصور يعني
نفخة البعث ذلك يوم الوعيد أي وقت ذلك يوم تحقق الوعيد
وإنجازه والإشارة إلى المصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد ملكان أحدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله أو ملك جامع
للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات
وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل
معها النصب على الحال من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت
في غفلة من هذا على إضمار القول والخطاب لكل نفس إذ ما من أحد إلا

وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء
الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف
بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع
للابصار وقيل الخطاب للنبي صلعم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة
فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم
حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من
كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه الملك الموكل
عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان
الذي قيض له هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي
واضلالي وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة
فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب
من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد
وتثنية الفاعل منزل منزلة تثنية الفعل وتكريره فان تزجراني
يا ابن عفان انزجر وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف
بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه
قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند مناع للخير كثير المنع للمال
عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت
في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك
في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن
معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار
فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال

قرينه اي الشيطان المقيض له وانما استونف كما استونفت الجمل الواقعة
في حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته
كأن الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته بخلاف
الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميها
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان
في ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن
كان مختل الراي مائلا الى الفجور كما قال وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي قال الله لا تختصموا
لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل
الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة
رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهي اي لا تختصموا
عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى
تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله
ما يبدل القول لدي اي بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل
وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل
فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد
فاعذب من ليس لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير
والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا
حتى تمتلئ كقوله لاملأن جهنم او انها من السعة بحيث يدخلها
من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها

عليك من اصابة المكروه وغيره قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر
والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه
بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت
الصلوة اذا انقضت وقرا الحجازيان وحمزة بالكسر وقيل المراد
بالتسبيح الصلوة فالصلوة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر
والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل
بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من
احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم يناد المنادي
اسرافيل او جبرائيل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة
والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء
من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء ولعله في
الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج
يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق
متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزاء ذلك يوم الخروج من
القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي
ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الآخرة يوم تشقق
تتشقق وقرا عاصم وحمزة والكسائي وابو عمرو واهل الكوفة
بتخفيف الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث
وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك
لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شأن عن شأن
كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون

وقف

يعني صلوة الصبح معالم
يعني صلوة الظهر والعصر وروى عن ابن عباس قال قبل الغروب الظهر والعصر معالم
يعني صلوة المغرب والعشاء وقال مجاهد ومن الليل يعني صلوة الليل اي وقت صلى معالم
قرأ اهل الحجاز وحمزة وادبار بكسر الهمزة مصدر ادبر ادبارا وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب والحسن والشعبي والنخعي والاوزاعي ادبار السجود الركعتان بعد صلوة المغرب وادبار النجوم ركعتان قبل صلوة الفجر معالم

تسلية

تسلية لرسول الله وتهديد لهم وما أنت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم
على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وإنما أنت داع فذكر بالقرآن من
يخاف وعيد فإنه لا ينتفع به غيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق
هون الله عليه تارات الموت وسكراته سورة الذاريات مكية و

آيها ستون بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا يعني الرياح التي تذرو التراب وغيره أو النساء
الولود فإنهن تذرين الأولاد أو الأسباب التي تذري الخلائق
من الملائكة وغيرهم وقرأ أبو عمرو وحمزة بإدغام التاء في الذال
فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للأمطار أو الرياح الحاملة
للسحاب أو النساء الحوامل أو أسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية
المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر
سهلا أو الرياح الجارية في مهابها أو الكواكب التي تجري في منازلها
ويسرا صفة مصدر محذوف أي جريا ذا يسر فالمقسمات أمرا
الملائكة التي تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو
ما يعمهم وغيرها من أسباب القسمة أو الرياح تقسم الأمطار بتصريف
السحاب فإن حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الأقسام
بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة وإلا
فالفاء لترتيب الأفعال إذ الريح مثلا تذرو الأبخرة إلى الجو حتى
تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له إلى حيث أمرت به
فتقسم المطر إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع جواب
للقسم كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة

لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة
او مصدرية والدين الجزاء والواقع لحاصل والسماء ذات الحبك
ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب
او المعقولة التي تسلكها النظار ويتوصل بها الى المعارف او النجوم
فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي
جمع حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون
والحبك كالابل والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك
كالبرق انكم لفي قول مختلف في الرسول وهو قولهم تارة انه ساحر
وتارة انه مجنون وتارة انه شاعر او في القرآن او في القيامة او
امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها
وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها
يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول او للقرآن او للايمان
من صرف اذ لا صرف اشد منه فكأنه لا صرف بالنسبة اليه او
يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول
على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله
ينهون عن اكل وعن شرب اي يصدر تناهيهم عنها وعن
سببها وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس وهم قريش كانوا
يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب
القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين
هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسئلون
ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه وقرئ

ايان

ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي
يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون
وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع
ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون
هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا
من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما
آتيهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه ان كل
ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين
قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي يهجعون
في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة
اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان يكون
نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم
واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات
والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم
يستغفرون اي انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا
اخذوا في الاستغفار كأنهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء
الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله
وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم
تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي
والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات

اذا سار دا فيها من الجبال والبحار والاشجار والثمار وانواع النبات معالم

للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه
دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها من الماء واختلاف
اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع
وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته وفي انفسكم
اي وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير
يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية
والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط
الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون
تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره
وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب
الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة
او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستانف
خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما
وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق
والوعيد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم كما انه لا شك لكم
في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق ذلك ونصبه على الحال
من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اي انه لحق
حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن
وهو ما ان كانت بمعنى شيء وان بما في حيزه ان جعلت زائدة و
محله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة والكسائي
وابي بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم

لشان

لشان الحديث وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف في الاصل
مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثني عشر
ملكا وقيل ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم
كانوا في صورة الضيف المكرمين اي مكرمين عند الله او عند
ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث
او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما قال
سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات
حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرا حمزة
والكسائي قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اي
انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم
يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو
كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه
فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف
او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه
اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اي منه وهو مشعر
بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريق الادب
ان قاله اول ما وضعه او للانكار ان قاله حينما راى اعراضهم
فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم من
طعامه لظنه انهم جاؤوه لشر وقيل وقع في نفسه انهم ملائكة
ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبرائيل
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم

وبشروه بغلام هو اسحاق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته
سارة الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة فى صيحة
من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول فاقبلت
باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها
فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها
من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر فكيف الد
قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما نخبرك
به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال
فما خطبكم ايها المرسلون فلما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون
مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم
مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد
السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية
او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين
الحد فى الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها
ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به
على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضى الا
صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضى اتحاد مفهوميهما
لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها
آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها
وهى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفى

موسى

موسى عطف على وفى الارض آيات للموقنين او وتركنا فيها على معنى
وجعلنا فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى
فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى فاعرض
عن الايمان به وناى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده
وهو اسم لما يركن اليه الشىء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال
ساحر اى هو ساحر او مجنون كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق
منسوبا الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه
او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فاغرقناهم فى البحر
وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير
فى اخذناه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما
لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهى
الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شىء اتت عليه مرت
عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت
وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا فى داركم
ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم
الصاعقة اى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى
المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة
بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين
وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين
ممتنعين منه وقوم نوح اى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه
او واذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو

ان كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون معالم

وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا
قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء
بنيناها بأيد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى
الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء
او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها
ليستقروا عليها فنعم الماهدون اى نحن ومن كل شيء من الاجناس
خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من
خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام
ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة
اني لكم منه اى من عذابه المعد لمن اشرك او عصى نذير مبين بين
كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه
ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني
لكم منه نذير مبين تكرير للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان
والطاعة والثاني على الاشراك كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة
الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير
له ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل
فيما قبلها اتواصوا به كأن الاولين والآخرين اوصى بعضهم
بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب
عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم
على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم

قال الله في اتواصوا به اى اوصى اولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه والالف فيه للتوبيخ معالم

فاعرض

قال الكلبي والضحاك وسفيان هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون ثم قال في آية اخرى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقال بعضهم وما خلقت السعداء من الجن والانس الا للعبادة والاشقياء منهم الا للمعصية معالم

فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار
والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك في البلاغ
وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين
من قدر الله ايمانه او من آمن فانه يزداد بها بصيرة وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة
مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره
مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من
الجن والانس وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا
لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اى ما اريد ان
اصرفهم في تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين او المامورين
به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع
عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم
ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان
الله هو الرزاق الذي يرزق كل مفتقر الى الرزق وفيه ايماء
باستغنائه عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة
وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اى للذين
ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم
اى مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة
السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا
يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل
للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة او يوم

بدوعن النبي عم من قراء سورة والذاريات اعطاه الله عشر
حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور

مكية وايها سبع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيها موسى
كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد
الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور
مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن
او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى او في قلوب
اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتب الحفظة في رق منشور
الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما
للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس
والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين
او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف
المرفوع يعني السماء والبحر المسجور اي المملو وهو المحيط
او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله يجعل
يوم القيامة البحار نارا تسجر بها نار جهنم او المختلط من
السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ما له من دافع
يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور
تدل على كمال قدرته وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال
العباد للمجازات يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور
تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف
وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل
يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في
خوض يلعبون اي في الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم
دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم
وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون
من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدفوعين بدل من يوم تمور او
ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال
لهم ذلك افسحر هذا اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا
المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ
ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما انتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل
عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا
على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا
تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم من الصبر وعدمه
فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه سواء
انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء
واجب الوقوع لان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان
المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في جنات و
نعيم مخصوص بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم
وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او في

في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال او
من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا
وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه
بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا
والمعنى هناكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة
مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى
الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن
او لما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين
آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل
انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان
اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع للمبالغة
في كثرتهم والتصريح فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ
ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان
وقيل بايمان حال من الضمير او من الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم
او للاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم
ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روي انه عم قال ان
الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر
بهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان
ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا
الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء او باعطاء
الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو

اللايق

اللايق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه
لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت
يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله
فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم
مما يشتهون اي زدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من
انواع التنعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم
بتجاذب كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير
في قوله لا لغو فيها ولا تأثيم اي لا يتكلمون بلغو الحديث في
اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين
في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان
بالفتح ويطوف عليهم بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون
مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عم والذي نفسي
بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على
ساير الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل
بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة
فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب
النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا
كنا من قبل من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية
انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه الرحيم

الكلب الوحدة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت
بنعمت ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس
من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون
هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض
في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون
مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل
ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن اداءها
اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم
ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون
فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث
مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير
ممن تحدوا فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون
ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من
غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك
لا يعبدونه او من اجل لا شيء من عبادة ولا مجازاة ام هم
الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك
عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا
من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا

ذلك

٢١

ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن
رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا او خزائن علمه حتى يختاروا
لها من اختارته حكمته ام هم المصيطرون الغالبون على الاشياء
يدبرونها كيف شاؤوا وقرأ قنبل وحفص بخلف عنه وهشام
بالسين وحمزة بخلف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون
بالصاد خالصة ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه
صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب
حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة
تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم
واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى
بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا
على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون
محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب
اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون منه ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله فالذين كفروا
يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل
على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون
هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو
قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته
ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله
عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركون به وان يروا

هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا سحاب مركوم معالم

كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم
سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو
جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى
يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ
يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من
صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي شيئا
من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب
الله وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون
ذلك دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في
الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم وابقائك
في عيالهم فانك باعيننا حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع
العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد
ربك حين تقوم من اي مكان قمت او منامك او الى الصلوة
ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد
عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار
النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اي
في اعقابها اذا غربت او خفيت وعن النبي عم من قرأ سورة
الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في
جنته

سورة النجم مكية وآيها احدى او ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم
بجنس

بجنس النجوم او بالثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر
يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح
اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم
من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض
او اذا نما وارتفع على قواه ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عم عن
الطريق المستقيم والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا
والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق عن الهوى وما يصدر
نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او الذي
ينطق به الا وحي يوحى الا وحي يوحيه الله اليه واحتج
به من لا يرى الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحي اليه
بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان
ذلك يكون ح بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد
قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة في ابداء الخوارق روي
انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله
ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله
عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد عم فانه
رآه مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استولى
بقوته على ما جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى
افق السماء والضمير لجبرائيل ثم دنا من النبي عم فتدلى
فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول عم وقيل ثم تدلى من

من الأفق الأعلى فدنا من الرسول عم فيكون اشعارًا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقريرًا لشدة قوته فانّ التدلّي استرسال مع تعلق كتدلّي الثمرة ويقال دلّى رجله من السرير وأدلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبرئيل كقولك هو مني معقد الإزار أو المسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما أو أدنى على تقديركم كقوله أو يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس فأوحى جبرئيل الى عبده عبد الله وإضماره قبل الذكر لكونه معلومًا كقوله على ظهرها ما أوحى جبرئيل وفيه تفخيم للموحى به أو الله اليه وقيل الضمائر كلها لله وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوّه منه برفع مكانته وتدلّيه جذبه بشراشره الى جانب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ببصره من صورة جبرئيل أو الله تع اى ما كذب بصره بما حكاه له فانّ الأمور القدسية تدرك أولًا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبًا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره أو ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلًا كاذبًا ويدل عليه انه عم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذّب اى صدّقه ولم يشك فيه أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة فان كلًّا من المتجادلين

يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب أفتمرونه أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه من مراه حقه إذا جحده وعلى التضمين الفعل معنى الغلبة فانّ المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة أخرى مرة أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارًا بانّ الرؤية في هذه المرة كانت أيضًا بنزول ودنوّ والكلام في المرئي والدنوّ ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلًا نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة عند سدرة المنتهى التي ينتهي اليها علم الخلائق وأعمالهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبّهت بالسدرة وهي شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعًا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي اليها المتقون أو أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عدّ وقيل يغشاها الجمّ الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل أثبته اثباتًا صحيحًا مستيقنًا أو ما عدل عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان يكون الكبرى صفة الآيات على انّ المفعول محذوف اى شيئًا من آيات ربه

اومن مزيده افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطايف او لقريش
بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اي يطوفون
وقرأ هبة الله عن البزي ورويس عن يعقوب بالتشديد على انه
سمي به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم
الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول
الله عم خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة
صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة من مناه
اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى
وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كانهم يستمطرون الانواء عندها
تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير
بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى
انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها
جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله
افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون
منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكن كسر فاؤه ليسلم الياء
كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير
بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هي الا
اسماء الضمير للاصنام اي ما هي باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها
عليها لانكم تقولون انها الهة وليس فيها شيء من معنى الالوهية
او للصفة التي تصفونها بها من كونها الهة وبناتا وشفعاء او

للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها
للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها يستحق
ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم
بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان
يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا
او توهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم
من ربهم الهدى الرسول او الكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى
ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه
والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقوله لئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطي منهما ما يشاء لمن يريد
وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السموات
لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم الا
من بعد ان يأذن الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع
او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع
الاصنام لعبدتهم ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة
اي كل واحد منهم تسمية الانثى بان يسموه بنتا وما لهم به
من علم اي بما يقولون وقرئ بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون
الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة
الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية
وانما العبرة به في العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى

عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام
بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في الدنيا
بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا
عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور
هممهم وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن
اهتدى تعليل للامر بالاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن
لا يجيب فلا تتعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ
وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا ليجزي
الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب
ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اي خلق العالم
وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم
لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهو
الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين
يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب
الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرا حمزة والكسائي
كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من
الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من
مجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة
او المدح او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة
حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء

من الذنوب

من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين
ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم
وجوب العقاب على الله هو اعلم بكم اي اعلم باحوالكم منكم
اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم
علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتداء خلقكم من التراب
بخلق آدم وحيث ما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم
فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن
المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره
منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم افرأيت الذي تولى عن اتباع
الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من
قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة
فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يتبع رسول الله ع م فعيره بعض المشركين وقال تركت دين
الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل
عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط
ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل
عنه ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر
واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود
حتى اتاه جبرئيل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال
اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد

ضيفا فإن وافقه أكرمه والآتي الصوم وتقديم موسى
لأن صحفه وهي التوراة كانت أشهر وأكثر عندهم ألا تزر وازرة
وزر أخرى أن هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر
بدلا من ما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأنه قيل
ما في صحفهما فأجاب به والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره
ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله
عم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى
يوم القيامة فإن ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وأن
ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى إلا سعيه أي
كما لا يؤاخذ أحد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الأخبار
من أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب
عنه ثم يجزاه الجزاء الأوفى أي يجزى العبد سعيه بالجزاء
الأوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون مصدرا وأن يكون
الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وأن إلى ربك
المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على أنه منقطع
عما في الصحف كذلك ما بعده وأنه هو أضحك وأبكى وأنه
هو أمات وأحيا لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن
القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل
العادة وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى
تدفق في الرحم أو تخلق أي يقدر منها الولد من منى إذا قدر

وان

وأن عليه النشأة الأخرى الإحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو النشاءة بالمد وهو أيضا مصدر نشأ وأنه
هو أغنى وأقنى وأعطى القنية وهي ما يتأثل من الأموال وإفرادها
لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية
وأنه هو رب الشعرى يعني العبور وهي أشد ضياء من
الغميصا عبدها أبو كبشة أحد أجداد الرسول عم وخالف قريشا
في عبادة الأوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول عم ابن أبي كبشة
ولعل تخصيصها للإشعار بأنه عم وإن وافق أبا كبشة في مخالفتهم
خالفهم أيضا في عبادتها وأنه أهلك عادا الأولى القدماء
لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الأولى قوم
هود وعاد الأخرى إرم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة
ونقل ضمتها إلى لام التعريف وقرأ نافع وأبو عمرو عاد لولى
بإدغام التنوين في اللام وثمودا عطف على عادا لأن ما بعده
لا يعمل فيما قبله وقرأه عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير ألف
والباقون بالتنوين ويعقوب بالألف فما أبقى الفريقين وقوم
نوح أيضا عطف عليه من قبل من قبل عاد وثمود إنهم كانوا هم
أظلم وأطغى من الفريقين لأنهم كانوا يؤذونه وينفرون
عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة والقرى
التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهي قرى قوم لوط أهوى
بعد أن رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما
أصابهم فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول عم

او لكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل
ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء و
المؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن انذار من
جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين
ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله
اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس
قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن
بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع
عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية
كالعافية افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون
استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون
او مستكبرون من سمد البعير في سيره اذا رفع راسه او
مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء
فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه دون الآلهة عن النبي عم
من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
وجحد به بمكة سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق
القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله عم آية فانشق القمر
وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد
انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها
انشقاق القمر وقوله وان يروا آية يعرضوا عن تأملها والايمان بها

ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات
اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من
المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع
من استمر اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى
وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان
من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار
بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية
من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة
فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح
اي ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر
وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرآن من الانباء
انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر ازدجار
من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال
والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها
حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف
وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة
فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار
اي فاي غناء تغني النذر وهو جمع النذير بمعنى المنذر او
المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك
ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز
ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون واسقاط الياء

النكر بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون أو بإضمار
اذكر إلى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله
وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر
بمعنى أنكر خاشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث أي
يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلة أبصارهم من الهول وإفراده
وتذكيره لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ
خاشعة على الأصل وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم
خشعا وإنما حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين
غلمانهم لأنه ليس على صيغة تشبه الفعل وقرئ خشع أبصارهم
على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كأنهم جراد منتشر في
الكثرة والتموج والانتشار في الأمكنة مهطعين إلى الداع
مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين إليه يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك
فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد إجمال وقيل معناه كذبوه
تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه قرن
آخر مكذب أو كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون
هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل إنه
من جملة قيلهم أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته
فدعا ربه أني بأني وقرئ بالكسر على إرادة القول مغلوب
غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم
فقد روي أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا

عليه

عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ففتحنا أبواب
السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الأمطار
وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد
لكثرة الأبواب وفجرنا الأرض عيونا وجعلنا الأرض كلها
كأنها عيون منفجرة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير للمبالغة
فالتقى الماء ماء السماء وماء الأرض وقرئ الماءان لاختلاف
النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على أمر قد قدر على حال
قدرها الله في الأزل من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت
وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله
وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات ألواح ذات
أخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع الشديد وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث
أنها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري بأعيننا بمرأى منا أي
محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر أي فعلنا ذلك جزاء لنوح
لأنه نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله ورحمة على أمته
ويجوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير وقرئ
لمن كفر أي للكافرين ولقد تركناها أي السفينة أو الفعلة
آية يعتبر بها إذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ
مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والإدغام فيها فكيف
كان عذابي ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر
والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه أو هيأناه من يسر ناقته

للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع
المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل
من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاري
لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا باردا او شديدة الصوت في يوم نحس
مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم
كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان
يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا
في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها
وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن
مغارسه ساقط على الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح
طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على
اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابي
ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني
لما يحيق بهم في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن
للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ
او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول
اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون
اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا
عليه

عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له
وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة االقي الذكر الكتاب
والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب
اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند
نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر الذي
حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح
ام من كذبه وقرا ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على
الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم
حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض
كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا
لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر
على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم
ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره
صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن
سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها
او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة
جبرائيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي
يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه
صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم
الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

كذبت قوم لوط بالنذر إنا أرسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم
بالحجارة أي ترميهم إلا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو
آخر الليل أو مسحرين نعمة من عندنا إنعاما منا وهو علة لنجينا
كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة ولقد أنذرهم لوط
بطشتنا أخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا أعينهم
فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره
عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فأعماهم فذوقوا عذابي ونذر
فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو على ظاهر الحال ولقد
صبحهم بكرة وقت بكرة عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم إلى النار فذوقوا
عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك
في كل قصة إشعارا بأن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب
واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه
والإيقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي
آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل
فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك
كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز
لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير
من أولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة أو مكانة ودينا عند
الله أم لكم براءة في الزبر أم نزلت لكم في الكتب السماوية أن

قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون

من كفر

من كفر منكم فهو في أمان من عذاب الله أم يقولون نحن جميع جماعة
أمرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام أو منتصر من الأعداء لا نغلب أو
متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم
الجمع ويولون الدبر أي الأدبار وإفراده لإرادة الجنس أو لأن
كل أحد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة
وعن عمر أنه لما نزلت قال لم أعلم ما هو فلما كان يوم بدر رأيت
رسول الله عم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته
بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الأصلي وما يحيق بهم في الدنيا
فمن طلائعه والساعة أدهى أشد والداهية أمر فظيع لا يهتدى
لدوائه وأمر مذاقا من عذاب الدنيا إن المجرمين في ضلال
عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار
على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر أي يقال لهم ذوقوا
حر النار وألمها فإن مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم
ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته إنا كل شيء
خلقناه بقدر أي إنا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى
الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب
بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا
فالأولى أن يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة
على أن كل شيء مخلوق بقدر ولعله اختار النصب ههنا مع الإضمار
لما فيه من النصوصية على المقصود وما أمرنا إلا واحدة إلا فعلة
واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة ومعاناة أو إلا كلمة واحدة

وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله
وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر
ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في
كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح
ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة
او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون والهاء
وبضمه وسكون الهاء جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق
في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين
عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام
عن النبي عم من قرا سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه
كالقمر ليلة البدر سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي
ومدني وهي ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم
الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل
النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله
وتعليمه فانه اساس الدين ومنشا الشرع واعظم الوحي واعز
الكتب السماوية اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها
مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان
علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان
من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه
لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاثة

هي اخبار مترادفة للرحمن من العاطف لمجيئها على نهج التعديد
الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما
ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف
الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم النبات
الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له
ساق يسجدان ينقادان لله تع فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى
الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او والشمس والقمر
بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليطابق ما قبلهما وما بعدهما
في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا
بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما
في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية
والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة
محلا ومرتبة فانها منشا اقضيته ومتنزل احكامه ومحل
ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان
وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم
امر العالم واستقام كما قال عم بالعدل قامت السموات
والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال
ونحوهما كانه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها
مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر
به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب

ألا تطغوا في الميزان لأن لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول وأقيموا الوزن
بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى
لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة
حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين
وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار
واوصل الفعل اليه والارض وضعها خفضها مدحوة للانام
للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به
والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى
من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار
والثمر والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر
ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان
يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله
وقرأ ابن عامر بالنصب والحب ذا العصف والريحان اي خلق الحب
والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع
والباقون برفع الثلاثة وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء
وادغمت ثم خففت وقيل روحان قلبت واوه ياء للتخفيف
فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام
وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال
الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله

آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف
ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من
مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل
للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما تكذبان مما
افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة
الكائنات رب المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف
ومغربيهما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا
تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب
كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحري فارس والروم يلتقيان
في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ حاجز من
قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر
بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق
ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر
يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح
والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد وكان المخرج
من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج
وقرئ يخرج ونخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما
تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء

وسميت السفينة جارية لان شانها ذلك وان كانت واقفة في الساحل والكوانس كما تسمى المراة المملوكة ايضا جارية لان شانها الجري والسعي في حوائج سيدها سيع زاده

قوله او المصنوعات اي المخلوقات من انشأ الله اي خلقه والاول من نشأت السحابة ارتفعت وانشأها الله رفعها سيح زاده

وله الجوار المنشآت في البحر وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع للبشر فيه وهم معترفون به بذلك فيقولون لك الفلك وكذلك اذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة سيح زاده

قوله الشرع بضمتين جمع شراع السفينة وهو قلعها سيح زاده

قوله الرافعات الشرع ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال انشأت السحابة المطر سيح زاده

وتدفع الوباء كقوله لما ثنايا ابح حسان وادبع فكلها نعمات
المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرا حمزة وابو بكر
بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج او السير
في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل فباي آلاء
ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية
تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها
غيره كل من عليها من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن
للتغليب او من الثقلين فان ويبقى وجه ربك ذاته ولو استقريت
جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها باسرها فانية
في حد ذاتها الا وجه الله تع اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال
والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فباي آلاء
ربكما تكذبان اي مما ذكرنا قبل من ابقاء ما لا يحصى مما هو على
صدد الفناء رحمة وفضلا او مما يترتب على فناء الكل من
الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات
والارض لانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وسائر
ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال ما يدل على الحاجة الى
تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت
يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي
الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع
آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا
فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج

اي كيف تنكرونه وانتم تحتاجون اليه في كل حال

كما

قوله اي سنتجرد له لما ورد ان يقال ما الوجه في ان يوصف الله تع بالفراغ مع ان الفراغ للشيء يقتضي سابقة شغل وانتهاءه حتى يتمكن من شغل آخر يلحقه وهذا انما يكون في حق من يشغله شان عن شان والله تع منزه عن ذلك اشار الى جوابه بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه انتهاء الدنيا وما يتعلق بها من الشؤون من الابتلاء والاختبار

بالامر والنهي والاحياء والاماتة والمنع والاعطاء وتكوير الليل على النهار وتصريف الدهور والاعصار ونحو ذلك وبقاء شان واحد وهو جزاء المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شان عن شان عن اشغاله وتجرده لمهم واحد سيح زاده

لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد
لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تع لا يفعل فيه غيره وقيل
تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد
للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرا حمزة والكسائي بالياء
وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن
سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما وقدرهما
او لانهما مثقلان بالتكليف فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض
هاربين من الله تع من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون
لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم
ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات والارض
فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها
الله فتعرجون عليها بافكاركم فباي آلاء ربكما تكذبان اي
من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما
نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها
الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار
ونحاس ودخان قال تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل
الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرا ابن
كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه
فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ نحس وهو جمع كصحف فلا تنتصران

فلا تنتصران فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف والتمييز
بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد
الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اى حمراء كوردة
وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن
بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم كالدهان مذابة
كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام والادام او جمع دهن
وقيل هو الاديم الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان مما يكون بعد ذلك
فيومئذ فيوم تنشق السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم
ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما
قوله فوربك لنسألنهم ونحوه ففي حين يحاسبون في المجمع والهاء
للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة فباي
آلاء ربكما تكذبان اى مما انعم على عباده المؤمنين في هذا اليوم
يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن
فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما وقيل يؤخذ بالنواصي
تارة وبالاقدام اخرى فباي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها
وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم
او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم
فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي
يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احوالهم من قام عليه

هذا اشارة الى ان مقام مصدر
اى لمن علم البعث فخاف قيامه لدى ربه للحساب فترك الشرك والمعصية والطاعة

اذا را

اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف
الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت
عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان جنة للخائف الانسي وجنة
للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل
واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى
لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية
وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا
افنان انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن
وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها
التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان
تجريان حيث شاؤوا في الاعالي والاسافل وقيل احديهما التسنيم
والاخرى السلسبيل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان
صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس فباي آلاء ربكما تكذبان
على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين فاذا كان
البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين او حال
منهم لان من في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد
والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان
فيهن في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما
من الاماكن والقصور او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين و
العينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن
ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان

لو يمسس الانسيات والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ
بكسر الميم فباى آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان
اى فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما فباى آلاء ربكما تكذبان
هل جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب فباى آلاء ربكما
تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين
للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين فباى آلاء
ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان الى السواد من شدة
الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين
المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة
على ما بينهما من التفاوت فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاوليين وكذا ما بعده
فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة
بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة
ودواء احتج به ابو حنيفة على ان من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا
او رمانا لم يحنث فباى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اى خيرات
فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان
حسان الخلق والخلق فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات قصرن
فى خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة
او مقصورات الطرف على ازواجهن فى الخيام فباى آلاء ربكما تكذبان
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كحور الاوليين وهم لاصحاب
الجنتين فانهما يدلان عليهم فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف

وسايد

٢٢٧

وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل
الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقرى حسان العبقرى
منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل
شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباى
آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه يطلق
على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال والاكرام وقرأ ابن
عامر بالرفع صفة للاسم عن النبى عم من قرأ سورة الرحمن ادى
شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها سبع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت
القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف
مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا تكون
حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب فى نفيها كما تكذب الآن
واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى او ليس لاجل وقعتها كاذبة
فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها
باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا
نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه
خافضة رافعة تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها
فان الوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء
الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب
وتسيير الجبال فى الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض

رجّا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل
والظرف متعلق بخافضة رافعة أو بدل من إذا وقعت وبسّت
الجبال بسّا أي فتّتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بسّ السويق
إذا لتّه أو سيقت وسيّرت من بسّ الغنم إذا ساقها فكانت
هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم أزواجا أصنافا ثلاثة وكل صنف
يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج فأصحاب الميمنة ما أصحاب
الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة فأصحاب المنزلة
السنية وأصحاب المنزلة الدنية من تيمّنهم بالميامن وتشاؤمهم
بالشمائل أو أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم
بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب اليمن والشوم
فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها
بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر
مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون
والذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم
وتوان أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات أو الأنبياء فإنهم
مقدمو أهل الأديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم
كقول أبي النجم أنا أبو النجم وشعري شعري أو الذين سبقوا
إلى الجنة أولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم
إلى العرش في الجنة وأعليت مراتبهم ثلة من الأولين وقليل من
الآخرين أي هم كثير من الأولين يعني الأمم السابقة من لدن آدم
إلى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين يعني أمة محمد ولا يخالف

ذلك

ذلك قوله عليه السلام إن أمتي يكثرون سائر الأمم لجواز أن يكون سابقوا
سائر الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة وتابعوا هذه أكثر من
تابعيهم ولا يرده قوله في أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة
من الآخرين لأن كثرة الفريقين لا تنافي أكثرية أحدهما وروي مرفوعا
أنهما من هذه الأمة واشتقاقها من الثلّ وهو القطع على سرر موضونة
خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر
والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين
عليها متقابلين حالان من الضمير على يطوف عليهم للخدمة
ولدان مخلدون مبقون أبدا على هيئة الولدان وطراوتهم بأكواب
وأباريق حال الشرب وغيره والكوب إناء لا عروة له ولا خرطوم
والإبريق إناء له ذلك وكأس من معين من خمر لا يصدعون
عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم أو لا ينفد شرابهم و
قرئ لا ينزفون بكسر الزاي وقرئ لا يصّدّعون أي لا يتفرقون
وفاكهة مما يتخيرون أي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون
وحور عين عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أي وفيها
أو ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات
بتقدير مضاف أي هم في جنات ومصاحبة حور أو على أكواب
لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب
وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كأمثال اللؤلؤ المكنون أي
المصون عما يضر به في الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
أي يفعل ذلك كله بهم جزاء بأعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا

ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم الا قيلا اى قولا
سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير
للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك
اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا
ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة
طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه
وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب
يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او مصبوب سائل كانه
لما شبه حال السابقين فى التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه
حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع فى
وقت ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة
رفيعة القدر او منضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها
انها على الارائك انا انشاناهن انشاء اى ابتدأناهن
ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفى الحديث هن
اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع
عروب وسكن راءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله اترابا

فان كلهن

فان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين
متعلق بانشانا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن
او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهى على الوجه
الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فى سموم
فى حر نار ينفذ فى المسام وحميم وماء متناه فى الحرارة وظل من
يحموم من دخان اسود يفعول من الحمم لا بارد كسائر الظل ولا
كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح انهم كانوا
قبل ذلك مترفين منهمكين فى الشهوات وكانوا يصرون على الحنث
العظيم الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم
ووقت المؤاخذة بالذنب ومنه حنث فى يمينه خلاف بر فيها
وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا
وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله او اباؤنا
الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم
وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرا نافع
وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف ما دل
عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والاخرين
لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به
الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون
المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لاكلون
من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون

منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش
وتأنيث الضمير في منها وتذكيره في عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ
من شجرة فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها فشاربون شرب
الهيم الإبل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم
وهيماء قال ذو الرمة فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها
ولا يقضي عليها هيامها وقيل الرمال على أنه جمع هيام بالفتح وهو
الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل
بجمع أبيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه
فلا اتحاد هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون
لهم بعد ما استقروا في الجحيم وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب أليم لأن
النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم
فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالأعمال الدالة
عليه أو بالبعث فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة أفرأيتم
ما تمنون أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من مني
النطفة بمعنى أمناها أأنتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا أم نحن الخالقون
نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم ووقتنا موت كل بوقت
معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا
أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته أو لا يغلبنا أحد من سبقته
على كذا إذا غلبته عليه على أن نبدل أمثالكم على الأول حال أو علة
لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثاني صلة
والمعنى على أن نبدل منكم أشباهكم فنخلق بدلكم أو نبدل صفاتكم على أن

امثالكم

أمثالكم جمع مثل وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق أو صفات لا تعلمونها
ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أن من قدر عليها قدر على
النشأة الأخرى فإنها أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء
وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس أفرأيتم ما تحرثون تبذرون
حبه أأنتم تزرعونه تنبتونه أم نحن الزارعون المنبتون لو نشاء
لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون أو تندمون على اجتهادكم
فيه أو على ما أصبتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل
بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر
وظللتم على الأصل إنا لمغرمون لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ أبو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن
قوم محرومون حرمنا رزقنا أو محدودون لا مجدودون أفرأيتم
الماء الذي تشربون أي العذب الصالح للشرب أأنتم أنزلتموه
من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الأبيض
وماؤه أعذب أم نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية إن كانت
بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه أجاجا ملحا أو من الأجيج
فإنه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط
وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانه أو الاكتفاء بسبق ذكرها أو
بتخصيص ما يقصد لذاته ويكون أهم وفقده أصعب بمزيد التأكيد
فلولا تشكرون أمثال هذه النعم الضرورية أفرأيتم النار التي تورون
تقدحونها أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون يعني الشجرة التي
منها الزناد نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة في أمر

البعث كما مر في سورة يس أو في الظلام أو تذكيرا وانموذجا لنار
جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين الذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين
خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من اقويت الدار اذا خلت
من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه أو بذكره
فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب وتعقيب
الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما
يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون بنعمته أو للتعجب من أمرهم في
غمط نعمه أو للشكر على ما عدها من النعم فلا أقسم اذ الامر أوضح
من أن يحتاج الى قسم أو فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في لئلا يعلم
أو فلانا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه
قراءة فلاقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم
بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة
على وجود مؤثر لا يزول تاثيره أو بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم
نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائي
بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم
القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك
عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض بين القسم
والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن
كريم كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش
والمعاد أو حسن مرضي في جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح
لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات

الجسمانية وهم الملائكة أو لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث
فيكون نفيا بمعنى نهي أو لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون
والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون أي أنفسهم
أو غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة
أو رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب أي نزل تنزيلا
أفبهذا الحديث يعني القرآن أنتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن
في الامر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم
أي شكر رزقكم أنكم تكذبون أي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء
وقرئ شكركم أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به
وتكذبون بقولكم في القرآن انه سحر وشعر أو في المطر انه من الانواء
فلولا اذا بلغت الحلقوم أي النفس وأنتم حينئذ تنظرون حالكم
والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن أقرب ونحن
أعلم اليه أي الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو أقوى
سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه
فلولا ان كنتم غير مدينين أي مجزيين يوم القيامة أو مملوكين مقهورين
من دانه اذا أذله واستعبده وأصل التركيب الذل والانقياد
ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض
عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل
جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم
أفعال الله تعالى وتكذيبكم بآياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا
ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فأما ان كان من

من المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ
فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحيوة المرحوم بالحيوة الدائمة
وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من
اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اى من
اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين يعنى اصحاب
الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب
لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد فى القبر
من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى السورة او فى شان
الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم
فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبى عم من قرا سورة
الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا سورة الحديد مدنية وقيل
مكية وايها تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما فى السموات والارض ذكر ههنا وفى الحشر وفى الصف
بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من
شان ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا
تختلف باختلاف الحالات ومجئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل
ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ
وفى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له
فى نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو
العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدا للتسبيح له ملك السموات والارض
فانه الموجد لهما والمتصرف فيهما يحيى ويميت استئناف او خبر لمحذوف

اوحال

اوحال من المجرور فى له وهو على كل شئ من الاحياء والاماتة وغيرهما
تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه
موجدها ومحدثها والاخر الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها
مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى تبتدا منه الاسباب
والاخر الذى تنتهى اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا
والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة
ذاته فلا يكتنهها العقول او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه
والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع
بين المجموعين وهو بكل شئ عليم يستوى عنده الظاهر والخفى
هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج فى الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل
من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اين
ما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم
عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات و
الارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما
والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل
وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها امنوا بالله ورسوله وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف
فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها والتصرف
فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم
وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة

ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه
بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله اى وما تصنعون غير مؤمنين به
كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير
لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم
اليه بالحجج والآيات وقد اخذ ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم
بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال
من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين
لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذى ينزل على عبده آيات
بينات ليخرجكم اى الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات
الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث نبهكم بالرسل
والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا
واى شىء لكم فى ان لا تنفقوا فى سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله
ميراث السموات والارض يرث كل شىء فيهما ولا يبقى لاحد
مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو
الثواب كان اولى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك
اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق
وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد
الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق
محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز
الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اى بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى

اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن عامر
وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه
والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه
والآية نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه فانه اول من آمن وانفق فى
سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك
من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله
رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه
وتحرى اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اى يعطى اجره
اضعافا وله اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف
اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام
باعتبار المعنى وكأنه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ
ابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا وابن كثير فيضعفه مرفوعا
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه
او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى
الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف
اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اى يقول لهم
من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات او بشراكم
دخول جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى
بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من

قوله انظرونا او انظروا الينا يعني ان انظرونا في قراءة العامة اعم من النظر فان النظر يجوز ان يكون بمعنى الانتظار وبمعنى الابصار يقال نظره او ابصره قيل ان النظر بمعنى الابصار لا يتعدى بنفسه الا في الشعر وانما يتعدى بالى ولذا قدم

فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف

او انظروا الينا فانهم اذا نظروا

من يوم تقول للذين آمنوا انظرونا انتظرونا اليهم لنتقبلهم

بوجوههم فيستضيئون بنورهم بين ايديهم وقرا حمزة انظرونا

على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب

منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف

الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف

فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه

لا سبيل لكم الى هذا تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة

فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب

يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه

يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار

ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا

بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر

وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى

جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان

او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية وقرا ابن عامر ويعقوب

بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم النار هي

مولاكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه

مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي

يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل

انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم

على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم

كما

كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين

آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال

انى الامر يأني انيا واناء وانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن

بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بالهمزة بمعنى انى يأني

وقرئ الما يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا

اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل

من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين

على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرا نافع وحفص

ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا

الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرا رويس بالتاء والمراد

النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد

فقست قلوبهم اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم

او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو

الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون

لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها

تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات

ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم

تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات اي ان

المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرا ابن كثير وابو بكر

بتخفيف الصاد اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا

الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين

اصّدّقوا أو صدّقوا وهو على الأول للدلالة على أن المعتبر هو التصدق
المقرون بالإخلاص يضاعف لهم ولهم أجر كريم معناه والقراءة
في يضاعف ما مرّ غير أنه لم يجزم لأنه خبر إنّ وهو مسند إلى لهم
أو إلى ضمير المصدر والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون
والشهداء عند ربهم أي أولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء
أو هم المبالغون في الصدق فإنهم آمنوا وصدّقوا جميع أخبار الله ورسله
والقائمون بالشهادة لله ولهم أو على الأمم يوم القيامة وقيل
والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد به الأنبياء من قوله فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد أو الذين استشهدوا في سبيل الله لهم
أجرهم ونورهم مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن
من غير تضعيف ليحصل التفاوت أو الأجر والنور الموعودان
لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم فيه دليل
على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث إن التركيب يشعر
بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفاً اعلموا أنما الحيوة
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والأولاد لما ذكر حال الفريقين في الآخرة حقّر أمور الدنيا
أعني ما لا يتوصل به إلى الفوز الآجل بأن بيّن أنها أمور خيالية
قليلة النفع سريعة الزوال لأنها لعب يتعب الناس فيه أنفسهم
جداً إتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون
به أنفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية
والمنازل الرفيعة وتفاخر بالأنساب وتكاثر بالعَدد والعُدد

ثم قرّر

ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفراً ثم يكون حطاماً وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة
جدواها بحال نبات أنبته الغيث فاستوى وأعجب به الحراث
أو الكافرون بالله لأنهم أشد إعجاباً بزينة الدنيا ولأن المؤمن
إذا رأى معجباً انتقل فكره إلى قدرة صانعه فأعجب بها والكافر
لا يتخطى فكره عما أحس به فيستغرق فيه إعجاباً ثم هاج أي
يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاماً ثم عظّم أمور الآخرة
بقوله وفي الآخرة عذاب شديد تنفيراً عن الانهماك في الدنيا و
حثاً على ما يوجب كرامة العقبى ثم أكد ذلك بقوله ومغفرة من الله
ورضوان وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور أي لمن أقبل عليها ولم
يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار
إلى مغفرة من ربكم إلى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء
والأرض أي عرضها كعرضهما وإذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول
وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض أعدت للذين
آمنوا بالله ورسله فيه دليل على أن الجنة مخلوقة وأن الإيمان
وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك
الموعود يتفضل به على من يشاء من غير إيجاب والله ذو الفضل
العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وإن عظم قدره ما أصاب
من مصيبة في الأرض كجدب وعاهة ولا في أنفسكم كمرض وآفة
إلا في كتاب إلا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل أن نبرأها
أن نخلقها والضمير للمصيبة أو للأرض أو للأنفس إن ذلك إن تثبته

في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا
اي اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا
بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه
الامر وقرأ ابو عمرو بما اتيكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول
فيه اشعار بان فواتها تلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها
وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي
الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب للبطر والاختيال
ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت
نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره
محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه
وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ
نافع وابن عامر فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة
الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان
ليسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال ليقوم الناس بالقسط
وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان
الى نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع
به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات

الحروب

الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها
وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة الكفار
والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا
او اللام صلة لمحذوف اي وانزله ليعلم الله بالغيب حال من
المستكن في ينصره ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز
لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا
ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل
المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد
دل عليه ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق
المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة
على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى
مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير
لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل
لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح
الهمزة فان امره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا في قلوب الذين
اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
اي ابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها
من المجعولات وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن
الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب كالخشيان
من خشي وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب

كواكب ودريّان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله وقيل متصل فان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو
كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود
منه حصول مرضاة الله تع وهو يخالف قوله ابتدعوها الا
ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها
واتوا بها او لا انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها اى
فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة والكفر بمحمد عم ونحوها اليها فآتينا الذين
آمنوا انوا الذين بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم من المتسمين باتباعه اجرهم
وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين
آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله
محمد عم يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عم وايمانكم
بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا
ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره
ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم
او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور
رحيم لئلا يعلم اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى
يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء اهل الكتاب ان لا يقدرون
على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا
ما ذكر

مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله
وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله الفضلة
ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا
ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه
لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه
فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه
ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ
ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي من قرأ
سورة الحديد كتب الله من الذين آمنوا بالله ورسله سورة
المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها
ثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم
قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روى
ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت
فاستفتت رسول الله فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال
حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تع فنزلت
هذه الآيات الاربع ولفظ قد يشعر بان الرسول والمجادلة
متوقعان ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها
وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها
في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب
الخطاب ان الله سميع بصير للاحوال والاقوال الذين يظاهرون

منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر
امى مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم انثى وفى
منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل
يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون
من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ما هن امهاتهم اى
على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة
الا من الحقها بهن كالمرضعات وازواج النبى عم وعن عاصم امهاتهم
بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم
ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق
فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه
مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد
وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى رحمه الله بامساك المظاهر
عنها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول الحرمة
لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى حنيفة رحمه الله
باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على
الجماع وعند الحسن البصرى بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان
قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية
وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان
يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او
باستباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب

قوله لما قالوا بالتدارك مبنى على جعل اللام بمعنى الى الانهاء ... للحق ... وجعل ما مصدرية ... قال انت على كظهر امى والذى ... اعتاق

اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب
التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة
القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالاخر
لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك
قبل التكفير ذلكم اى ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب
الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه
خافية فمن لم يجد اى الرقبة والذى غاب ماله واجد فصيام شهرين
متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان
افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع
عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك فمن لم يستطع اى الصوم لهرم
او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عم رخص للاعرابى المفطر
ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله عم
وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل فى الكفارات المخرج فى الفطرة
وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من
غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين
او لجوازه فى خلال الطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اى ذلك البيان
او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله
ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرايعه
ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها
وللكافرين اى الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر
فان الله غنى عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما

فان كلا من المتعادين في حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون
حدودا غير حدودها كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل الكبت
الكب كما كبت الذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات
يدل على صدق الرسول عم وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب
عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر
جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا
اي على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصاه
الله احاط به عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او تهاونهم
به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه شيء الم تر ان الله يعلم
ما في السموات وما في الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة
ما يقع من تناجي ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يأول نجوى
بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع
من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد
ان يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث
انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال
ولا خمسة اي ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص
العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين
او لان الله وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار او لان
التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما
وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او على تأويل
نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل تماده كالواحد والاثنين

ولا اكثر

ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ
يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ادنى ان جعلت
لا لنفي الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى
يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا
لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان
نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين
كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين
فنهاهم رسول الله عم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم
والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب
وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله
فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول
وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا
حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها
الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر
والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول
واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه
مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان

فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم انها في نكبة
اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا
الا باذن الله الا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا
بنجويهم يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا
فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا
والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان
والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة
او لما امرتم به كصلوة او جهاد او ارتفعوا عن المجلس فانشزوا وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا
منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وايوائهم غرف الجنان في الآخرة
والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات
بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضي للعمل المقرون
به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره
وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه
يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم
صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم
الرسول ونفع الفقراء والنهي عن الافراط في السؤال والميز
بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في انه

للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به
تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله
آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته
تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله
لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا
عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي ذلك التصدق خير لكم واطهر لانفسكم
من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا
فان الله غفور رحيم اي لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة
بلا تصدق ادل على الوجوب أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم
صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم
الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة
التناجي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه
وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما
قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان فاقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة فلا تفرطوا في ادائهما واطيعوا الله ورسوله
في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير
بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله
عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون
ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل
على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروي

انه عم كان في حجرة من حجراته فقال عم يدخل عليكم الآن رجل قلبه
قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان
ازرق فقال عم لهم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله
ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا
نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء
العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم التي حلفوا بها وقرئ بالكسر
اي ايمانهم الذي اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم
فصدوا عن سبيل الله فصدوا الناس في خلال امنهم عن دين الله
بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر
لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني
عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له اي لله على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا انهم منكم
ويحسبون انهم على شيء لان تمكن النفاق في نفوسهم بحيث تخيل
اليهم في الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروج
عليكم في الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب
حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ
عليهم الشيطان استولى عليهم من حذت الابل وحذتها اذا استوليت
عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله لا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا
ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد

وعرضوها العذاب المخلد ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا
ورسلي بالحجة وقرا نافع وابن عامر ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه
عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله اي لا ينبغي ان تجدهم وادين
اعداء الله والمراد انه لا ينبغي ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادون اقرب الناس اليهم اولئك
اي الذين لم يوادوهم كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل
على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت في القلب يكون ثابتا
فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اي من عند الله
وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان
فانه سبب لحياة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم
من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله
هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبي عم من قرا سورة المجادلة
كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية آيها اربع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روي ان
النبي عم لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه
فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المبعوث في التورية بالنصرة فلما هزم
المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين

راكبا على عداوة الرسول الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب
وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت
طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شيء قدير
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي
في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او
في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه
اياهم من خيبر اليها او في اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم انهم
يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك وان نارا تخرج
من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر
ما ظننتم ان يخرجوا لشدة باسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من باس الله وتغيير
النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم
بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة ولا يبالون
بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلة لمانعتهم فاتيهم الله
اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين
اي فاتيهم نصر الله وقرئ فاتاهم اي العذاب او النصر من حيث
لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها
الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم
ضنا بها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي
المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا

لمجال

لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب
عن بغضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرا
ابو عمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب
التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي
الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على شيء غير الله
واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال
الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه
في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من
اوطانهم لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة
ولهم في الآخرة عذاب النار استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب
الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله
ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر مما حاق
بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الآخرة ما قطعتم
من لينة اي شيء قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان
وقيل من اللين ومعناه النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها
الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ
اي على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن
الله فبامره وليخزي الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم
او اذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روي
انه عم لما امر بقطع نخلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد
في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز

هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء
الله على رسوله اى وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه
فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق
ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين
منهم من بنى النضير من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله
من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل
غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فىء بنى
النضير فان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا
غير رسول الله صلعم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال
ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة كانت بهم حاجة ولكن
الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب فى قلوبهم والله
على كل شىء قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة و
تارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول
ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل اختلف فى قسم الفىء فقيل يسدس لظاهر
الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل
يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى
الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عم كان يقسم
الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف
المذكور كيلا يكون اى الفىء الذى حقه ان يكون للفقراء وقرا هشام

فى رواية بالتاء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء
ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرى دولة بمعنى كيلا يكون الفىء
ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرا هشام دولة
بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية وما آتيكم الرسول
وما اعطاكم من الفىء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا
به لانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه عن اخذه منه او عن اتيانه
فانتهوا عنه واتقوا الله فى مخالفة الرسول ان الله شديد العقاب
لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه
فان الرسول لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص
الابدال بما بعده او الفىء بفىء بنى النضير الذين اخرجوا من ديارهم
واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم
شانهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم
الصادقون الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم والذين تبوءو الدار
والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة
والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوءو دار الهجرة ودار الايمان
فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام
او تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا
وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل
هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوءو الدار من قبلهم
والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون فى صدورهم

في انفسهم حاجة ما تحمل الحاجة عليه كالطلب والحزازة والحسد والغيظ
مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم
ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل
عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص
البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب
المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل
والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين
قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين
الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا حقا لهم ربنا
انك رؤف رحيم حقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم
وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم
لنخرجن معكم في قتالكم او خذلانكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا اي من رسول
الله عم والمؤمنين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد
انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي المنافق
واصحابه راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة
النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن
الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم الله ولا ينفعهم
نصرة المنافقين او نفاقهم وضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون
للمنافقين

المنافقين لانتم اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر للفعل المبني
للمفعول في صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين
من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار
رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق
خشيته ويعلموا انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون
جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء
جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو
فتحة الدال باسهم بينهم شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم
فانه يشتد باسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله تعالى
الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعز يذل اذا حارب
الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم
قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم
كمثل الذين من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع
ان صح انهم اخرجوا قبل بني النضير او المهلكين من الامم الماضية
قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل
ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم
في الاخرة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على
القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء
الامر المأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ عنه مخافة ان يشاركه
في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين

فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين
والمراد من الانسان الجنس وابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الجحود
والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان على انه الخبر لان وفي النار
لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم
القيامة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره
للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة
كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول
في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني في ترك المحارم لاقترانه
بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي ولا تكونوا كالذين
نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا
ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الهول
ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسوق لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستاهلوا
الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على
ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو
انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله
تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك
الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى
امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن
لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا
على الادغام

على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة
هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما
حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود
وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس البليغ في النزاهة عما
يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من
كل نقص وآفة وانه مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن
وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ
لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي
جبر خلقه على ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذي تكبر
عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا
يشاركه في شيء من ذلك هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى
حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها
وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء واخواتها
فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى له الاسماء الحسنى لانها دالة على
محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقائص
كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات باسرها فانها راجعة
الى الكمال في القدرة والعلم عن النبي عم من قرا سورة الحشر
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت

فحاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عم يغزو اهل مكة
كتب اليهم ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبرئيل عم فبعث رسول الله عليا وعمارا
وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضي الله عنهم وقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل
مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمه
فجحدت فسل علي السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله
حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من
يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني
عنهم شيئا فصدقه رسول الله وعذره تلقون اليهم بالمودة
تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله
بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت
على غير من هي له فلا حاجة الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون
الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين
يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استئناف
لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات
من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم
عن اوطانكم جهادا اي للجهاد في سبيلي وابتغاء مرضاتي
علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه
لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استئناف معناه

اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما
اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة
او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل
اخطاه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء
المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ما يسوؤكم
كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده
بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم
حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم
الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم
بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله
لمن يفر عنكم غدا وقرا حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء
وعاصم يفصل وقرا ابن عامر يفصل على البناء للمفعول مع التشديد
وهو بينكم والله بما تعملون بصير فيجازيكم قد كانت لكم اسوة حسنة
قدوة وهو اسم لما يؤتسى به في ابراهيم والذين معه صفة ثانية او خبر
كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة لانها
وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف
وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او
بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء
ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة و
محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة
حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تأتسوا به

كان قبل النهي أو لموعدة وعدها إياه وما أملك لك من الله من
شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع
أجزائه ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير متصل بما قبل
الاستثناء أو أمر من الله للمؤمنين بأن يقولوه تتميما لما وصاهم به
من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نتحمله واغفر لنا ما فرط منا
ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بأن يجير
المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة تكرير لمزيد
الحث على التأسي بإبراهيم ولذلك صدر بالقسم وأبدل قوله لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فإنه يدل على أنه لا ينبغي لمؤمن
أن يترك التأسي بهم وأن تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه
بقوله ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فإنه جدير بأن يوعد به الكفرة
عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل
لا تتخذوا عادى المؤمنون أقاربهم المشركين وتبرؤوا عنهم
فوعدهم الله بذلك وأنجز إذ أسلم أكثرهم وصاروا لهم أولياء
والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم
من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لأن
قوله أن تبروهم بدل من الذين وتقسطوا إليهم تفضوا إليهم بالقسط
أي العدل إن الله يحب المقسطين العادلين روي أن قتيلة بنت
عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا فلم

تقبلها

تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت إنما ينهاكم الله عن الذين
قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم
كمشركي مكة فإن بعضهم سعوا في إخراج المؤمنين وبعضهم أعانوا
المخرجين أن تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم
فأولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا أيها
الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن في الإيمان الله أعلم بإيمانهن
فإنه المطلع على قلوبهن فإن علمتموهن مؤمنات العلم الذي يمكنكم
تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الأمارات وإنما سماه
علما إيذانا بأنه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن إلى الكفار
أي إلى أزواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن
والتكرير للمطابقة والمبالغة أو الأولى لحصول الفرقة والثانية
للمنع عن الاستئناف وآتوهم ما أنفقوا ما دفعوا إليهن من المهور
وذلك لأن صلح الحديبية جرى على أن من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر
عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن إذ روي أنه عليه السلام
كان بعد بالحديبية إذ جاءته سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة
فأقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فاستحلفها رسول الله عليه السلام
فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح
عليكم أن تنكحوهن فإن الإسلام حال بينهن وبين أزواجهن الكفار
إذا آتيتموهن أجورهن شرط إيتاء المهر في نكاحهن إيذانا بأن ما أعطى
أزواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما

بما تعتصم به الكافرات من عقد ونسب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين
عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسّكوا بالتشديد
واسألوا ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا
ما أنفقوا من مهور أزواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعني جميع ما
ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف أو حال من الحكم على حذف الضمير أو جعل
الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وإن فاتكم
أي وإن سبقكم وانفلت منكم شيء من أزواجكم أحد من أزواجكم
وقرئ به وإيقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم أو شيء
من مهورهن إلى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر
شبّه الحكم بأداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك
مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا من مهر المهاجرة
ولا تؤتوه زوجها الكافر روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة أبى
المشركون أن يؤدوا مهور الكوافر فنزلت وقيل معناه إن فاتكم
فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة واتقوا الله الذي أنتم به
مؤمنون فإن الإيمان به يقتضي التقوى منه يا أيها النبي إذا جاءك
المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح
فإنه لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين
ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف
في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع أن الرسول لا يأمر إلا به

الآية تنبيه على أنه لا تجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق فبايعهن
إذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الأشياء واستغفر
لهن الله إن الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم يعني عامة الكفار أو اليهود إذ روي أنها نزلت
في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم
قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا حظ لهم فيها
لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من أصحاب
القبور أن يبعثوا أو يثابوا أو ينالهم خير منهم وعلى الأول وضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على أن الكفر آيسهم عن النبي عم
من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها أربع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي أن المسلمين
قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تع لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا
فأنزل الله إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم أحد
فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والأكثر على حذف
ألفها مع حرف الجر لكثرة استعمالها معا واعتناقهما في الدلالة على
المستفهم عنه كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون المقت أشد البغض
ونصبه على التمييز للدلالة على أن قولهم هذا مقت خالص كبير عند
من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه إن الله يحب الذين يقاتلون

في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كأنهم بنيان مرصوص
في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الأولى والرص اتصال
بعض البناء بالبعض واستحكامه وإذ قال موسى لقومه واذكر إذ
قال يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالأدرة وقد
تعلمون أني رسول الله إليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة
للإنكار فإن العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه وقد لتحقيق
العلم فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق و
الميل إلى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة
إلى معرفة الحق أو إلى الجنة وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل ولعله
لم يقل يا قوم كما قال موسى لأنه لا نسب له فيهم إني رسول الله إليكم مصدقا
لما بين يدي من التوراة ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة
وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول
من معنى الإرسال لا الجار لأنه لغو إذ هو صلة للرسول فلا يعمل
برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والمعنى ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه فذكر أول الكتب المشهورة
الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات
قالوا هذا سحر مبين الإشارة إلى ما جاء به أو إليه وتسميته سحرا
للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر على أن الإشارة
إلى عيسى ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام
أي لا أحد أظلم ممن يدعى إلى الإسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير
الدارين فيضع موضع إجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله

وتسمية

وتسمية آياته سحرا فإنه يعم إثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ
يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم
الظالمين لا يرشدهم إلى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا أي يريدون
أن يطفئوا واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيدا لها كما
زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيدا لها في لا أبا لك أو يريدون
الافتراء ليطفئوا نور الله يعني دينه أو كتابه أو حجته بأفواههم
بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره وإعلائه وقرأ
ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالإضافة ولو كره الكافرون
إرغاما لهم هو الذي أرسل رسوله بالهدى بالقرآن أو المعجزة
ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على جميع الأديان
ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وإبطال الشرك يا أيها
الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم وقرأ ابن
عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع
بين الإيمان والجهاد المؤدي إلى كمال عزهم والمراد به الأمر وإنما
جيء بلفظ الخبر إيذانا بأن ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر
من الإيمان والجهاد إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم إذ الجاهل
لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للأمر المدلول عليه بلفظ
الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا
أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم ويبعد جعله جواب هل أدلكم
لأن مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها

الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة
الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة
المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم
يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او
تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى
قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل
او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون
فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها الذين آمنوا
كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان
المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من
انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله تع ليطابق قوله
قال الحواريون نحن انصار الله فالاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين
الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول
والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا
كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون
اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحور
وهو البياض فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة
فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع
عيسى عم فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه
وسلم

وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له ما دام في الدنيا وهو في يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة وآيها احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولاً منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه امياً مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضل الله يؤتيه من يشاء تفضلاً وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا او لم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفاراً كتاباً من العلم

يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة
اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
اي مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد ع م
ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله
لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه
فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار
الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم
على الاعمال قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم
مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لا تفوتونه لاحق بكم
والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع
لحوقه بهم وقد قرئ بغير فاء ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء
عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
بان يجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن
لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة
كانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوي لاجتماع
الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله ع م انه لما قدم المدينة
نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار
لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا
فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر بالسعي اليها

يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي
السعي الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى
ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او كنتم من اهل العلم فاذا قضيت
الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل
الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة
وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هو عيادة
وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه
في مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي انه صلى الله عليه وسلم
كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم
الا اثني عشر رجلا فنزلت وافراد التجارة برد الكناية اليها
لانها المقصودة فان المراد باللهو الطبل الذي كانوا يستقبلون به
العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض بمجرد سماع الطبل
ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة والانتفاع
بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره
اذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه وتركوك
قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة
فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين
فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي ع م من قرأ سورة الجمعة
اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأت بها
في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله الشهادة إخبار
عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم
في الشهادة بقوله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون لأنهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا أيمانهم حلفهم الكاذب أو شهادتهم
هذه فإنها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ إيمانهم جنة وقاية
عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدا أو صدودا إنهم
ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك إشارة إلى الكلام
المتقدم أي ذلك القول الشاهد على سوء أعمالهم أو إلى الحال المذكورة
من النفاق والكذب والاستجنان بالإيمان بأنهم آمنوا بسبب أنهم
آمنوا ظاهرا ثم كفروا سرا أو آمنوا إذا رأوا آية ثم كفروا حيثما
سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر
واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان ولا يعرفون صحته وإذا
رأيتهم تعجبك أجسامهم لضخامتها وصباحتها وإن يقولوا تسمع
لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبي جسيما فصيحا
يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أمثاله فيعجب بهياكلهم ويسمع
إلى كلامهم كأنهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم
أي تسمع لما يقولونه مشبهين بأخشاب منصوبة مسندة إلى
الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع
خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح
المخبر وقرأ أبو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين

على التخ

على التخفيف أو على أنه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم
أي واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز
أن يكون صلة وما المفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل بالنظر
إلى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على أن الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته أن يلعنهم أو تعليم
للمؤمنين أن يدعوا عليهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق وإذا
قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم عطفوها
إعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو ورأيتهم
يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء
عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم
في الكفر إن الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح
لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون أي للأنصار لا تنفقوا
على من عند رسول الله يعنون فقراء المهاجرين حتى ينفضوا ولله
خزائن السموات والأرض بيده الأرزاق والقسم ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
الأعز منها الأذل روي أن أعرابيا نازع أنصاريا في بعض الغزوات
على ماء فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشكا إلى ابن أبي فقال لا
تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وإذا رجعنا إلى المدينة
فليخرج الأعز الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله
وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على بناء المفعول ولنخرجن
بالنون ونصب الأعز والأذل على هذه القراءة مصدر أو حال على تقدير

وقف

معنا مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
لله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره
كالصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن
اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك
اي اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا
العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم
ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت ان يرى دلائله
فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق
فاتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على
موضع الفاء وما بعده حملا على المعنى والمعنى ان اخرتني اصدق واكن
وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق وقرئ بالرفع على وانا
اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها
اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأه
ابو بكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي عم من قرأ سورة
المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن وآيها ثمان عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتها على كماله واستغنائه
له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين
به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية
للقدرة

للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي
خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن
مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم
بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة و
صوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن
صورة ثم زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة
خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير
فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة ذاته المقتضية
للعلم الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته اولا بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص
ببعض الانحاء الم يأتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل
كقوم نوح وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا
واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل
للمطر الثقيل القطرات ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور
من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشان كانت تأتيهم رسلهم
بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون
الرسل بشرا والبشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا
عن التدبر بالبينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم
والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم

الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى
الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزها قل بلى اي بلى تبعثون
وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة
وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فآمنوا
بالله ورسوله محمد والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه
ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون
خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب
نجمعكم بالنون ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع
الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا
لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار
من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقي هو التغابن
في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه
سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ
نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى مجموع
الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار
وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة بيان للتغابن
وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ
يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه
نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن والله بكل شيء عليم حتى القلوب

واحوالها

واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا
البلاغ المبين اي فان توليتم فلا بأس عليه اذ وظيفته التبليغ وقد
بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان
الكل منه يقتضي ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم في امر الدين او الدنيا
فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة
وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها
وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم
ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده
اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد
والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم
واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير
خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على
امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره
انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف
المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب قلب يضاعفه
لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله
شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب
والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم

في الأديان وما يشبهها للتاقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام م

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن رفع عنه فجاءة الموت

سورة الطلاق مدنية وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لأنه إمام أمته فنداؤه كندائهم أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى إذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له بمنزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن لوقتها وهو الطهر فإن اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على أن العدة بالأطهار وأن طلاق المعتدة بالأقراء ينبغي أن يكون في الطهر وأنه يحرم في الحيض من حيث أن الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده فلا يدل على عدم وقوعه إذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح أن ابن عمر لما طلق امرأته حائضا أمره عليه السلام بالرجعة وهو سبب نزوله وأحصوا العدة واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والإضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن أما لو اتفقا على الانتقال جاز إذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزوم ملازمتها مسكن الفراق وقوله إلا أن يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الأول والمعنى إلا أن تبذو على الزوج فإنه كالنشوز في إسقاط حقها أو إلا أن تزني فتخرج لإقامة الحد عليها أو من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على أن خروجها فاحشة وتلك حدود الله الإشارة إلى الأحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بأن عرضها للعقاب لا تدري أي النفس أو أنت أيها النبي أو المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة أو استئناف فإذا

بلغن

٢٥٥

وقف

بلغن أجلهن شارفن آخر عدتهن فأمسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وإنفاق مناسب أو فارقوهن بمعروف بإيفاء الحق واتقاء الضرار مثل أن يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها وأشهدوا ذوي عدل منكم على الرجعة أو الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله وأشهدوا إذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة وأقيموا الشهادة لله أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإنه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهي عنه صريحا أو ضمنا من الطلاق في الحيض والإضرار بالمعتدة وإخراجها من المسكن وتعدي حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على إقامتها بأن يجعل الله له مخرجا مما في شأن الأزواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله أو بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون أو كلام جيء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه السلام إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي عن سالم بن عوف بن مالك الأشجعي أسره العدو فشكا أبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو

وقف

واستأنفها وفي رواية دجاج ومعه غنيمات ومتاع ومن يتوكل على الله
فهو حسبه كافيه إن الله بالغ أمره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد
وقرأ حفص بالإضافة وقرئ بالغ أمره أي نافذ وبالغا على أنه حال
قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا أو مقدارا أو أجلا لا يتأتى تغييره
وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان
العدة والأمر بإحصائها وتمهيد لما سيأتي من مقاديرها واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن إن ارتبتم شككتم في عدتهن
أي جهلتم فعدتهن ثلاثة أشهر روي أنه لما نزل والمطلقات يتربصن
بأنفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت واللائي
لم يحضن أي واللائي لم يحضن بعد كذلك وأولات الأحمال أجلهن
منتهى عدتهن أن يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى
عنهن أزواجهن والمحافظة على عمومه أولى من محافظة عموم
قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا لأن عموم أولات الأحمال
بالذات وعموم أزواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولأنه
صح أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت
ذلك لرسول الله عم فقال قد حللت فتزوجي ولأنه متأخر النزول
فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والأول راجح
للوفاق عليه ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها يجعل له من
أمره يسرا يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ذلك إشارة إلى ما ذكر
من الأحكام أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله في أحكامه فيراعي حقوقها
يكفر عنه سيئاته فإن الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له أجرا

بالمضاعفة

بالمضاعفة أسكنوهن من حيث سكنتم أي مكانا من سكناكم من وجدكم
أي من وسعكم مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا
تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن إلى الخروج وإن
كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا
ويدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والأحاديث
تؤيده فإن أرضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن أجورهن
على الإرضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الإرضاع
والأجر وإن تعاسرتم تضايقتم فسترضع له أخرى امرأة أخرى
وفيه معاتبة للأم على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر
عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله أي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه
وسعه لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها فإنه تع لا يكلف نفسا إلا
وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال
سيجعل الله بعد عسر يسرا أي عاجلا وآجلا وكأين من قرية أي
أهل قرية عتت عن أمر ربها ورسله أعرضت عنه إعراض العاتي
فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها
عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ
الماضي للتحقق فذاقت وبال أمرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان
عاقبة أمرها خسرا لا ربح فيه أصلا أعد الله لهم عذابا شديدا تكرير
للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها بقوله فاتقوا الله يا أولي
الألباب ويجوز أن يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها
في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد

أنزل الله إليكم ذكرًا رسولًا يعني بالذكر جبرائيل لكثرة ذكره أو لنزوله
بالذكر وهو القرآن أو لأنه مذكور في السموات أو ذا ذكر أي شرف
أو محمدًا عليه السلام لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه وعبّر
عن إرساله بالإنزال ترشيحًا أو لأنه مسبّب عن إنزال الوحي إليه
وأبدل عنه رسولًا للبيان أو أراد به القرآن ورسولًا منصوب
بمقدّر مثل أرسل أو ذكر والمصدر والرسول مفعوله أو بدل على أنه
بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبيّنات حال من اسم الله أو صفة
رسولًا والمراد بالذين في قوله ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الذين آمنوا بعد إنزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الإيمان
والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدّر أنه يؤمن من الظلمات إلى
النور من الضلالة إلى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحًا يدخله
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا وقرأ نافع وابن
عامر ندخله بالنون قد أحسن الله له رزقًا فيه تعجب وتعظيم
لما رزق من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن
الأرض مثلهن أي وخلق مثلهن في العدد من الأرض وقرئ بالرفع على
الابتداء والخبر يتنزّل الأمر بينهن أي يجري أمر الله وقضاؤه بينهن
وينفذ حكمه فيهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط
بكل شيء علمًا علّة لخلق أو ينزل أو مضمر يعمهما فإن كلًّا منهما يدل على
كمال قدرته وعلمه عن النبي صلعم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة
رسول الله

سورة التحريم مدنية وآيها اثنا عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله
لك روي أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة أو حفصة فاطّلعت على
ذلك حفصة فعاتبته عليه فحرّم مارية فنزلت وقيل شرب عسلًا عند
حفصة فتواطأت عائشة وسودة وصفية فقلن له إنا نشمّ منك ريح
المغافير فحرّم العسل فنزلت تبتغي مرضات أزواجك تفسير لتحرّم
أو حال من فاعله أو استئناف ببيان الداعي إليه والله غفور لك هذه
الزلّة فإنه لا يجوز تحريم ما أحل الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك
به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلّة أيمانكم قد شرع
لكم تحليلها وهو حلّ ما عقدته بالكفارة أو الاستثناء فيها بالمشيئة حتى
لا تحنث من قولهم حلّل في يمينه إذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم
مطلقًا أو تحريم المرأة يمينًا وهو ضعيف إذ لا يلزم من وجوب كفارة
اليمين فيه كونه يمينًا مع احتمال أنه عليه السلام أتى بلفظ اليمين كما قيل
والله مولاكم متولّي أموركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في أفعاله
وأحكامه وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه يعني حفصة بنت عمر
حديثًا تحريم مارية أو العسل أو أن الخلافة بعده لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما
فلما نبّأت به أي فلما أخبرت به حفصة عائشة بالحديث وأظهره
الله عليه واطّلع النبي صلعم على الحديث أو على إفشائه عرّف بعضه
عرّف الرسول حفصة بعض ما فعلت وأعرض عن بعض عن إعلام بعض
تكرّمًا أو جازاها على بعضه بتطليقه إياها وتجاوز عن بعض ويؤيده
قراءة الكسائي بالتخفيف فإنه لا يحتمل هاهنا غيره لكن المشدد
من باب إطلاق اسم المسبب للسبب والمخفف بالعكس ويؤيد الأول
قوله فلما نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبّأني العليم الخبير فإنه

أو فوق للإعلام إن تتوبا إلى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات
للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة
وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة
ما يكرهه فإن تظاهرا عليه وإن تتظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون
بالتخفيف فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم
من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فإن الله ناصره و
جبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه
والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل عليه السلام
لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالإضافة وبقوله بعد ذلك
تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به عسى ربه إن
يبدله أزواجا خيرا منكن على تغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما
يدل على أنه لم يطلق حفصة وأن في النساء خيرا منهن لأن تعليق طلاق
الكل تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع وقوعه وقرأ نافع وأبو عمرو
أن يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات أو منقادات
مصدقات قانتات مصليات أو مواظبات على الطاعة تائبات عن
الذنوب عابدات متعبدات أو متذللات لأمر الرسول سائحات
صائمات سمي الصائم سائحا لأنه يسيح في النهار بلا زاد أو مهاجرات
ثيبات وأبكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولأنهما في حكم صفة واحدة
إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم
بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بالنصح والتأديب وقرئ
وأهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم أنفس القبيلين على تغليب

المخاطبين

المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها
بالحطب عليها ملائكة تلي أمرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ
الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الأفعال
الشديدة لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون
فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون
ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم
تعملون يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لأنه لا عذر
لهم أو العذر لا ينفعهم يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا
بالغة في النصح وهو صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به
على الإسناد المجازي مبالغة أو في النصاحة وهي الخياطة كأنها تنصح ما
خرق الذنب وقرأ أبو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر
والشكور أو النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح
أو تنصح نصوحا أو توبوا نصوحا لأنفسكم وسئل علي رضي الله عنه
عن التوبة فقال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم
على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى
ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ذكر
بصيغة الإطماع جريا على عادة الملوك وإشعارا بأنه تفضل والتوبة
غير موجبة وأن العبد ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء يوم لا يخزي
الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي عم
إحمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى

بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط وبايمانهم يقولون اذا طفى
نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
وقيل يتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها
النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل
الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ الرفق مداه ومأويهم جهنم وبئس
المصير جهنم او مأويهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح
وامرأة لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون
بما بينهم وبين النبي والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط فخانتاهما بالنفاق فلم
يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما
وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيامة النار مع الداخلين
مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء
وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في ان وصلة
الكافرين لا تضرهم بحال آسية ومنزلتها عند الله مع انها كانت
تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف رب ابن
لي بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات المقربين
ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني
من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران
عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال
فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحملة من روحنا من
روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة

او بما

او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة
ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه
اى بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على
الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة
الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية
عن النبي صلعم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية
بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت
خويلد وفاطمة بنت محمد عليها السلام وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه السلام من قرأ سورة
التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي قارئها من عذاب القبر وايها ثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور
كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت
والحيوة قدرها او اوجد الحيوة وازالها حسب ما قدره وقدم
الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل
ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم
احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم
عن محارم الله واسرعكم في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا
لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل
بها وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع

المغفور لمن ... وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل الغفور
لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق
بعض مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقا على طبق وصف به أو
طوبقت طباقا أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال أو طبقة كرحبة
ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من
تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم
التناسب من الفوت فإن كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر
صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والإشعار
بأنه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وإن في إبداعها
نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول أو لكل مخاطب وقوله
فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب
أي قد نظرت إليها مرارا فانظر إليها مرة أخرى متأملا فيها
لتعاين الشقوق والمراد الخلل من فطره إذا شقه ثم ارجع البصر
كرتين أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية
التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك أجاب الأمر بقوله
ينقلب إليك البصر خاسئا بعيدا عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه
طردا بالصغار وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة
ولقد زينا السماء الدنيا أقرب السموات إلى الأرض بمصابيح
بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج فيها والتنكير للتعظيم ولا
يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ
التزيين بإظهارها عليها وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا

لها فائدة

لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها
وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون
والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به وأعتدنا لهم
في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا عذاب السعير وللذين كفروا
بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على أن
للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير إذا ألقوا
فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار وهي تفور تغلي بهم غليان
المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل
لشدة اشتعالها بهم ويجوز أن يراد غيظ الزبانية كلما ألقي فيها
فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير يخوفكم
هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير أي فكذبنا الرسل
وأفرطنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال والإرسال رأسا وبالغنا
في نسبتهم إلى الضلال فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر
مقدر بمضاف أي أهل إنذار أو منعوت به للمبالغة أو الواحد
والخطاب له ولأمثاله على التغليب أو إقامة تكذيب الواحد مقام
تكذيب الكل أو على أن المعنى قالت الأفواج قد جاء إلى كل فوج منا رسول
فكذبناهم وضللناهم ويجوز أن يكون إن أنتم إلا في ضلال كبير
خطاب الزبانية للكفار على إرادة القول فيكون الضلال ما كانوا
عليه في الدنيا أو عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل
فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات

أو نعقل فنتفكر في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في أصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف إقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لأنه في الأصل مصدر أو المراد به الكفر فسحقا لأصحاب السعير فأسحقهم الله سحقا أي أبعدهم من رحمته والتغليب للإيجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل إن الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بالخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير تصغر دونه لذايذ الدنيا وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل أن يعبر عنها به أو جهرا ألا يعلم من خلق ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن أو ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي أن يكون ليعلم مفعول ليفيد وروي أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيخبر الله به رسوله فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمع إله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذلل فإن منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتذلل له فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله وإليه النشور المرجع

فيسئلكم

فيسئلكم عن شكر ما أنعم عليكم أأمنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم أو الله تعالى على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب فإنهم زعموا أن الله تعالى في السماء وعن ابن كثير وأمنتم بقلب الهمزة الأولى واوا لانضمام ما قبلها وآمنتم بقلب الثانية ألفا وهو قراءة نافع وأبي عمرو ورويس أن يخسف بكم الأرض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فإذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا أن يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف إنذاري إذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم ع ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير إنكاري عليهم بإنزال العذاب وهو تسلية للرسول وتهديد لقومه أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به إلى صيغة الفعل للفرق بين الأصل في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع إلا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بأن خلقهن على أشكال وخصايص هيأهن للجري في الهواء إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرايب ويدبر العجايب أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله أولم يروا على معنى أولم ينظروا في أمثال هذه الصنايع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم

ينحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان
ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه
اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم
اعتقدوا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته
وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور
لا معتمد لهم امن هذا الذي يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا
الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر وسائر الاسباب
المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو عناد ونفور
وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى
يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع
والتحقيق انهما من باب انفعل بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا
مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه
يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه
ولذلك قابله بقوله امن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط
مستقيم مستوي الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد
بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في كب من الدلالة
على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستاهل ان يسمى طريقا
كمشي المتعسف في مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه
يتعسف فينكب وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر
على وجهه الى النار ومن يمشي سويا هو الذي يحشر على قدميه الى
الجنة قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ

والابصار

والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون
باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون
للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف
والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين قل انما العلم
اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار
يكفي له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه فلما رأوه اي الوعد فانه
بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين
كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم
به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون
ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارأيتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي
من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم
اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم
نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه
مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم
بان غيره بالذات لا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به
فستعلمون من هو في ضلال مبين منكم ومنا وقرأ الكسائي بالياء قل
ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء
مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ
عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيا ليلة القدر

سورة ن والقلم مكية وآيها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله غائرا في الارض ناضبا يقال غار الماء يغور غورا اي نضب

ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد الجنس او البهموت وهو
الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشدّ
سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة
الحرف والقلم وهو الذي خطّ اللوح او الذي يخطّ به اقسم به لكثرة فوائده
واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراءً للواو المنفصل مجرى
المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد
روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون
وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة
الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او
لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون
جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي
والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله لانها مزيدة
وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال او الابلاغ غير ممنون
او مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط
وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة
رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد
افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذي فتن بالجنون والباء
مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او
باي الفريقين منكم المجنون أ بفريق المؤمنين او بفريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل

فلا تطع

فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودّوا لو تدهن تلاينهم
بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك
بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اي ودّوا التداهن وتمنّوه
لكنهم اخّروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اي ودّوا لو تدهن فهم
يدهنون حينئذ او ودّوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفي
بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني ولا تطع كل حلاف
كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الرأي من المهانة وهي الحقارة همّاز
عيّاب مشّاء بنميم نقّال للحديث على وجه السعاية منّاع للخير يمنع
الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز
في الظلم اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف
وغلظة بعد ذلك بعد ما عدّ من مثالبه زنيم دعيّ مأخوذ من زنمتي
الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة
ادّعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف
حتى نزلت هذه الآية وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف وعداده
في زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير
الاولين اي قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من
فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اي لا تطع من هذه
مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر
أأن كان على الاستفهام غير ان ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر
جعل الهمزة الثانية بين بين اي الان كان ذا مال كذّب او اتطيعه

وهو

لأن كان ذا مالٍ وقرئ إن كان بالكسر على أن شرط الغنى في النهي عن
الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الأولاد أو على أن شرطه
للمخاطب أي لا تطع شارطا يساره لأنه إذا أطاع الكافر للغنى
فكأنه شرطه في الطاعة سنسمه بالكي على الخرطوم على الأنف وقد
أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقي أثره وقيل هو عبارة
عن أن يذله غاية الإذلال كقولهم جدع أنفه ورغم أنفه لأن
السمة على الوجه سيما على الأنف شين ظاهر أو نسود وجهه يوم
القيامة إنا بلوناهم بلونا أهل مكة بالقحط كما بلونا أصحاب الجنة
يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح ينادي
الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل أو ألقته
الريح أو بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شيء
كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا
ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال إذ أقسموا ليصرمنها
مصبحين ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون ولا يقولون
إن شاء الله وإنما سماه استثناء لما فيه من الإخراج غير أن المخرج به
خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه أو لأن معنى لا أخرج إن شاء الله
ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين
كما كان يخرج أبوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من
ربك مبتدأ منه وهم نائمون فأصبحت كالصريم كالبستان الذي
صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول أو كالليل
باحتراقها واسودادها أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس

سميا بالصريم لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرماد فتنادوا
مصبحين أن اغدوا على حرثكم أي اخرجوا إليه غدوة
وتعدية الفعل بعلى إما لتضمنه معنى الإقبال أو لتشبيه الغدو
للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء إن كنتم صارمين قاطعين
له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفي وخفت
يتسارون وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين أن مفسرة وقرئ بطرحها على إضمار
القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه
من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا
على حرد قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها
مطر وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم عزموا على أن
يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها إلا على
النكد أو وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين
على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به أي لم يقدروا
إلا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل القصد والسرعة
قال أقبل سيل جاء من أمر الله يحرد حرد الجنة المغلة أي غدوا
إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل علم للجنة
فلما رأوها أول ما رأوها قالوا إنا لضالون طريق جنتنا وما
هي بها بل نحن أي بعدما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا بل نحن محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم رأيا أو سنا ألم
أقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون إليه من خبث نيتكم

وقد قاله حين ما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان
ربنا إنا كنا ظالمين أو لولا تستثنون فسمي الاستثناء تسبيحاً لتشاركهما
في التعظيم أو لأنه تنزيه عن أن يجري في ملكه ما لا يريده فأقبل بعضهم
على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار بذلك
ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضياً ومنهم من أنكره
قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا أن
يبدلنا خيراً منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي
أنهم أبدلوا خيراً منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف إنا إلى ربنا راغبون
راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى
الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب
الجنة العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر أعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا
عما يؤديهم إلى العذاب إن للمتقين عند ربهم أي في الآخرة أو في
جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص
أفنجعل المسلمين كالمجرمين إنكار لقول الكفرة فإنهم كانوا يقولون
إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون
أحسن حالاً منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات
فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له وإشعار بأنه صادر من اختلال فكر
واعوجاج رأي أم لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون
إن لكم فيه لما تخيرون إن لكم ما تختارونه وتشتهونه وأصله أن
لكم بالفتح لأنه المدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز أن يكون
حكاية للمدروس أو استئنافاً وتخير الشيء واختاره أخذ خيره أم

لكم

لكم أيمان علينا بالغة عهود مؤكدة بالأيمان بالغة متناهية في التوكيد
وقرئ بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين إلى يوم القيمة
متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيمة لا نخرج عن
عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم أو ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم
إن لكم لما تحكمون جواب القسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم
سلهم أيهم بذلك زعيم بذلك قائم يدعيه ويصححه أم لهم شركاء
يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين
في دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات
على نفي جميع ما يمكن أن يتشبثوا به من عقل أو نقل يدل عليه الاستحقاق
أو وعد أو محض تقليد على الترتيب تنبيهاً على مراتب النظر و
تزييفاً لما لا سند له وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين
في الآخرة كأنه لما نفى أن تكون التسوية من الله نفى بهذا أن يكون مما
يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الأمر ويصعب
الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن
سوقهن في الهرب قال حاتم أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا أو يوم يكشف عن أصل الأمر
وحقيقته بحيث يصير عياناً مستعار من ساق الشجر أو ساق الإنسان
وتنكيره للتهويل أو للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل
والمفعول والفعل للساعة أو الحال ويدعون إلى السجود توبيخاً
على تركهم السجود إن كان اليوم يوم القيمة أو يدعون إلى الصلوة لأوقاتها
إن كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته أو زوال القدرة عليه

عليه خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
إلى السجود في الدنيا أو في زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحو
العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث كله إلى فإنه يكفيكه سنستدرجهم
سندنيهم من العذاب درجة درجة بالإمهال وإدامة الصحة وازدياد
النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم
لأنهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين وأملي لهم وأمهلهم إن كيدي
متين لا يدفع بشيء وإنما سمى إنعامه استدراجا بالكيد لأنه في صورته
أم تسألهم أجرا على الإرشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون
بحملها فيعرضون عنك أم عندهم الغيب اللوح أو المغيبات فهم
يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك
وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس
إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا في الضجرة فتبتلى
ببلائه لولا أن تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها
وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه أي تتداركه
على حكاية الحال الماضية يعني لولا أن كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء
بالأرض الخالية عن الأشجار وهو مذموم مطرود عن الرحمة والكرامة
وهو حال يعتمد عليها الجواب لأنها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه
بأن رد الوحي إليه أو استنبأه إن صح أنه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة
فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل
ما تركه أولى وفيه دليل على خلق الأفعال والآية نزلت حين هم
رسول الله أن يدعو على ثقيف وقيل بأحد حين حل به ما حل فأراد

ان يدعو

أن يدعو على المنهزمين وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم
إن هي المخففة واللام دليلها والمعنى أنهم لشدة عداوتهم ينظرون
إليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر
إلي فلان نظرا يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله
أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين إذ روي أنه كان في بني أسد
عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله فنزلت وفي الحديث إن
العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله أن يكون من خصائص
بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته
فحزن وقرئ ليزهقونك أي ليهلكونك لما سمعوا الذكر أي القرآن
أي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون إنه لمجنون
حيرة في أمره وتنفيرا عنه وما هو إلا ذكر للعالمين لما جننوه
لأجله لأجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه إلا من
كان أكمل الناس عقلا وأمتنهم رأيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها إحدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة أي الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها أو التي تحق فيها
الأمور أي تعرف حقيقتها أو يقع فيها حواق الأمور من الحساب
والجزاء على الإسناد المجازي وهو مبتدأ خبرها ما الحاقة وأصلها
ما هي أي أي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع
الظاهر موضع الضمير لأنه أهول لها وما أدراك ما الحاقة وأي
شيء أعلمك ما هي أي أنك لا تعلم كنهها فإنها أعظم من أن

أن تبلغها دراية أحد وما مبتدأ وأدريك خبره كذبت ثمود وعاد
بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالأفزاع والأجرام بالانفطار
والانتثار وإنما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها
فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة
وهي الصيحة أو الرجفة لتكذيبهم بالقارعة أو بسبب طغيانهم
بالتكذيب وغيره على أنها كالعافية وهو لا يطابق قوله وأما عاد
فأهلكوا بريح صرصر أي شديدة الصوت أو البرد من الصرة أو الصرد
عاتية شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يستطيعوا
ضبطها أو على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم
بقدرته وهو استئناف أو صفة جيء به لنفي ما يتوهم من أنها كانت
من اتصالات فلكية إذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب
سبع ليال وثمانية أيام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة
إذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات
قطعت دابرهم ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا
أو المصدر لفعله المقدر حالا أي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة
بالفتح وهي كانت أيام العجوز من صبيحة الأربعاء إلى غروب الأربعاء
الآخر وإنما سميت عجوزا لأنها عجز الشتاء أو لأن عجوزا من عاد
توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فأهلكتها فترى القوم
إن كنت حاضرهم فيها في مهابها أو في الليالي والأيام صرعى موتى
جمع صريع كأنهم أعجاز نخل أصول نخل خاوية متآكلة الأجواف
فهل ترى لهم من باقية من بقية أو نفس باقية أو بقاء كالطاغية

ومن

ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله أي ومن
عنده من أتباعه ويدل عليه أنه قرئ ومن معه والمؤتفكات
قرى قوم لوط والمراد أهلها بالخاطئة بالخطاء أو بالأفعال ذات
الخطاء فعصوا رسول ربهم أي عصى كل أمة رسولها فأخذهم
أخذة رابية زائدة في الشدة زيادة أعمالهم في القبح إنا لما
طغى الماء جاوز حده المعتاد أو طغى على خزانه وذلك في الطوفان
وهو يؤيد من قبله حملناكم أي آباءكم وأنتم في أصلابهم في الجارية
في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل لكم الفعلة وهي إنجاء المؤمنين
وإغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع
وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير
وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي أن تحفظ الشيء
في نفسك والإيعاء أن تحفظه في غيرك أذن واعية من شأنها
أن تحفظ ما يجب حفظها بتذكره وإشاعته والتفكر فيه والعمل
بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته
تسبب لإنجاء الجم الغفير وإدامة نسلهم وقرأ نافع بالتخفيف
فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة
وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على مكانها عاد
إلى شرحها وإنما حسن إسناد الفعل إلى المصدر لتقيده وحسن
تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار
والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التي عندها خراب العالم
وحملت الأرض والجبال رفعت من أماكنها بمجرد القدرة الكاملة

او بتوسط ذلك اليه او بريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت
الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فتصير الكل هباء او فبسطتا
بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب
للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة
المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت
السماء لنزول الملئكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية
والملك الجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجى بالقصر
ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحوافها
وحواليها وان كان على الحقيقة فلعل هلاك الملئكة اثر ذلك
ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملئكة الذين هم على الارجاء او
فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك
لما روى مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم
الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملئكة لا يعلم عددهم
الا الله ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم
خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون
تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا
وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع
يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال
اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم
خافية سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما
المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال

يوم

يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من
اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا
كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء
يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن
يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب
العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى
اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه
للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الدرج واستحب الوقف
لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت
اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه
لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك
عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على
النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية
عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان
لانها في السماء او الدرجات او الابنية او الاشجار قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر
دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع
الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم
بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام
الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل
وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه

يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت علي كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من

غسلين

غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه اي القرآن لقول رسول كريم يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبرئيل وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبرائيل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو

تصويرا لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان
يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين
بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين
دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان
القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم
مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا
راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين لليقين الذى لا ريب
فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له
عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليه عن النبي عم من
قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا سورة المعارج
مكية وايها اربع واربعون سال سائل بعذاب واقع اى
دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل
نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه
قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول عم
استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال
على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله عم فاحشة ضلت
هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده قرئ سال
سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد
بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر
او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او

صلة

صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب
كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع
يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذى المعارج اى ذى
المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح
او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة
او السموات فان الملائكة تعرجون فيها تعرج الملائكة والروح
اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة استيناف لبيان ارتفاع
تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث
لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من
سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه
فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون
فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم
واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز
الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة وثخن
كل واحد من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث
قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم
من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع
او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته
اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات
او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرئيل وافراده لفضله او
خلق اعظم من الملائكة وقرا الكسائى يعرج بالياء فاصبر صبرا

جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره او تضجر واستبطاء للنصر او بسأل سائل او بسال سيل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيامة بعيدا من الامكان ونريه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون او لمضمر دل عليه واقع او بدل من فى يوم ان علق بواقع والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله و يسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وقرأ نافع والكسائى بفتح ميم يومئذ وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التى تؤويه تضمه فى النسب وعند الشدائد

ومن فى الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهو جلدة الرأس تدعو تجذب وتحضر كقول ذى الرمة تدعو انفه الريب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ فى الامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك

من حب العاجل وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون
لا يشغلهم عنها شاغل والذين في أموالهم حق معلوم كالزكاة
والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي
لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين
تصديقا بأعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في
المثوبة الأخروية ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون خائفون على أنفسهم إن عذاب ربهم غير مأمون اعتراض
يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذاب الله وإن بالغ في طاعته
والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت
أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون
سبق تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم بشهاداتهم قائمون حافظون وقرأ ابن كثير لأمانتهم
معنى لا يخفون ولا ينكرون ما علموه من حقوق الله وحقوق
العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الأنواع
والذين هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون
فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا
وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على غيرها وفي
نظم هذه الصلاة مبالغات لا تخفى أولئك في جنات مكرمون
بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين
عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من
العزو وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى

وكان المشركون يحلقون حول رسول الله حلقا حلقا ويستهزؤون
بكلامه أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بلا إيمان وهو كلا
لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها أفضل حظا منهم كما في الدنيا كلا
ردع لهم عن هذا الطمع إنا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والغرض أنهم
مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل
بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد دخولها
أو أنكم مخلوقون من أجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن
لم يستكملها لم يتبوأ منازل الكاملين أو الاستدلال بالنشأة الأولى
على إمكان النشأة الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا
عندهم بعد ردعهم عنه فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون
على أن نبدل خيرا منهم أي نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم أو نعطي
محمدا بدلكم من هو خير منكم وهم الأنصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين
إن أردنا أن نهلكهم فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي
يوعدون مر في آخر الطور يوم يخرجون من الأجداث سراعا مسرعين
جمع سريع كأنهم إلى نصب منصوب للعبادة أو علم يوفضون يسرعون
وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون من السبعة
بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب بالضم على أنه تخفيف نصب
أو جمع نصب خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم
الذي كانوا يوعدون عن النبي عم من قرأ سورة سأل
سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وآيها تسع أو ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر بأن أنذر أي بالإنذار أو بأن قلنا له أنذر ويجوز أن تكون مفسرة لتضمن الإرسال معنى القول وقرئ بغيرها على إرادة القول قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عذاب الآخرة أو الطوفان قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون مر في الشعراء نظيره وفي أن يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فإن الإسلام يجب ما قبله فلا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم إلى أجل مسمى هو أقصى ما قدر لكم بشرط الإيمان والطاعة إن أجل الله أي إن الأجل الذي قدره إذا جاء على الوجه المقدر به أجلا وقيل إذا جاء الأجل الأطول لا يؤخر فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه أنهم لانهماكهم في حب الحياة كأنهم شاكون في الموت قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا أي دائما فلم يزدهم دعائي إلا فرارا عن الإيمان والطاعة وإسناد الزيادة إلى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه جعلوا أصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر إلي من فرط كراهة دعوتي أو لئلا أعرفهم فأدعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة وأصروا أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا عن اتباعي استكبارا عظيما ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت

لهم إسرارا أي دعوتهم مرة بعد أخرى وكرة بعد أخرى على أي وجه أمكنني وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا أي مجاهرا به أو الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر إنه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما أمرهم بالعبادة قالوا إن كنا على حق فلا نتركه وإن كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب إليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو أوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى إصرارهم حبس الله عنهم القطر أربعين سنة وأعقم أرحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور يستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه فتكونوا على حال تأملون فيها تعظيمه إياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار أو لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وإنما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لأدنى الظن مبالغة وقد خلقكم أطوارا حال مقدرة

للإنكار من حيث أنها موجبة للرجاء فإن الله خلقكم أطوارا أي
تارات إذ خلقكم أولا عناصر ثم مركبات تغذي الإنسان ثم
أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم
أنشأكم خلقا آخر فإنه يدل على أنه يمكن أن يعيدكم تارة
أخرى فيعظمكم بالثواب وعلى أنه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة
ثم أتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال ألم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا أي في السموات
وهو في السماء الدنيا وإنما نسب إليهن لما بينهن من الملابسة
وجعل الشمس سراجا مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه
الأرض كما يزيلها السراج عما حوله والله أنبتكم من الأرض
نباتا أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لأنه أدل على
الحدوث والتكون من الأرض وأصله أنبتكم إنباتا فنبتم نباتا
فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين
ويخرجكم إخراجا بالحشر وأكده بالمصدر كما أكد به الأول دلالة
على أن الإعادة محققة كالبدء وأنها تكون لا محالة والله جعل
لكم الأرض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا
واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح
رب إنهم عصوني فيما أمرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله
وولده إلا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم
المغترين بأولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة
وفيه أنهم إنما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بأموال وأولاد

ادت

... من غير أن يعطف أحدهما على الآخر أحدهما رب إنهم عصوني وثانيهما لا تزد الظالمين إلا ضلالا فحكى الله تعالى أحد قوليه بتصديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأول بالواو النائبة عندنا عن لفظ قال أي قال رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الآية شيخ زاده

ادت بهم إلى الخسار ثم قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان
وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن والحزن أو جمع كالأسد
ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا
كبارا كبيرا في الغاية فإنه أبلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم
في الدين وتحريش الناس على أذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم
أي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
أي ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي أسماء رجال صالحين كانوا
بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا
وقد انتقلت إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث
لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ
يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد أضلوا
كثيرا الضمير للرؤساء أو للأصنام كقوله تعالى إنهن أضللن كثيرا ولا
تزد الظالمين إلا ضلالا عطف على رب إنهم عصوني ولعل المطلوب
هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أو
الضياع والهلاك كقوله إن المجرمين في ضلال مما خطيئاتهم من
أجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ أبو عمرو مما
خطاياهم أغرقوا بالطوفان فأدخلوا نارا المراد عذاب القبر أو
عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الإغراق والإدخال
أو لأن المسبب كالمتعقب للسبب وإن تراخى عنه لفقد شرط أو وجود
مانع وتنكير النار للتعظيم أو لأن المراد نوع من النيران فلم يجدوا
لهم من دون الله أنصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله

وقد تقرر أن الجمع المكسر غير الأوزان الأربعة التي هي أفعل وأفعال وأفعلة وفعلة جمع كثرة لا يطلق على ما دون العشرة ...

قوله لما جربهم واستقرى احوالهم قيل كان الرجل منهم ينطلق بابنه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي اوصاني بمثل
هذه الوصية فيموت الكبير وينشاء الصغير على ذلك وقيل ان نوحا عم عرف ذلك بالنص ايضا اي كما انه عرف بالاستقراء
والنص قوله تع لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقد مر في اول السورة ان قومه جميع اهل الارض ولما تبين عنده انه لن يؤمن
احد منهم دعا عليهم اجمعين ودعى النبي عم على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الاصل في الدعاء على الكافرين ولا يجوز ان يدعى
على الكافر المعين لانا لا نعلم خاتمته ومآل امره فلعل الله تع يحسن خاتمته ويحول حاله احسن الاحوال سيد زاده

لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا أي أحدا وهو مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار أو الدور
أصله ديوار ففعل به ما فعل بأصل سيد لا فعال وإلا لكان دوارا
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا قال ذلك
لما جربهم واستقرى أحوالهم ألف سنة إلا خمسين عاما فعرف
شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ و
شمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي أو مسجدي
أو سفينتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة ولا تزد
الظالمين إلا تبارا هلاكا عن النبي عم من قرأ سورة نوح كان
من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عم

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أوحي إلي وقرئ أحي وأصله وحي من وحى إليه فقلبت الواو
همزة لضمها ووحي على الأصل وفاعله أنه استمع نفر من الجن والنفر
ما بين الثلاثة إلى العشرة والجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم
النارية أو الهوائية وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل نفوس
بشرية مفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عم ما رآهم ولم يقرأ
عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر
الله به رسوله فقالوا إنا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا
مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف
به للمبالغة يهدي إلى الرشد إلى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن
ولن نشرك بربنا أحدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد

والله تع

قوله قولا ذا شطط اشارة الى ان شططا في النظم صفة مصدر محذوف بتقدير المضاف لان الفعل لا يوصف بانه في نفسه بعد
عن الحق والصواب ومجاوزة الحد في اي شيء كان الا على طريق المبالغة كما في رجل عدل وانما يقال قول شاط او ذو شطط فقدر
المضاف لذلك ثم اشار الى جواز ان يكون المعنى نقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما بعد ذكره السفيه عن الحق والصواب
في ذكر القول سيد زاده

وأنه تعالى جد ربنا قرأه ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة
المحكي بعد القول وكذا ما بعده إلا قوله وأن لو استقاموا وأن المساجد
وأنه لما قام فإنها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وأبو بكر إلا
في قوله وأنه لما قام على أنه استئناف أو مقول وفتح الباقون الكل
إلا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار
والمجرور في به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي
عظمته من جد فلان في عيني إذا عظم أو سلطانه أو غناه مستعار
من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة
والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا
ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر أي صدق ربوبيته
كأنهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك
واتخاذ الصاحبة والولد وأنه كان يقول سفيهنا إبليس أو مردة
الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد أو
هو شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله
وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم
للسفيه في ذلك لظنهم أن أحدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على
المصدر لأنه نوع من القول أو الوصف لمحذوف أي قولا مكذوبا
فيه ومن قرأ أن لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لأن التقول
لا يكون إلا كذبا وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن فإن الرجل كان إذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي
من شر سفهاء قومه فزادوهم فزاد الجن باستعاذتهم بهم رهقا

كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا
بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا
كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والايتان من كلام الجن بعضهم لبعض
او استيناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ان
لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء
طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب
كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه
فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم
الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء
المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية
عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة
لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي
شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي
شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك
في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة
السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون
المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف
الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب
او مثل طرائق مختلفة في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا
طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا
علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن

نعجزه

نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان
اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي
القران امنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ
فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها
بهم بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء
نقص ورهق لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق
الايمان بالقران ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك
تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما
القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس
وان لو استقاموا اي ان الشان لو استقام الانس او الجن او
كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا
عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه
اصل المعاش والسعة وعزة وجوده بين العرب لنفتنهم
فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على
طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القران لوسعنا عليهم
الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه
ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه
يدخله وقرا غير الكوفيين بالنون عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب
ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام

علة للنهي الخ فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اي النبي عم وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربي ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته

فان

فان ضللتم عن كفوله عم بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا رأوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادري وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا ليعلم النبي عم الموحى اليه ان قد ابلغ جبرئيل والملائكة النازلون بالوحي او ليعلم الله ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم

كما هي محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى
كل شيء عددا اخى الرمل والقطر عن النبي عم من قرا سورة
الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وايها تسع او عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها
فادغم التاء في الزاء وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها
اى الذي زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي عم تهجينا وتقبيحا
لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا
في قطيفة او تحسينا له اذ روى انه كان يصلي متلففا بمرط مفروش
على عائشة فنزل او تشبيها في تثاقله بالمزمل لانه لم يتمرن بعد
في قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذي تحمل
اعباء النبوة قم الليل اى قم الى الصلوة او داوم عليها وقرئ
بضم الميم وفتحها للاتباع او للتخفيف الا قليلا نصفه او انقص
منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا
وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه
كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء
منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير
بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف
والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين
من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير

بين

ورتل

بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا
اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها
من قولهم ثغر رتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين
سيما على الرسول صلى الله عم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها
امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل انه
مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة
معناه او ثقيل على المتامل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر
وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او
ثقيل تلقيه لقول عائشة رايته ينزل عليه الوحي في اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى
هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل
مستانفة فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ان ناشئة
الليل ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ
من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى
والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة
له او العبادة التي تنشأ اى تحدث او ساعات الليل لانها
تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا
ابتدات هي اشد وطأ اى كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو
وابن عامر وطاء اى مواطأة القلب اللسان لها او فيها او
موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واشد

مقالاً واثبت قراءة لحضور القلب وهدوّ الاصوات ان لك
في النهار سبحاً طويلاً تقلباً في مهامك واشتغالاً بها فعليك
بالتهجد فان مناجات الحق تستدعي فراغاً او وقوي سبحاً اي تفرق
قلب بالشواغل مستعار من سبح الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه
واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلاً ونهاراً وذكر الله يتناول
كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن
ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلاً وانقطع اليه بالعبادة
وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل
وضع موضع تبتلاً رب المشرق والمغرب خبر محذوف
او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون
غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف
القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلاً مسبب عن التهليل
فان توحده بالالوهية يقتضي ان يوكل اليه الامور واصبر على
ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجراً جميلاً بان تجانبهم
وتداريهم ولا تكافيهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرني والمكذبين
دعني واياهم وكل الى امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم
يريد صناديد قريش ومهلهم قليلاً زماناً او امهالاً قليلاً
ان لدينا انكالاً تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيماً
وطعاماً ذا غصة طعاماً ينشب في الحلق كالضريع والزقوم
وعذاباً اليماً ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه الا الله
ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح

فان

فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها
والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة
متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس
فسر العذاب بالحرمان على لقاء الله يوم ترجف الارض والجبال
تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالاً من معنى الفعل وكانت
الجبال كثيباً رملاً مجتمعاً كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء
اذا جمعته مهيلاً منثوراً من هيل هيلاً اذا نثر انا ارسلنا اليكم
رسولاً يا اهل مكة شاهداً عليكم يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة
والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولاً يعني موسى ولم يعينه
لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق
ذكره فاخذناه اخذاً وبيلاً ثقيلاً من قولهم طعام وبيل لا
يستمرى لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون
انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوماً عذاب يوم يجعل الولدان
شيباً من شدة هوله وهذا على الفرض او التمثيل واصله ان
الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصف
اليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تأويل
السقف او اضمار شيء شدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها
فضلاً عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولاً الضمير لله او
لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات الموعدة
تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً اي يتقرب
اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل

ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشيء اقل بعدا منه وقرأ ابن هشام ثلثي الليل وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن بعينه كيف تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استيناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه

عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه عم قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبرئيل فقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنبه وقيل المراد المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي

روى انه لما نزل كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن
انه الوحى وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما
بعده لافادة معنى الشرط كانه قال مهما وما يكن فكبر ربك او
للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه
عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول
ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به
وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوة
محبوب فى غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة كتقصيرها
مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات
المذمومة او فطهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال
الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال
القوة النظرية والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه
من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب
بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح
وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر
ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئا طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا
خاصا به لقوله صلى الله عليه وسلم المستغزر يثاب من
هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن
على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا
به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون

للوقف

للوقف او الابدال من تمنن على انه من منّ بكذا او تستكثر بمعنى تجده
كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون
الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى ولربك
ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق
التكاليف واذى المشركين فاذا نقر فى الناقور نفخ فى الصور
فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو
سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على زمان
صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا
ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين
فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت
النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف
لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير
تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر
بتيسره على المؤمنين ذرنى ومن خلقت وحيدا نزل فى
الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى
معه فانى اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم
يشركنى فى خلقه احد او من العائد المحذوف اى ومن خلقته
فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه
الله به تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن فى الشرارة
او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا
كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة

وبنين شهوداً حضوراً معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون
الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم
في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم
قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلثة خالد
وعمارة وهشام ومهدت له تمهيداً وبسطت له الرياسة
والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق
الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد
لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو
عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان
لاياتنا عنيداً فانه ردع له عن الطمع وتعليل على سبيل الاستيناف
بمعاندة ايات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة
قيل ما زال بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك سارهقه
صعوداً سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى
من الشدائد وعنه عم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين
خريفاً ثم يهوي فيه كذلك ابداً انه فكر وقدر تعليل للوعيد
او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعناً في القرآن وقدر
في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزاء
به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله
الله ما اشجعه اي ابلغ في الشجاعة مبلغاً يحق ان يحسد و
يدعو عليه حاسده بذلك روي انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه فقال لقد سمعت من محمد

آنفا

آنفا كلاماً ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان
عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو
ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا
اكفيكموه فقعد اليه حزيناً وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال
تزعمون ان محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن
فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى
شعراً وتزعمون انه كذاب فهل اجربتم عليه شيئاً من الكذب
فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين
منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية
ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن مرة
بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعناً ولم يدر
ما يقول او نظر الى رسول الله عم وقطب في وجهه وبسر اتباع
لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول عم واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه
لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر
وقوله ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك
لم يعطف عليها سأصليه سقر بدل من سارهقه صعوداً وما
ادريك ما سقر تفخيم لشانها وقوله لا تبقي ولا تذر بيان لذلك
او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقي على شيء
يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد

او لائحة للناس وقرئ بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر
ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان
اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية
الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست
منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار
والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه
ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربعة وعشرون خمسة
منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما
يؤاخذ به بانواع العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة
عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد
وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع
يعني نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم
ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الناس باسا واشد غضبا
لله روي ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش
ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت وما جعلنا
عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد
الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها
على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به
واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل

المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق القرآن لما راوا
ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به
او بتصديق اهل الكتاب ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
اي في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض
المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك
او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون
الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد
بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا
انه مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي
المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو
اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها
وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار
ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى
للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا
بها والقمر والليل اذ ادبر اي ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرا نافع
وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر
اضاء انها لاحدى الكبر لاحدى البلايا الكبر اي البلايا الكبرى كثيرة وسقر
واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة
التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم

أو تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد نذيراً للبشر تمييز أي لإحدى الكبر إنذاراً أو حال لما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة و
قرئ بالرفع خبراً ثانياً أو خبراً لمحذوف لمن شاء منكم أن يتقدم أو
يتأخر بدل من للبشر أي نذيراً للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف
عنه أو لمن شاء خبر لأن يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر
كالشتيمة أطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين إلا
أصحاب اليمين فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل
هم الملائكة أو الأطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من
أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين أي يسأل
بعضهم بعضاً أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه أي دعيناه
وقوله ما سلككم في سقر جواب له حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين
أجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك نطعم
المسكين ما يجب إعطاؤهم وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع
وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا
نكذب بيوم الدين أخره لتعظيمه أي وكنا بعد ذلك كله مكذبين
بالقيامة حتى أتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين لو شفعوا لهم جميعاً فما لهم عن التذكرة معرضين
أي معرضين عن التذكير يعني القرآن أو ما يعمه ومعرضين حال كأنهم
حمر مستنفرة نافرة فرت من قسورة شبههم في إعراضهم ونفارهم عن
استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة أي أسد فعولة من القسر

وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة قراطيس
تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا للنبي لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب
من السماء فيه من الله إلى فلان اتبع محمداً كلا ردع عن اقتراحهم الآيات
بل لا يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء
الصحف كلا ردع عن إعراضهم إنه تذكرة وأي تذكرة فمن شاء
ذكره فمن شاء أن يذكره ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله
ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وهو تصريح
بأن فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما
مشدداً هو أهل التقوى حقيق بأن يتقى عقابه وأهل المغفرة
حقيق بأن يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي عم من قرأ سورة
المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بيوم القيامة إدخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في
كلامهم كما قال امرؤ القيس لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني
أفر وقد مر الكلام فيه في قوله فلا أقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل
لأقسم بغير الألف بعد اللام وكذا روي عن البزي ولا أقسم بالنفس
اللوامة بالنفس المتقية التي تلوم النفس المقصرة في التقوى يوم القيامة
على تقصيرها أو التي تلوم نفسها أبداً وإن اجتهدت في الطاعة أو النفس
المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة أو بالجنس لما روي أنه عم قال ليس
من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً
قالت كيف لم أزدد وإن عملت شراً قالت يا ليتني كنت قصرت أو بنفس

آدم فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة. فضمها الى يوم القيامة
لان المقصود من اقامتها مجازاتها. ايحسب الانسان يعني الجنس واسناد
الفعل اليه لان فيهم من يحسب او الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك
اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام. الن نجمع عظامه بعد
تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول. بلى نجمعها قادرين على ان
نسوي بنانه بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها
ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه
فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع على
نحن قادرون. بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما
وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام
ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان. يسأل ايان يوم
القيامة متى يكون استبعادا او استهزاء. فاذا برق البصر تحير فزعا
من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح
وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق
الباب اي انفتح. وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول
وجمع الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه
الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت
ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة
في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان
القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف. يقول الانسان يومئذ

اين

اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان
كلا ردع عن طلب المفر. لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر
وهو الثقل. الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار
امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار. ينبأ
الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما
قدم من عمل او بما اخر من سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما
اخر فخلفه او باول عمله وآخره. بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها
لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء
ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع
معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر
لا تحرك يا محمد به بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجلة
مخافة ان يتفلت منك. ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه واثبات قراءته في لسانك
وهو تعليل للنهي. فاذا قرأناه بلسان جبرائيل عليك فاتبع قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى
يرسخ في ذهنك. ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على
جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما هو يؤكد التوبيخ على حب
العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف
بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان
المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له
لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته
فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه
كلا ردع للرسول عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله بل تحبون

العاجلة ويذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون
على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده
قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريان بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية
متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه
ولذلك قدم المفعول وليس كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان
المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر اذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك
زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة
شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد
كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي بلغت النفس اعالي الصدر
واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها
من يرقيه مما به من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة
الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به
فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا
يقدر تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق
سوقه الى الله وحكمه فلا صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا
زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن
كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك
من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر
فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك الله ما تكرهه واللام

مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من
دون او فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اي يتكرر ذلك عليه
مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن
تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر بالمحاسن والنهي
عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي قد لا يكون في الدنيا فيكون
في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله
فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة
على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي
الموتى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة
القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله
اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان
الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية
كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد
بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان او آدم بين اولا خلقه ثم ذكر خلق
بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشيج او مشج من مشجت الشيء اذا خلطته
ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة
الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو
وقيل مفرد كاعشار وأكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة
اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام

قوله بمعنى مريدين اختباره اشارة الى انه حال مقدرة لا مقارنة والانسان بمعزل عن الابتلاء والامتحان وقت خلقه لانه غير مكلف فيه وحال مقارنة ان كان بمعنى نقله في بطن امه من حال الى حال سيخ زاده

قوله ليطابق قسيمه علة للنفي ومعناه يقال كافرا بدل كفورا فانه لو قيل كذلك لطابق قوله شاكرا وقوله محافظة للنفي اي لعدم قوله كافرا والفواصل

تمام الخلقة نبتليه في موقع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او للتقسيم اي هديناه في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد جمع شاهد يشربون من كأس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كأس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده يشرب بها عباد الله اي ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤوا اجراء سهلا يوفون

بالنذر

قوله او لا نطلب المكافاة منكم على انه يكون قوله انا نخاف تعليلا لقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء اي لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة سيخ زاده

بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسئل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوما عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم زائدة فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله عم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة عليها السلام وفضة جارية لهما

قوله وايثار الاموال الى ان المراد بقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط بل جميع طرق المواساة باهل الحاجات من الطعام والكسوة ويدل عليه عطف قوله وحريرا على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على ما فعلوه في الدنيا مما يؤدي الى الجوع والعري والمجازاة بالجنة تناسب صبرهم على الجوع والمجازاة بالحرير تناسب صبرهم على العري سيخ زاده

صوم ثلث أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون
الخيبري ثلث أصوع من شعير وطحنت فاطمة صاعا واختبزت
خمس أقراص فوضعوا بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين
فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا
الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير
ففعلوا مثل ذلك فنزل جبرئيل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هنأك
الله في أهل بيتك متكئين فيها على الأرائك حال من هم في جزاهم أو صفة
لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وأن يكون حالا أخرى أو من المستكن
في متكئين والمعنى أنه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد
مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طيء قال وليلة ظلامها قد اعتكر
قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى أن هواءها مضيء بذاته لا يحتاج
إلى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها حال أو صفة أخرى معطوفة على ما
قبلها أو عطف على جنة أي وجنة أخرى دانية على أنهم وعدوا جنتين كقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على أنها خبر ظلالها والجملة
حال أو صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبلها أو حال من دانية
وتذليل القطوف أن تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف
شاؤوا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب وأباريق بلا عروة كانت قواريرا
قواريرا من فضة أي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها
وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا وابن كثير الأول
لأنها رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها تقديرا أي
قدروها في أنفسهم فجاءت مقاديرها وأشكالها كما تمنوه أو قدروها بأعمالهم الصالحة

فجاءت

فجاءت على حسبها أو قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها
على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها أي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من
قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا
ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به
عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها
يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به
أن ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل أصله سل سبيلا فسميت
به كتأبط شرا لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف
عليهم ولدان مخلدون دائمون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من
صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم إلى بعض
وإذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لأنه عام معناه أن بصرك
أينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث أدنى أهل الجنة
منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا
وللعارف أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت
فتستضيء بأنوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق يعلوهم ثياب
الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم أو حسبتهم
أو ملكا على تقدير مضاف أي أهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة عاليهم
بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملا على سندس
بالمعنى فإنه اسم جنس وإستبرق بالرفع عطف على ثياب وقرأ أبو عمرو وابن
عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي بالجر وقرئ
وإستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا

النوع غير منصرف

النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم
ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض
فان حلي اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء
بما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة
او حال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم
وذلك للمخدومين وسقيهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا اخر
يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق
فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات
الصديقين ولهذا ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار
القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازا
عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما لحكمة
اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر
لحكم ربك بتاخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او
كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي
في الكفر الداعي لك اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق
العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان
ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعي ان يكون
المطاوعة في الاثم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير
محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره او دم
على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن

الليل

الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلوة المغرب
والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد التكلف والخلوص
وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء
يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم
يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل
لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا
ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا
واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر
يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع
واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة
الى السورة او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب
اليه بالطاعة وما تشاؤن الا ان يشاء الله وما تشاؤن ذلك الا
وقت ان يشاء الله مشيتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بما يستاهل كل احد حكيما لا يشاء
الا ما يقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق
للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره
اعد لهم مثل اوعد او كافا ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ
بالرفع على الابتداء عن النبي عم من قرا سورة هل اتى على الانسان
كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات

نذراً فالملقيات ذكراً أقسم بطوايف من الملئكة أرسلهن الله بأوامره
متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره ونشرن الشرايع
في الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن
بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكراً عذراً للمحقين ونذراً
للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عم فعصفن
سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق
والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين
او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى
الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل
في نفسه فيرون كل شيء هالكاً الا وجهه فالقين ذكراً بحيث لا يكون
في القلوب والألسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن
ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكراً اي تسببن
له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تع وتذكر كمال
قدرته وعرفاً اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان
والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال
عذراً او نذراً مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف
او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر
والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اي عذراً للمحقين ونذراً للمبطلين
او البدلية من ذكراً على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك
والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقراهما ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي

توعدونه

توعدونه من مجيء القيامة كاين لا محالة فاذا النجوم طمست محقت
او محيت اذا ذهب نورها واذا السماء فرجت صدعت واذا الجبال
نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل اقتت عين لها وقتها
الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم
قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرا ابو عمرو وقتت
على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل
للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني
مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل
وما ادريك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل
يومئذ للمكذبين اي بذلك اليوم وويل في الاصل مصدر منصوب
باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود
وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين اي ثم نحن نتبعهم
نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفاً على نهلك فيكون الآخرين المتاخرين
من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عم كذلك نفعل بالمجرمين
بكل من اجرم ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه فليس تكريراً
وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول
لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن
شايع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة مذرة
ذليلة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم
من الوقت قدره الله للولادة فقدرنا فقدرنا على ذلك او فقدرناه

ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة
الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام
والجماع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت
وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها احياء وامواتا
منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء
الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية
من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية
وكفاتا حال اي الحال فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات
ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا
ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم واشعار بان فيها ما لم يعرف
ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها
ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال
لهم انطلقوا عموما الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا
خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم
للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم كقوله وظل من
يحموم ذي ثلث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان
العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والوهم والخيال او لان
المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة في الدماغ
والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره

ولذلك

ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة
عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل
ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها
ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر عظما ويؤيده
انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر
بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج
والهاء للشرر كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر
فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد
الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون
والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرا حمزة والكسائي
وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها
وهي الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها في امتداده
والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اي
بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط
الدهشة والحيرة وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب
اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون
عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن والاعتذار
عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم
لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن
لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق
والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان

لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار
لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين إذ لا حيلة لهم في التخلص من
العذاب إن المتقين من الشرك في مقابلة المكذبين
في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون
في أنواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
أي مقولا لهم ذلك إنا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة وويل
يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم
الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا حال من المكذبين أي الويل ثابت
لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما
جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم قليلا
إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا أنفسهم
للعذاب الدائم بالتمتع القليل وإذا قيل لهم اركعوا أطيعوا واخضعوا
أو صلوا واركعوا في الصلاة إذ روي أنه نزل حين أمر
رسول الله ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبي أي لا نركع ولا نسجد
فإنها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود
فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على أن
الأمر للوجوب وأن الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ
للمكذبين فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون إذا
لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة
والمعاني الشريفة قال النبي عم من قرأ سورة
والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ اربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم يتساءلون أصله عما فحذف الألف لما مر ومعنى هذا الاستفهام
تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل
عنه والضمير لأهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم أو
يسألون الرسول والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم
ويتراءونهم أي يدعونهم ويرونهم أو للناس عن النبإ العظيم
بيان للشأن المفخم أو صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر يفسره
ويدل عليه قراءة يعقوب عمه الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي
والشك فيه أو بالإقرار والإنكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل
ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للإشعار بأن الوعيد
الثاني أشد وأبلغ وقيل الأول عند النزع والثاني عند القيامة أو
الأول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير
قل لهم ستعلمون ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا تذكير
ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا
بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا أي أنها لهم
كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم أزواجا
ذكرا وأنثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الإحساس والحركة استراحة
للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها أو موتا لأنه أحد التوفيين ومنه
المسبوت للميت وأصله القطع أيضا وجعلنا الليل لباسا غطاء
يستتر بظلمته من أراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت

معاشاً تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حيوة تبعثون فيه عن
نومكم وبنينا فوقكم سبعاً شداداً سبع سموات اقوياء محكمات لا
يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجاً وهاجاً متلألئاً وقاداً
من وهجت النار اذا اضاءت او بالغاً في الحرارة من الوهج والمراد
الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اي شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان
يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما
جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده
انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجاً منصباً بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب
دماء الهدي وقرئ ثجاحاً ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حباً ونباتاً
ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافاً ملتفة
بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق او لفيف
كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف
الزوائد ان يوم الفصل كان في علم الله او في حكمه ميقاتاً حداً توقت
به الدنيا وتنتهي عنده او حداً للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ
في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتأتون افواجاً جماعات من
القبور الى المحشر روي انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر
عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة
الخنازير وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم

عمي

عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على
صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم
مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من
نار وبعضهم اشد نتناً من الجيف وبعضهم يلبسون جباباً سابغة
من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت
واكلة الربوا والجائرين في الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين
خالف قولهم عملهم والموذين جيرانهم والساعين بالناس الى
السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء
وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابواباً فصارت
من كثرة الشقوق كأن الكل ابواب او فصارت ذات ابواب
وسيرت الجبال في الهواء كالهباء فكانت سراباً مثل سراب اذ
ترى على صورة الجبال ولم تبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها
ان جهنم كانت مرصاداً موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار
او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها
كالمضمار فانه الموضع الذي تضمر فيه الخيل او مجدة في ترصد الكفرة
لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام
الساعة للطاغين مآباً مرجعاً ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح
لبثين وهو ابلغ احقاباً دهوراً متتابعة وليس فيه ما يدل على
خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف
سنة فليس فيه ما يقتضي تناهي تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد
احقاباً مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم

فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا حالا من المستكن في لابثين أو نصب أحقابا
بلا يذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين إلا حميما وغساقا
ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من
حقب الرجل إذا أخطأه الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره
فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد
بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار أو النوم وبالغساق ما
يغسق أي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد
إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالتشديد جزاء وفاقا أي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم
أو موافقا لها أو وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا إنهم
كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء وكذبوا بآياتنا كذابا
تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف
وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه
إنما أقيم مقام التكذيب للدلالة على أنهم كذبوا في تكذيبهم أو
المكاذبة فإنهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين
عندهم فكان بينهم مكاذبة أو كانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين
فيه وعلى المعنيين يجوز أن يكون حالا بمعنى كاذبين ويؤيده أنه قرئ
كذابا وهو جمع كاذب ويجوز أن يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر
أي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شيء أحصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء
كتابا مصدر لأحصيناه فإن الإحصاء والكتبة يتشاركان في معنى

الضبط

الضبط أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو صحف الحفظة
والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا مسبب عن
كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات
للمبالغة وفي الحديث هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار
إن للمتقين مفازا فوزا أو موضع فوز حدائق وأعنابا بساتين
فيها أنواع الأشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال أو البعض
وكواعب نساء فلكت ثديهن أترابا لدات وكأسا دهاقا ملآنا
وأدهق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي
بالتخفيف أي كذبا أو مكاذبة إذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من
ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل
من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من أحسبه الشيء
إذا كفاه حتى قال حسبي أو على حسب أعمالهم وقرئ حسابا أي محسبا
كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والأرض وما بينهما بدل من
ربك وقد رفعه الحجازيان وأبو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة
له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب ووافقهم حمزة والكسائي في
جر رب ورفعا الرحمن على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره لا يملكون
منه خطابا والواو لأهل السموات والأرض أي لا يملكون خطابه
والاعتراض عليه في ثواب وعقاب لأنهم مملوكون له على الإطلاق
فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه
يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له
الرحمن وقال صوابا تقرير وتأكيد لقوله لا يملكون فإن هؤلاء

الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او ليتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرئيل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الاخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي عم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة

٢٩٥

فيدبرون امر عقابها وثوابها بان تهيئها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج الى بلد ويسبحون في الفلك فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركتها من برج الى برج ملائمة سمي الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة

ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحيوة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا وقيل

لجهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتيك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لان في النداء معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تع فقولا له قولا لينا فاراه الاية الكبرى اي فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالاية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الاية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعد ما راى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلي امركم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اخذا منكلا لمن راه او سمعه في الاخرة بالاحراق وفي الدنيا بالاغراق او على كلمته الاخرة وهي هذه وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء

ثم بين كيف خلقها فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا

فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه

واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها

كقوله تعالى والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها

ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض

والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التى

تطم اى تعلو على ساير الدواهى الكبرى التى هى اكبر الطامات وهى القيمة او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل

النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل

من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن راى

ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت

محذوف دل عليه يوم يتذكر او ما بعده من التفصيل فاما من طغى

حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة

وتهذيب النفس فان الجحيم هى المأوى هى مأواه واللام فيه ساد

مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل او مبتدأ

واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد

ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هى المأوى ليس له

سواها مأوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها

اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو

حيث تنتهى اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها فى اى شئ انت

من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها

فى شئ فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله

تعالى وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستانف معناه

انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان ارسالك خاتما

للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك

منتهيها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار

من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى

لانه المنتفع به وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل

لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا فى الدنيا او فى القبور الا

عشية او ضحيها اى عشية يوم او ضحاه كقوله تعالى الا ساعة من نهار

ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبى عم من قرأ

سورة والنازعات كان ممن حبسه الله يوم القيمة حتى يدخل الجنة قدر

صلوة المكتوبة بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله
علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول
الله قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة
مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس
على اختلاف المذهبين وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه
الاعمى فعل ذلك وذكر الاعمى للاشعار بعذره للاقدام على قطع كلام
الرسول بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة
الانكار كأنه يقول تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك
لعله يزكى اي واي شيء يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما
يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه
الذكرى اي يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اي
انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت
عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا
للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله
تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصّدى بالادغام وقرئ تُصدى اي
تُعرَّض وتدعى الى التصدي وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس
في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض
عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا
للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق

لانه

لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى
وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب كان على
اهتمامه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا
ردع له عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء
ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث
الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان
او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة مرفوعة القدر مطهرة
منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء
ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين
الله ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب
للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله
او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء
قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من
افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من
اي شيء خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام
للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه
لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم
خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح
فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب
السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون
الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان

الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ثم اماته
فاقبره ثم اذا شاء انشره وعدّ الاماتة والاقبار في النعم
لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحيوة الابدية واللذات الخالصة
والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار
بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيته
كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من
لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد
من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية
بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية احداث
الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم
شققنا الارض شقا اى بالنبات او بالكراب واسند الشق
الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير
وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها
تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما
وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار
غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من أبّ
اذا أمّ لانه يؤم وينتجع او من أبّ لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ
للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان
الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت
الصاخة اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله

بشأنه

بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما
قصّر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كأنه قيل
يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم
يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اى
يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح ضاحكة
مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار
وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة
الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم
الغبرة قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه
ضاحك مستبشر

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى
رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب
انبساطه في الآفاق وزال اثره او القيت من فلكها من طعنه فكوّره
اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس
بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا
النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدر او
اظلمت من كدرت الماء فانكدر واذا الجبال سيرت عن وجه الارض
او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر
جمع عشراء عطلت تركت مهملة او السحائب عطلت عن المطر
وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب او

بعثت للقصاص ثم ردت ترابا أو أميتت من قولهم إذا أجحفت
السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد وإذا البحار سجرت
أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى يعود بحرا واحدا من
سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
ويعقوب بالتخفيف وإذا النفوس زوجت قرنت بالأبدان أو كل منها
بشكلها أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين
بالشياطين وإذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب تئد
البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن سئلت
بأي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى
لعيسى أأنت قلت للناس وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها
وسألت الله أو وائدها وقتلت على الإخبار عنها وقرئ قتلت
على الحكاية وإذا الصحف نشرت يعني صحائف الأعمال فإنها تطوى
عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين
أصحابها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد
للمبالغة في النشر أو لكثرة الصحف أو لشدة التطاير وإذا
السماء كشطت قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة
وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير وإذا الجحيم سعرت
أوقدت إيقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص و
رويس بالتشديد وإذا الجنة أزلفت قربت من المؤمنين علمت
نفس ما أحضرت جواب إذا وإنما صح والمذكور في سياقها
ثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل خراب

السابعة الى قوله واذا النفوس زوجت

الدنيا

الدنيا وست بعده لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة
النفوس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من
جرادة فلا أقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر
وهي ما سوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها
بقوله الجوار الكنس أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس
من كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان
الشجر والليل إذا عسعس أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد
يقال عسعس الليل وسعسع إذا أدبر والصبح إذا تنفس أي أضاء
غبرته عند إقبال روح ونسيم إنه أي إن القرآن لقول رسول
كريم يعني جبرائيل فإنه قاله عن الله ذي قوة كقوله شديد القوى
عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم
أمين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده وقرئ ثم
تعظيما للأمانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم
بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبرئيل على
محمد عم حيث عد فضائل جبرائيل واقتصر على نفي الجنون عن النبي م
وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر أفترى على
الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد
رآه ولقد رأى رسول الله جبرائيل بالأفق المبين بمطلع الشمس
الأعلى وما هو وما محمد على الغيب على ما يخبره من الوحي إليه
وغيره من الغيوب بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع
وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين بالضاد من الضن وهو البخل أي

لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما
يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف
اللسان وأصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم
بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي قولهم إنه لكهانة وسحر
فأين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول والقرآن
كقولك لتارك الجادة أين تذهب إن هو إلا ذكر للعالمين تذكير
لمن يعلم لمن شاء منكم أن يستقيم بتحري الحق وملازمة الصواب
وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون الاستقامة
يا من يشاؤها إلا أن يشاء الله إلا وقت أن شاء الله مشيئتكم
فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله
قال عم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر
صحيفته

سورة الانفطار مكية وآيتها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انفطرت انشقت وإذا الكواكب انتثرت تساقطت
متفرقة وإذا البحار فجرت فتح بعضها إلى بعض فصار الكل بحرا
واحدا وإذا القبور بعثرت قلب ترابها وأخرج موتاها وقيل
إنه مركب من بعث وراء الإثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى
علمت نفس ما قدمت من عمل أو صدقة وأخرت من سيئة أو تركة
ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع وهو جواب إذا يا أيها الإنسان
ما غرك بربك الكريم أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وذكر
الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار فإن محض الكرم لا يقتضي

إهمال

إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي فكيف
إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام والإشعار بما به يغره الشيطان
فإنه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحدا ولا يعاجل
بالعقوبة والدلالة على أن كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا
الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك فسواك فعد
لك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من
قدر على ذلك أولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الأعضاء سليمة
مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة
الأعضاء أو معدلة بما تستعد لها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك
بالتخفيف أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت أو فصرفك
عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في أي
صورة ما شاء ركبك أي ركبك في أي صورة شاءها وما مزيدة
وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وإنما لم تعطف
الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله
وقوله بل تكذبون بالدين إضراب إلى بيان ما هو السبب الأصلي
في اغترارهم والمراد بالدين الجزاء أو الإسلام و[illegible] لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون [illegible] به ورد
لما يتوقعون من التسا[illegible] تعظيم الكتبة بكونهم كراما
عند الله لتعظيم الجزاء إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم
بيان لما يكتبون لأجله يصلونها يقاسون حرها يوم الدين
وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها

قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم
الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتعظيم لشان اليوم اي
كنه امره بحيث لا يدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا
ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر
لمحذوف وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة انفطرت كتب الله له بعدد
كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة المطففين

مكية وقيل مدنية اَيها ست وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس
طفيف حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت
فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله
عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما
ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا
منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم
القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من
الناس حقوقهم ياخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان
اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم
او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار
واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا بمعنى جنيت لك او
كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فلا يحسن
جعل المنفصل تاكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ

المقصود

٤٠٧

المقصود بيان اختلال حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها
ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره
الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على
امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم
ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون
او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين
لحكمه وفي هذه الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم
وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع
عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث
والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي
سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك
ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه
انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس
او لانه مطروح كما قيل انه تحت الارضين في مكان وحش وقيل
هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف
المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون
بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا
كل معتد متجاوز عن النظر غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله
وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك في الشهوات المخدجة بحيث
اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا

فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل كلا ردع عن
هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان
لما أدى بهم إلى هذا القول بأن غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك فيه
حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فإن كثرة
الأفعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام إن العبد كلما أذنب
ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ
حفص بل ران بإظهار اللام كلا ردع عن الكسب الرائن إنهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن أنكر الرؤية جعله
تمثيلا لإهانتهم بإهانة من يمنع عن الدخول على الملوك أو قدر مضافا
مثل رحمة ربهم أو قرب ربهم ثم إنهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار
ويصلون بها ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقول لهم الزبانية كلا
تكرير للأول ليعقب بوعد الأبرار كما عقب بوعيد الفجار إشعارا بأن
التطفيف فجور والإيفاء بر أو ردع عن التكذيب إن كتاب الأبرار
لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر
في نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه أو يشهدون
على ما فيه يوم القيامة إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك على الأسرة في
الحجال ينظرون إلى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف في
وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف
على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص
مختوم ختامه مسك أي مختوم أوانيه بالمسك مكان الطين و
لعله تمثيل لنفاسته أو الذي له ختام أي مقطع هو رائحة المسك

وقرأ

وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء وكسرها أي ما يختم به ويقطع وفي
ذلك يعني الرحيق أو النعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون
ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها
أو رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فإنهم يشربونها صرفا
لأنهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر أهل الجنة وانتصاب عينا
على المدح أو الحال من تسنيم والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله
إن الذين أجرموا يعني رؤساء قريش كانوا من الذين آمنوا يضحكون
كانوا يستهزئون بفقراء المؤمنين وإذا مروا بهم يتغامزون يغمز
بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا
فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين وإذا رأوهم
قالوا إن هؤلاء لضالون وإذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضلال وما
أرسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون
برشدهم وضلالهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين
يرونهم أذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال لهم
اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليه أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على
الأرائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار أي هل أثيبوا
ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي بإدغام اللام في الثاء
قال عليه السلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم
يوم القيامة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام

وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة وأذنت لربها واستمعت
له أي انقادت لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع
الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت وجعلت حقيقة بالاستماع
والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق وإذا الأرض مدت
بسطت بأن تزال جبالها وآكامها وألقت ما فيها ما في جوفها من
الكنوز والأموات وتخلت وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى
لا يبقى شيء في باطنها وأذنت لربها في الإلقاء والتخلية وحقت
للإذن وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة
وجوابه محذوف للتهويل بالإبهام أو الاكتفاء بما مر في سورة
التكوير والانفطار أو لدلالة قوله يا أيها الإنسان إنك كادح
إلى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الإنسان كدحه أي جهدا
يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه أو ملاقيه ويا أيها الإنسان إنك
كادح إلى ربك كدحا اعتراض والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه
فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا
لا يناقش فيه وينقلب إلى أهله مسرورا إلى عشيرته المؤمنين
أو فريق المؤمنين أو أهله في الجنة من الحور وأما من أوتي كتابه وراء
ظهره أي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه
إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى
الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان
والشامي والكسائي ويصلى كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله
وتصلية جحيم إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال و

الجاه

والجاه فارغا عن الآخرة إنه ظن أن لن يحور لن يرجع إلى الله تعالى
بلى إيجاب لما بعد لن إن ربه كان به بصيرا عالما بأعماله فلا يهمله
بل يرجعه ويجازيه فلا أقسم بالشفق الحمرة التي ترى في أفق
المغرب بعد الغروب وعن أبي حنيفة أنه البياض الذي يليها
سمي به لرقته ومنه الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره
من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات
لو يجدن سائقا أو طرده إلى أماكنه من الوسيقة والقمر إذا
اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة
لأختها في الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة أو
مراتب من الشدة بعد المراتب وهي الموت ومواطن القيامة وأهوالها
أو هي وما قبلها من الدواهي على أنها جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة
والكسائي لتركبن بالفتح على أنه خطاب الإنسان باعتبار اللفظ
أو الرسول على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال
ومرتبة أو طبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر
على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا أو
حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق أو مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون
بيوم القيمة وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون
أو لا يسجدون لتلاوته لما روي أنه عم قرأ واسجد واقترب
فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم
فنزلت واحتج به أبو حنيفة على وجوب السجود فإنه ذم
لمن يسمعه ولم يسجد فيها وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال

وَاللهِ ما سجدتُ فيها إلا بعد أن رأيتُ رسولَ الله يسجد فيها
بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن والله أعلم بما يوعون يضمرون
في صدورهم من الكفر والعداوة فبشّرهم بعذاب أليم استهزاء بهم
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع أو متصل والمراد
من تاب وآمن منهم لهم أجر غير ممنون مقطوع أو ممنون به عليهم
عن النبي عم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه
وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها اثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور
لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر
أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء
فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور واليوم الموعود
يوم القيامة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق
وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد
ومشهود لا يكتنه وصفهما أو المبالغة في الكثرة وكأنه قيل ما أفرطت
كثرته من شاهد ومشهود أو النبي عم وأمته وسائر الأمم أو كل
نبي وأمته أو الخالق والخلق أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه
وهو شاهد على وجوده أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر
أو عرفة والحجيج أو يوم الجمعة والمجمع فإنه يشهد له أو كل يوم
وأهله قتل أصحاب الأخدود قيل إنه جواب القسم على حذف اللام
قيل والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون

يعني كفار

يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود فإن السورة وردت لتثبيت
المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والأخدود الخد
وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعنى الخق والأخقوق روي
مرفوعا أن ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه وكان في
طريقه راهب فمال قلبه إليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست
الناس فأخذ حجرا وقال اللهم إن كان الراهب أحب إليك من
الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ
الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء وعمي جليس الملك فأبرأه
فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وأرسل الغلام إلى جبل
ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا وأجلسه في سفينة
ليغرق فدعا فانقلبت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال
للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما
من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع
في صدغه ومات فآمن الناس فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وعن علي أن
بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال إن الله أحل نكاح الأخوات
فلم يقبلوه فأمر بأخاديد النار فطرح فيها من أبى وقيل لما تنصر
أهل نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد
من لم يرتد النار بدل من الأخدود بدل الاشتمال ذات الوقود

صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس.
إذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون
بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما
أمر به أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة حين تشهد عليهم ألسنتهم
وأيديهم وما نقموا وما أنكروا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز
الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه
حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات
والأرض والله على كل شيء شهيد للإشعار بما يستحق أن يؤمن به
ويعبد إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالأذى ثم لم
يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد
في الإحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا أصحاب الأخدود و
بعذاب الحريق ما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك
الفوز الكبير إذ الدنيا وما فيها تصغر دونه إن بطش ربك لشديد
مضاعف عنفه فإن البطش أخذ بعنف إنه هو يبدئ الخلق و
يعيده أي يبدئ الخلق ويعيده أو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا
ويعيده في الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن أطاع
ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش
صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود
تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك أو للعرش

ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من أفعاله
وأفعال غيره هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود أبدلهما من
الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم
للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم
مثل ما أصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى
الإضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء فإنهم سمعوا قصتهم
ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم والله من ورائهم
محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل
هو الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ
قرآن مجيد بالإضافة أي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من
التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن وقرئ في لوح
وهو الهواء يعني باللوح ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد
كل جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الأصل
لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي
فيه وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب
الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الأفلاك والمراد الجنس أو المعهود
بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه
تفخيما لشأنه إن كل نفس لما عليها أي إن الشأن كل نفس لعليها حافظ

رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا على أنها بمعنى الا وإن نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الإنسان مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله تع يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك أن الدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المني ولذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي

يتحرك

يتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوبا لأن الله يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من أن السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه إلى الأرض وعلى هذا يجوز أن يراد بالسماء السحاب والأرض ذات الصدع ما يتصدع عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون إنه أي إن القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله إنهم يعني أهل مكة يكيدون كيدا في إبطاله وإطفاء نوره وأكيد كيدا وأقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم أو لا تستعجل بإهلاكهم أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي عم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الأعلى مكية وآيها تسع عشر بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره ذاهبا فيه سواهم وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال عم اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر أي قدر أجناس الأشياء

وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها
وقرأ الكسائي قدر بالتخفيف فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعاً أو
اختياراً بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات
والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته
غثاء أحوى يابساً أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه
أحوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبرائيل أو سنجعلك
قارئاً بإلهام القراءة فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ مع أنك
أمي ليكون ذلك آية أخرى لك مع أن الإخبار به عما يستقبل ووقوعه
كذلك أيضاً من الآيات وقيل نهي والألف للفاصلة كقوله السبيلا
إلا ما شاء الله نسيانه بأن نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة و
الندرة لما روي أنه عم أسقط آية في قراءته في الصلوة فحسب
أبي أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو نفي النسيان رأساً فإن
القلة تستعمل للنفي إنه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من أحوالكم
وما بطن أو جهرك بالقراءة مع جبرائيل وما دعاك إليه من مخافة
النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء وإنساء ونيسرك لليسرى
ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي أو التدين ونوفقك لها
ولهذه النكتة قال ونيسرك لا ونيسر لك عطف على سنقرئك
وإنه يعلم اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الأمر إن نفعت
الذكرى لعل هذه الشرطية إنما جاءت بعد تكرير التذكير و
حصول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم
كقوله وما أنت عليهم بجبار الآية أو لذم المذكرين واستبعاد

تأثير

تأثير الذكرى فيهم أو للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن
نفعه ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ
وينتفع بها من يخشى الله فإنه يتفكر بأن يتأمل فيها فيعلم
حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب
الذكرى الأشقى الكافر فإنه أشقى من الفاسق أو الأشقى من
الكفرة الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم فإنه عليه السلام قال
ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم أو ما في الدرك
الأسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة تنفعه
قد أفلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية أو تكثر من التقوى
من الزكاء أو تطهر للصلوة أو أدى الزكاة وذكر اسم ربه
بقلبه ولسانه فصلى كقوله أقم الصلوة لذكري ويجوز أن
يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر
اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلوته بل تؤثرون الحيوة
الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للأشقين
على الالتفات أو على إضمار قل أو للكل فإن السعي للدنيا أكثر في
الجملة وقرأ أبو عمرو بالياء والآخرة خير وأبقى فإن نعيمها ملذ
بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له إن هذا لفي الصحف
الأولى الإشارة إلى ما سبق من قد أفلح إلخ فإنه جامع أمر الديانة
وخلاصة الكتب المنزلة صحف إبراهيم وموسى بدل من الصحف
الأولى قال عم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله عشر حسنات
بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم وموسى ومحمد عم

الكبير اذ رزقنا وجميع
المؤمنين

سورة الغاشية مكية وايها احدى وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدايدها
يعني يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه
يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل
وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في
تلالها ووهادها او عملت ونصبت في الاعمال لا تنفعها يومئذ
تصلى نارا تدخلها وقرا ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه
الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر
تسقى من عين انية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا
من ضريع يبيس الشبرق وهو الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا
وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء
والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه
الابل وتتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من
جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة
ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت
ثوابه في جنة عالية علية المحل والقدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه
وقرئ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء
نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل
الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية تجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير
للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك والقدر واكواب

جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق
وسايد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي
وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون
نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن
تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة
باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق
لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا
ليتاتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك
خصت بالذكر لبيان الايات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات
واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل
المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت
بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض
كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال
الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى
افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسايط والمركبات
ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك
عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال
فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا او لم يذكروا اذ ما
عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمتسلط وعن هشام
بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى
وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعني عذاب الاخرة وقيل متصل

فإنه جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل استثناء من قوله فذكر أي فذكر الا من تولى وأصر فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الأول انه قرئ ألا على التنبيه إن إلينا إيابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر فيعل من الإياب أو فعال من أوب قلبت واوه الأولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام ثم إن علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد عن النبي عم من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر أقسم بالصبح أو فلقه كقوله والصبح إذا تنفس أو بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو عشر رمضان الأخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام والشفع والوتر والأشياء كلها شفعها ووترها أو الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين اثنين والخالق لأنه فرد ومن فسرهما بالعناصر والأفلاك أو البروج والسيارات أو بشفع الصلاة ووترها أو بيوم النحر وعرفة وقد روي مرفوعا أو بغيرها فلعله أفرد بالذكر من أنواع المدلول ما رآه أظهر دلالة على التوحيد أو مدخلا في الدين أو مناسبة لما قبلهما أو أكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل إذا يسر إذا يمضي كقوله والليل إذ أدبر والتقييد بذلك لما في

التعاقب

التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وأبو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب أصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم أو المقسم به قسم حلف أو محلوف به لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لأنه يحجر عما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد يعني أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عم قوم هود سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم باسمه إرم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف أي سبط إرم أو أهل إرم إن صح انه اسم بلدتهم وقيل سمي أوائلهم وهم عاد الأولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع أو القدود الطوال أو الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الأمر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحاري عدن جنة وسماها إرم فلما تمت سار إليها بأهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله ابن قلابة انه خرج في طلب إبل له فوقع عليها التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة

اى البلدة وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل
كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادى القرى وفرعون
ذى الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها
اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا فى البلاد صفة
للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا
فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما
خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به الجلد
المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض
وقيل شبه بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس
الى ما اعد لهم فى الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف
ان ربك لبالمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من
رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب
فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه
لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا
يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر
فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربى اكرمن فضلنى بما
اعطانى وهو خبر المبتدا الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من
معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كانه قيل فاما
الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا
قوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما
الانسان اذا ما ابتلاه بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول

ربى اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى
الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء
والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردع
عنه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه
وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه لان التوسعة تفضل والاخلال
به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن
بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع
فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدّر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم
ولا تحاضون على طعام المسكين اى بل فعلهم اسوأ من قولهم
وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة
والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم
وقرأ الكوفيون تحاضون وتأكلون التراث الميراث واصله
وراث اكلا لما ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا
لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال
حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرأ ابو عمرو وسهل و
يعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء كلا ردع
لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه اذا دكت الارض
دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال او
هباء منبثا وجاء ربك اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره
مثل بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك

صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان اي يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى اين منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحيوتي اي لحيوتي هذه او وقت حيوتي في الدنيا اعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشيء قد يتمنى ان كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اي لا يتولى عذابه ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقراهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهي التي اطمانت بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي الى ربك الى امره او موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة في عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين

وادخلي

وادخلي جنتي معهم او في زمرة المقربين فتستضيء بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلي في اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي التي اعددت لك عن النبي عم من قرأ سورة الفجر في ليال العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وايها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه تع بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد عم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من بمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدؤها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عم بما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدميه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا تزل قدماه او لكل واحد منهم او للانسان ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول اي في ذلك الوقت اهلكت مالا

لبدا كثيرا من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة و
المراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة للرسول أيحسب
أن لم يره أحد حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني
أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك
بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره
وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب
وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر أو الثديين وأصله
المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة أي فلم يشكر تلك الأيادي
باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة الطريق في
الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والإطعام في قوله وما
أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد
المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة
إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في
النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي
فك رقبة وأطعم على الإبدال من اقتحم وقوله وما أدراك ما
العقبة اعتراض معناه إنك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها
ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم أو فك بثم لتباعد الإيمان
عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر
الطاعات به وتواصوا بالصبر وأوصى بعضهم بعضا بالصبر

على طاعات

على طاعة الله تعالى عز وجل وتواصوا بالمرحمة على عباده بالرحمة أو موجبات رحمة الله أولئك أصحاب
الميمنة اليمين أو اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم
أصحاب المشأمة الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى
عليهم نار مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من
آصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة سورة
والشمس وهي خمس عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها وضوئها إذا أشرقت وقيل الضحوة
ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحى بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر إذا تليها تلا
طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور والنهار إذا جليها
جلى الشمس فإنها تنجلي إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل
إذا يغشيها يغشى الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى
القسمية الجارية بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات
والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل
والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن بناها وإنما أوثر ما على من لإرادة
معنى الوصفية كأنه قيل والشيء القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك
أفرد ذكره وكذا الكلام في قوله تعالى والأرض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية
يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله تعالى فألهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها إلا أن يضمر
فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس أو للتعظيم والمراد نفس آدم والإلهام
الفجور والتقوى إفهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الإتيان بهما قد أفلح من زكيها أنماها بالعلم
بالعلم والعمل وهو جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما أراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة
فيه أقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو أقصى درجات القوة
النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية

وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم
رسوله عليه السلام كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة
والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت به
من عذابها ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية واصله طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم
والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قتل الناقة ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن
سالف او هو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم
العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها فكذبوه فيما حذرهم
منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة
مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم تفلت منها صغير ولا
كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقي بعض
الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والشمس
فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر سورة والليل وهي احدى وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل
او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد
او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق
بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة
كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هياه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات
الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة
كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى بمعنى الهلاك
او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا

او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء
لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها
لا يلزمها مقاسيا شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى
ووصفه بقوله تعالى الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الاتقى الذي اتقى الشرك
والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا عن ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية
لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى
فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف
يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات نزلت في ابي بكر حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون
فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل
اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسرى سورة والضحى وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم
والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه او لان الساعة التي فيه كلم موسى ربه
والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله
او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم
النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك
وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي
ان الوحي تأخر عنه عليه السلام اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان
جروا ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا صلى الله عليه وسلم ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة
بالمضار كانه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعده ما هو اعلى واجل
من ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال

ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر
له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف
يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان
العطاء كائن لا محالة وان تاخر لحكمة الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن
اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة
ويتيما حال ووجدك ضالا عن العلم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر
وقيل وجدك في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك
الى جدك فازال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل من ربح التجارة فاما
اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر
فلا تزجره واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها
تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات
يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية ثمان آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح
لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعناه
فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعد ما كان يشق عليك وقيل
انه اشارة الى ما روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم
الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفي
الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عباك الثقيل الذي
انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض والانفكاك من ثقل الحمل وهو
ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او تحيره او تلقي الوحي او ما كان يرى من
ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك
ذكرك بالنبوة وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته

وصلى عليه وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون
ابهاما قبل ايضاح فيفيد مبالغة فان مع العسر يسرا كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم
وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تياس من روح الله اذ عراك
ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله
به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او استئناف وعده بان العسر متبوع
بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب
وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد او الجنس
واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب
في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السالفة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل اذا فرغت من الغزو
فانصب في العبادة او فاذا فرغت من الصلوة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال
ولا تسال غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي فرغب الناس الى طلب ثوابه عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين وهي ثمان آية

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا
فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين
ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفي الحديث انه يقطع البواسير وينفع من
النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية
فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجد دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور
سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا
البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين او المامون فيه يامن فيه من دخله والمراد
به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن
الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه

ثم اهل النار او الا اسفل السافلين وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب
على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اي فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد
ظهور الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي يحملك على هذا
الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذي فعل ذلك من الخلق والرد باحكم
الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر
بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرا باسم
ربك اي اقرا القران مفتتحا باسمه او مستعينا به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو
اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القران فقال خلق الانسان او الذي
خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان
في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته
اقرا تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ او في الصلوة ولعله لما قيل له اقرا باسم ربك
فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرا وربك الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير
تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به
البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن
قارئا وقد عدد سبحانه مبدا امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها
تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل عليه سمعا كلا
ردع لمن كفر بنعمة الله بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اي
ان راى نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد وقرئ
راه بحذف الهمزة ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة

الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت
محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا
واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي
ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت تكرير للاول وكذا الذي في قوله ارايت ان كذب
وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب
الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك
الناهي على الهدى فيما ينهى عنه او امرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد او
ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما تقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من
هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى و
الناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالـ
حاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى فكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى
ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعل ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في
النهي لان النهي كان عن الصلوة والامر بها فاقتصر على ذكر الصلوة لانه دعوة بالفعل او لان
نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة
وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته
ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولاسفعن
وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور
ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية والنصب
على الذم ووصفها بالكذب والخطا وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه
اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت

سندع الزبانية ليجروه إلى النار وهو في الأصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو
الدفع أو زبني على النسب وأصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع أيضا للناهي لا
تطعه اثبت أنت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب إلى ربك
وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
إنا أنزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه بإضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح
كما عظمه بأن أسند إنزاله إليه وعظم الوقت الذي أنزل فيه بقوله وما أدراك ما ليلة القدر ليلة
القدر خير من ألف شهر وإنزاله فيها بأن ابتدأ بإنزاله فيها أو أنزله جملة من اللوح إلى السماء
الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة
وقيل المعنى أنزلناه في فضلها وهي في أوتار العشر الأخير من رمضان لعلها السابعة منها والداعي
إلى إخفائها أن يحيي من يريدها الليالي الكثيرة وتسميتها بذلك لشرفها أو لتقدير الأمور فيها لقوله تعالى
فيها يفرق كل أمر حكيم وذكر الألف إما للتكثير أو لما روي أنه عليه السلام ذكر إسرائيليا لبس السلاح
في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك
الغازي تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بيان لما له فضلت على ألف شهر وتنزلهم إلى
الأرض أو إلى السماء الدنيا أو تقربهم إلى المؤمنين من كل أمر من أجل كل أمر قدر في تلك السنة
وقرئ من كل امرئ أي من أجل كل إنسان سلام هي ما هي إلا سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا
السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على
المؤمنين حتى مطلع الفجر أي وقت مطلعه أي طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على أنه كالمرجع أو اسم
زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطي من الأجر
كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة البينة وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب اليهود والنصارى فإنهم كفروا بالإلحاد في صفات
الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الأصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم أو الوعد باتباع
الحق إذا جاءهم الرسول حتى تأتيهم البينة الرسول أو القرآن فإنه مبين للحق أو معجزة الرسول بأخلاقه
والقرآن بإفحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف أو مبتدأ يتلو صحفا
مطهرة صفته أو خبره والرسول وإن كان أميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها أو
قيل المراد جبرائيل عليه السلام وكون الصحف مطهرة أن الباطل لا يأتي ما فيها وأنها لا يمسها
إلا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين أو
توا الكتاب عما كانوا عليه بأن آمن بعضهم أو تردد في دينه أو عن وعدهم بالإ
صرار على الكفر إلا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين
المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى
وما أمروا أي في كتبهم بما فيها إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء
مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا
وذلك دين القيمة دين الملة القيمة إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها أي يوم القيمة أو في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك
واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف
لتفاوت كفرهما أولئك هم شر البرية أي الخليقة وقرأ نافع البريئة بالهمزة على
الأصل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا فيه مبالغات
تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بأنه من
عند ربهم وجمع جنات وتقييدها إضافة ووصفها بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود
بالتأبيد رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لأنه

بلغهم الاقصى اماينهم ذلك اى المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشى ربه فان الخشية ملاك
الامر والباعث على كل خير عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة
مع خير البرية مساء ومقيلا سورة الزلزال وهى تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن
لها او اللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم للحركة وليس فى الابنية فعلال الا فى
المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما فى جوفها من الدفاين او الاموات جمع ثقل
وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان
الكافر لان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها
ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها
تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اى تحدث بسبب ايحاء
ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها
اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك تشفى من العصاة يومئذ
يصدر الناس من مخارجهم الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء
اعمالهم وقرئ بفتح اليا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأ هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر
وسيئة المجتنب عن الكباير تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة
بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله
اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت
اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله سورة والعاديات وهى احدى
عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل
الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف

او بالعاديات

او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة
فالموريات قدحا فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى
فالمغيرات تغير اهلها على العدو صبحا اى فى وقت الصبح فاثرن به فهيجن بذلك
الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او با
لنقع اى ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روى انه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر
لم ياته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات
بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل
انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور
من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب
القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره
عليه او

عن ابن عباس رضه ان الميزان له لسان وكفتان يوزن به اعمال المكلفين فيؤتى بحسنات المطيع في احسن صورة فيترجح فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح صورة وكيف لا يثقل ميزان حسنات المطيع وانها في الدنيا كانت ... الميزان لا بد خل فيه الا الحسنات ان يثقل وكذا العاصي شيء على النفس في الدنيا والميزان الذي لا يوضع فيه ان يخف قال مقاتل انما كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف

عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير

المال من قوله تع ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوي مبالغ فيه

افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقوي بحثر وبحث

وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر

وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ لخبير عالم بما اعلنوا

وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف

شانيهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي عم من قرا سورة

والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة

وشهد جمعا سورة القارعة مكية واياتها عشر بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة

يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم

واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دل عليه القارعة وتكون

الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق

اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت

مقاديره انواع حسناته فهو في عيشة في عيش راضية ذات رضا

او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبأ

بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فماواه النار

والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ما هيه نار حامية

ذات حمى عن النبي عم من قرا سورة القارعة ثقل الله بها

ميزانه يوم القيمة سورة التكاثر مختلف فيها واياتها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

ألهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اصله
لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا
استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر به
عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روى ان بني عبد مناف
وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم
ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم
بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين
للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد
الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم
لكم وهو السعي لاخريكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت
كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه
ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف
تعلمون خطاء رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليتنبهوا
من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفي ثم دلالة على
ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني
عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم
علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره
او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز
ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا لانه محقق الوقوع بل هو
جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه
بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتاكيد او الاولى اذا

رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى
المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس
اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم اي الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه
دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص
الكثيرة كقوله تع قل من حرم زينة الله والطيبات من الطيبات
وقيل يعمان اذ كل يسئل عن شكره وقيل الاية مخصوصة بالكفار
عن النبي عم من قرأ سورة الهيكم لم يحاسبه الله بالنعيم
الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما
قرأ الف اية

سورة العصر مكية وايها ثلث اية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم بصلوة العصر لفضلها او بعصر النبوة
او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف
اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان لفي خسر
في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس
والتنكير للتعظيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم
اشتروا الاخرة بالدنيا ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة
السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من
اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او
ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة
الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر

سبب الوعيد دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا
بان ما عدا ما عد يؤدي الى الخسران ونقص حظ او تكرما فان
الابهام في جانب الخسران كرم عن النبي عم من قرأ سورة
العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وايها تسع بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز
فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة
يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود
وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة
الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس
بن شريق فانه كان مغتابا او في وليد بن مغيرة واغتيابه
رسول الله عم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب
او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير
وعدده وجعله عدة للنوازل او عده مرة اخرى ويؤيده
انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده
تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال
اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل
من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للاخرة كلا
ردع له عن حسبانه لينبذن ليطرحن في الحطمة النار التي
من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة نار
الله الموقدة التي اوقدها

الله وما اوقده لا يقدر ان يطفئه غيره التي تطلع على الافئدة
تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لانها
الطف ما في البدن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة
ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت
الباب اذا اطبقته قال تحن الى اجبال مكة ناقتي
ومن دونها ابواب صنعاء مؤصدة في عمد ممددة اي موثقين
في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطع فيها اللصوص وقرأ
ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي عم من قرأ سورة
الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وايها خمس بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول وهو
وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر
اخبارها فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير
ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته
وشرف رسوله فانها من الارهاصات اذ روي انها وقعت
في السنة التي ولد فيها الرسول عم وقصتها ان ابرهة بن الصباح
الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء
وسماها القليس واراد ان يصرف الحاج اليها فخرج رجل من
كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة
فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما
تهيأ للدخول وعبأ جيشه وقدم الفيل وكان كلما وجهوه

الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى
هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه حجران
اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس
الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار
اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام
الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع
وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل
جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من
الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعبابيد وشماطيط ترميهم
بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى
ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل
من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من
السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم
كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان
يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب
وراثته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله ايام
حياته من الخسف والمسخ سورة قريش مكية وآيها اربع
بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا
رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى
ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه
لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء

الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف
مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي فجعلهم كعصف مأكول
لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف أبي سورة واحدة و
قرئ ليلاف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد نضر بن
كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث
بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل
وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم
ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم
من جوع اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة
اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف خوف اصحاب
الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم
ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله
عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف فيها سورة
الماعون مختلف فيها وآيها سبع بسم الله الرحمن الرحيم
أرأيت استفهام معناه التعجب وقرئ أريت بلا همزة الحاقا
بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك
بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذي
يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثاني قوله فذلك الذي يدع اليتيم
يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه
عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا
فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق

بخيل وقرئ يدع اي يترك ولا يحض اهله وغيره على طعام المسكين
لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اي غافلون غير
مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء
عليها ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور في العادة والفاء
جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين
والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلوة التي هي عماد
الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي
هي قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل
او للسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير
للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبي عم من قرا
سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلث

بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثرة
من العلم والعمل وشرف الدارين وروي عنه عم انه نهر في الجنة
وعدنيه ربي فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد
من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة
لا يظما من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده واتباعه
او علماء امته او القرآن فصل لربك اي فدم على الصلوة خالصا
لوجه الله خلاف الساهي عنها المرائي فيها شكرا لانعامه فان
الصلوة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار

اموال العرب وتصدق على المحاويج خلاف من يدعهم ويمنع
عنهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت
الصلوة بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من
ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذي لا عقب له اذ لا يبقى منه
نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك
وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت
الوصف عن النبي عم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من
كل نهر له في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه
العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون
يعني كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون وروي
ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد
الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل فان
لا لا يدخل الا على المضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا يدخل الا
على المضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اي فيما يستقبل
لانه في قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اي في الحال او فيما
سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت ما ما
انا عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل
ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة
بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وانما
قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا

ولا تعبدون الحق أو للمطابقة وقيل انها مصدرية وقيل الأوليان
بمعنى الذي والأخريان مصدريتان لكم دينكم الذي انتم عليه
لا تتركونه ولي دين الذي انا عليه لا أرفضه فليس فيه اذن
في الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم
إلا إذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه
وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء عن النبي عم من قرأ
سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه
مردة الشياطين وبرئ من الشرك سورة النصر مدنية وآيها ثلث
بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله إظهاره
إياك على أعدائك والفتح وفتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله
للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وإنما عبر عن الحصول
بالمجيء تجوزا للإشعار بأن المقدرات متوجهة من الأزل إلى
أوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من
وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورأيت الناس
يدخلون في دين الله أفواجا جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف
واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على
أن رأيت بمعنى أبصرت أو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت فسبح
بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال أحد حامدا
له عليه أو فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ
بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات أو فنزهه عما كانت
الظلمة يقولون حامدا له على أن صدق وعده أو فاثن على الله

بصفات

بصفات الجلال حامدا له على صفات الإكرام واستغفره هضما
لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات
إلى غيره وعنه عم إني أستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة
وقيل استغفره لأمتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار
على طريقة النزول من الخالق إلى الخلق كما قيل ما رأيت شيئا إلا
ورأيت الله قبله إنه كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين
والأكثر على أن السورة نزلت قبل فتح مكة وأنه نعي لرسول الله عم
لأنه لما قرأها بكى العباس فقال عم ما يبكيك فقال نعيت إليك
نفسك قال إنها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة
وكمال أمر الدين فهي كقوله أكملت لكم دينكم ولأن الأمر بالاستغفار
تنبيه على دنو الأجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عم
من قرأ سورة إذا جاء أعطي من الأجر كمن شهد مع محمد يوم
فتح مكة سورة تبت مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم
تبت هلكت أو خسرت والتباب خسران يؤدي إلى الهلاك
يدا أبي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقيل
إنما خصتا لأنه عم لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين
جمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا
وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه وآخرته
وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته أو لأن اسمه
عبد العزى فاستكره ذكره أو لأنه لما كان من أصحاب النار كانت
الكنية أوفق بحاله أو ليجانس قوله ذات لهب وقرئ أبو بالواو

ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرا ابن كثير باسكان هاء
لهب وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه
كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات
وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت
يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه
حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب وما
كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة
والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد
افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب
بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلاثا حتى انتن
ثم استاجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب
طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم
وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق
وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامراته عطف على المستكن
في سيصلى او مبتدا وفي جيدها خبره وهي ام جميل اخت ابي سفيان
حمالة الحطب يعني حطب نار جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة
الرسول عم وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار
الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل
في طريق رسول الله وقراها عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل
من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله
وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل

الحزمة

الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في
نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم
والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال
او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي عم من قرا سورة تبت رجوت
ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وايها اربع

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه
بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل
عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا يا محمد
صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل
على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه
الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية
والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل
مع الاتفاق على انه لا بد منه في قل يا ايها الكافرون ولا يجوز في تبت
ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول او موادعته لهم
وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذه فتوحيد
يقول بها تارة ويامر بان يدعوهم اليها اخرى الله الصمد السيد
المصمود اليه في الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على
الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه
في جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير

لفظة الله للإشعار بأن من لم يتصف به لم يستحق الألوهية
وإخلاء الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى أو الدليل عليها
لم يلد لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع
الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا
على من قال الملائكة بنات الله أو المسيح ابن الله أو ليطابق قوله
ولم يولد وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم ولم يكن له
كفوا أحد أي لم يكن أحد يكافئه أي يماثله من صاحبة وغيرها وكان
أصله أن يؤخر الظرف لأنه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفي
المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للأهم ويجوز أن يكون حالا من
المستكن في كفوا أو خبرا ويكون كفوا حالا من أحد ولعل ربط الجمل الثلث
بالعاطف لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي كجملة واحدة منبهة
عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع في رواية كفوا بالتخفيف
وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة
مع قصرها جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها جاء في الحديث
أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده محصورة في بيان العقائد
والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وذكر
عن النبي عم أنه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يا رسول الله
ما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مدنية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل أعوذ برب الفلق ما يفلق
عنه أي يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات
فإنه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الإيجاد عنها سيما ما يخرج من أصل

كالعيون

يفلق من السحاب ظاهرا ويشاهد هذا مثل شق الأرض
ثم يخرج منه ظاهرا ويشاهد هذا

تخصيص الفلق بالصبح

كالعيون والأمطار والنبات والأولاد ويختص عرفا بالصبح
ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل
بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والإشعار بأن من قدر
أن يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه
ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسمائه لأن الإعاذة من المضار
تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار
الشر فيه فإن عالم الأمر خير كله وشره اختياري لازم ومتعد
كالكفر والظلم وطبيعي كإحراق النار وإهلاك السموم ومن شر
غاسق ليل عظم ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصله الامتلاء
يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق
الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها إذا وقب دخل
ظلامه في كل شيء وتخصيصه لأن المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك
قيل الليل أخفى للويل وقيل المراد به القمر فإنه يكسف فيغسق ووقوبه
دخوله في الكسوف ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس
أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في الخيوط وينفثن عليها
والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي أن يهوديا سحر
النبي عم في إحدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عم
ونزلت المعوذتان وأخبره جبرائيل عم بموضع السحر فأرسل
عليا فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد
بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لأنهم أرادوا
به مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم

الله

الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق يسهل حلها
وإفرادها بالتعريف لأن كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق و
حاسد ومن شر حاسد إذا حسد إذا أظهر حسده وعمل بمقتضاه
فإنه لا يعود ضرر منه قبل ذلك إلى المحسود بل يخص به لاغتمامه
بسروره وتخصيصه لأنه العمدة في إضرار الناس بل الحيوان غيره
ويجوز أن يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى
وبالنفاثات النباتات فإن قواها النباتية من حيث إنها تزيد
في طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث في العقد الثلثة وبالحاسد
الحيوان فإنه إنما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل إفرادها
من عالم الخلق لأنها الأسباب القريبة للمضرة عن النبي م لقد
أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن تقرأ سورتين
أحب وأرضى عند الله منهما يعني المعوذتين سورة الناس مختلف
فيها وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم
قل أعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى
اللام برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة
من المضار البدنية وهي تعم الإنسان وغيره والاستعاذة في
هذه السورة من الأضرار التي تعرض النفوس البشرية وتخصها
عمم الإضافة ثم وخصصها بالناس ههنا فكأنه قيل أعوذ
من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك أمورهم ويستحق
عبادتهم ملك الناس إله الناس عطفا بيان له فإن الرب قد لا يكون
ملكا والملك قد لا يكون إلها وفي هذا النظم دلالة على أنه حقيق

بالاعادة

بالاعادة قادر عليها غير ممنوع عنها وإشعار على مراتب الناظر
في المعارف فإنه يعلم أولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة
أن له ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق أنه غني عن الكل وذات
كل شيء له ومصارف أموره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به
على أنه المستحق للعبادة لا غيره وتدرج في وجوه الاستعاذة
المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات
إشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما في الإظهار
من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان من شر الوسواس
أي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر
كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة الخناس
الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه الذي
يوسوس في صدور الناس إذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك
كالقوة الوهمية فإنها تساعد العقل في المقدمات فإذا آل الأمر
إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي
الجر على الصفة أو النصب أو الرفع على الذم من الجنة والناس
بيان للوسواس أو الذي أو متعلق بيوسوس في صدورهم
من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على أن المراد به ما يعم
الثقلين وفيه تعسف إلا أن يراد به الناسي كقوله يوم يدع
الداع فإن نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي م من قرأ
سورة المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى تم
أموت ويبقى كل ما قد كتبته فيا ليت من يقرأ خطي دعا ليا

قد وقع الفراغ من تنميق هذا الكتاب عن يد عبد الضعيف المذنب المحتاج الى رحمة الله
خضر بن علي بن محمود غفر الله له ولوالديهم مع جميع المؤمنين في يوم الرابع عشر من شهر شعبان
المعظم في بلدة قسطنطنية المحمية في مدرسة دار الحديث في قرب سلطان بايزيد خان في يوم
الاحد وقت الظهر سنة ثلث وخمسين وتسعمائة من هجرة النبوية وصلى الله على سيدنا
محمد وآله اجمعين

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Fatih
127